

من كنوز الحكماء

الأستاذ/ سعد القاضي




من كنوز الحكماء

من كنوز الحكماء

سعد القاضى



من كنوز الحكماء

سعد محمد القاضي

الكتـــــاب: من كنوز الحكماء

المـــؤلـــف: سعد محمد القاضي

تاريخ النشر: ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

رقم الإيداع: ٣٠٨٦ / ٢٠١١

الترقيم الدولي: 978-977-463-099-6

الناشـــــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيـــــع:

٣ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٥٩١٧٩٥٩

www.darghareeb.com

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين حمدًا دائمًا متواترًا متسعًا متسقًا يدوم ويتضاعف والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد شفيعنا يوم العرض على الله وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد،،،

تقربًا إلى الله جلّ وعلا ومحبة لنبيه ﷺ، وتقديرًا لصالحي أمة رسول الله ﷺ وحفاظًا على بعض ما أُثر عنهم من الحكم الجليلة؛ قررنا أن نطبع هذا الكتاب لنقدمه للقارئ الكريم وهو مصنف نافع يحتوي الكثير من كلام بعض الأماجد وإن حوى أقوال لغيرهم مما عاصروهم من علماء العرب المسلمين وشعرائهم.

ونرجو من الله أن يكون هذا الكتاب دعمًا وزيادة في رصيد المكتبة الإسلامية والتراث العربى.

والله من وراء القصد،،،

الناشر



مقدمة المؤلف

أحمد الله كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وعلى آله وأصحابه الطيبين الأطهار وبعد.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ (الرعد:١٧).

والكلام في لغتنا العربية كثير كثير وخيره كلام العلماء والحكماء كما كان لقمان، يوصي ابنه فيقول: يا بني جالس الحكماء وجالسهم بركبتك فإن الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء.

وخير الكلام كلام الله وكلام رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى وكلام آل بيته وصالحي أمته ﷺ.

وقد قررت أن أغوص في بحار أقوالهم لأخرج لك من كنوز الحكماء وجمعتها في هذا الكتاب وسميته من كنوز الحكماء عسى الله أن ينفعنى وإياكم بحفظ حكم الصالحين التي فيها حياة القلب بعد مماته.

وقد راعيت بين الحين والآخر أن أخرج القارئ من دسامة المادة العلمية بفكاهة طريفة لكنها لا تخرج أيضًا عن كونها درة خرجت من لسان قائلها.

سعد القاضى




الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة،١٨٦)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ (الجن،٢٠).

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء،١١٠)

قال تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (ابراهيم،٤٠).

ومن دعاء الرسول ﷺ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ. أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ. وَلَكَ الْحَمْدُ. أَنْتَ قَيُومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ. وَلَكَ الْحَمْدُ؛ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ. أَنْتَ الْحَقِّ. وَوَعْدُكَ الْحَقِّ. وَقَوْلُكَ الْحَقِّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ. وَالنَّارُ حَقٌّ. وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ. وَبِكَ خَاصَمْتُ. وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ. أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ» (متفق عليه).

ومن دعاء رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف والغنى»** (رواه مسلم).

عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

وأيضا من أدعية رسول الله ﷺ:

«اللهم إني ضعيف فقوني في رضاك ضعفي،وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضائي، اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فأغنني» (الطحاوي).

«اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً» (رواه احمد).

«اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني» (الطبراني والترمذي وأحمد).

«اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا» (رواه أحمد).

«اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق».

دعاء الرسول ﷺ بين الركن والحجر الأسود:

كان رسول الله ﷺ يقول بين الركن والحجر الأسود: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر والذل ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة**» (أبو حنيفة).

وكان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم فالق الإصباح جاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا، اقض عني الدين، وأعني من الفقر ومتعني بسمعي وبصري وقوتي في سبيلك**» (رواه مالك).

وكان ﷺ يدعو ويقول:

«اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي» (رواه الترمذي).

«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك» (رواه مسلم).

«اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

«اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك».

«اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب» (الترمذي).

ومن دعاء الرسول ﷺ إذا خاف قوما:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوما قال: «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم**» (رواه أبو داود والنسائي).

وكان ﷺ يتعوذ دبر كل صلاة بكلمات: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر كل الصلوات بهؤلاء الكلمات: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من فتنة القبر**» (رواه البخاري).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري.. وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر» (رواه مسلم).

كان من دعاء النبي ﷺ عشية عرفة:

«اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي.. لا يخفى عليك شيء من أمري.. أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف المعترف بذنبه.. أسألك مسألة المسكين.. وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خفضت لك رقبته، وذل جسده ورغم أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسئولين.. ويا خير المعطين» (رواه الطبراني).

دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر:

عن ابن عَبَّاسٍ قَالَ: «سمعتُ رَسولَ الله ﷺ يَقُولُ ليلةً حينَ فرَغَ من صلاتِهِ اللَّهُمَّ إني أسألكَ رحمةً من رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيمانا ويقينا ليس بعده كفر. ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء. اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن قصر رأيي وضعف عملي افتقرت إلى رحمتك. فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور. ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي ولم تبلغه نيتي ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه برحمتك رب العالمين. اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد. والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود. إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائك وعدوا لأعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان. اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في

عظامي. اللهم أعظم لي نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا. سبحان الذي تعطف العز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له. سبحان ذي الفضل والنعم. سبحان ذي المجد والكرم. سبحان ذي الجلال والإكرام» (سنن الترمذي).

ومن دعائه ﷺ:

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك**»، ثم يقول: «**الله أكبر كبيرا**»، ثم يقول: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه**».

قال الحسن بن علي: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «**اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت**» (سنن الترمذي).

«**اللهم اعطني إيمانا صادقا، ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة**».

«**اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء**».

«**اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلي رحمتك.. فأسألك يا كافي الأمور وشافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور**».

«**اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري، ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي، ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي.. اللهم زدني نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا**» (أخرجه الترمذي).

من أقوال الرسول ﷺ عن الدعاء:

«**من لم يدع الله غضب الله عليه**» (رواه أحمد)، «**إن الله يحب الملحين في الدعاء**» (الشهاب)، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من**

ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» (رواه مسلم)، **«القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض.. فإذا سألتم الله عزوجل فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل».**

ماذا يقول الإمام الغزالي في آداب الدعاء:

للدعاء آداب وهي:

- أن يختار الداعي الأوقات الشريفة كيوم عرفة ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات:١٨).
- وأن يغتنم الداعي الأحوال التي تقترن بالأعمال العظيمة.. وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «أن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة.. فاغتنموا الدعاء فيها».. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد»** وقال: **«الصائم لا ترد دعوته»** وقال: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».**
- أن يكون الداعي مستقبل القبلة، وأن يرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه.. روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس. وروى أنس أنه ﷺ كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعه.
- أن يخفض الداعي صوته بين المخافتة والجهر.. وروى أبو موسى الأشعري قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبي ﷺ: **«يا أيها الناس.. إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب. إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم».** ولقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (مريم:٣) وقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥).
- أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه، والأولى أن لا يجاوز «الدعوات المأثورة».

- إظهار التضرع والخشوع والرغبة والرهبة. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (الأنبياء:٩٠) وقال عز وجل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥).
- أن يوقن بالإجابة ويكون صادق الرجاء.. قال ﷺ: **«لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي أن شئت.. اللهم ارحمني إن شئت.. ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»**.
- أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثًا.. قال ابن مسعود كان ﷺ إذا دعا ثلاثًا، وإذا سأل؛ سأل ثلاثًا.

عن فضل الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: **«الدعاء مخ العبادة»** (رواه الترمذي)، وقال: **«الدعاء هو العبادة».. ثم تلا قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠) (رواه ابن حبان)، وقال ﷺ: **«الدعاء سلاح المؤمن.. وعماد الدين.. ونور السموات والأرض»** (أخرجه الحاكم في المستدرك).

سر الدعاء:

لقد وردت الآيات تحض على الدعاء والابتهال إلى الله عز وجل.. وما سر ذلك؟؟ سر ذلك هو سر الإسلام الذي دعا إلى التوحيد الخالص البرىء مما يشوب العقيدة الصالحة.. فالله قريب من عباده يجيب دعوة من دعاه.. يقول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥)، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)، ويقول: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء:١١٠). وكذلك السنة المطهرة: يقول رسول الله ﷺ: **«ليس شيء أكثر على الله من الدعاء»**.

هؤلاء دعواتهم مستجابة:

- المضطر.
- المظلوم ولو كان كافرا أو فاجرا.
- الوالد على ولده.
- الإمام العادل.

- الرجل الصالح.
- الولد البار بوالديه.
- الصائم حتى يفطر.
- المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب.
- المسلم ما لم يدعو بظلم أو قطيعة رحم.
- التائب من ذنبه.

فوائد الدعاء والذكر كما يذكرها ابن تيمية:

- يرضي الرحمن.
- يطرد الشيطان.
- يزيل الهم والغم عن القلب.
- يجلب للقلب الفرح والسرور.
- يكسو الذاكر النضارة والحلاوة.
- يورث المحبة وهي روح الإسلام.
- يوصل إلى مرتبة التقوى.
- يورث القرب من الله عز وجل.. فعلى قدر ذكره تكون منزلته.
- يفتح أبواب المعرفة.
- يورث الهيبة من الله عز وجل.
- يورث ذكر الله ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة:١٥٢).
- لازم لحياة القلب.
- هو كالماء للسمك.
- يورث جلاء القلب من صدأه.
- يذكر بصاحبه عند الشدة.
- يحط الخطايا فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.

- يزيل الوحشة التي تنشأ في القلب عن الغفلة.
- إن تعرف العبد مع ربه في الرخاء، بالذكر عرفه الله في الشدة بالفرج.
- الذكر هو نور في الدنيا ونور في القبر ونور في الآخرة.
- الذكر هو باب الدخول إلى الله عز وجل.
- في القلب خلة وفاقة لا يسدها إلا الذكر.. فيكون صاحبه غنيا بلا مال عزيزا بلا عشيرة قويا بلا سلطان، والغافل بضد ذلك.
- الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه **«أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**.
- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب إلي من أن أنفق عددهن دنانير في سبيل الله».
- الذكر رأس الشكر.. وما شكر الله تعالى من لم يذكره.
- أكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله عز وجل.
- قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أدبه بالذكر.
- الذكر شفاء القلب ورواؤه والغفلة مرض.. قال مكحول: (ذكر الله تعالى شفاء، وذكر الناس داء.
- قال حسان بن عطية: ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره.. فالذكر أصل الموالاه.
- الذكر جلاب النعم ودافع النقم: ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (ابراهيم:٧) والذكر رأس الشكر.. قال بعض السلف: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك.
- الذكر يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر.
- أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته فهذه المباهاة دليل على شرف الذكر.
- يقول أحد الحكماء: الداعي.. ومؤمن الذكر يدخلا الجنة وهما يضحكان.
- أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل.. فأفضل الصوام أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل.. وأفضل الحجاج أكثرهم ذكرا لله عز وجل.. قال أبو بكر رضي الله عنه «ذهب الذاكرون بالخير كله».

- ما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر.
- الذكر يذهب عن القلب المخاوف ويحدث الأمن والاطمئنان.
- الذكر يعطي الذاكر قوة.. وكان بعض السلف يسبحون إذا ناهضوا حصنا قول لا حول ولا قوة إلا بالله.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ويدعون ربهم.
- دور الجنة تبنى بالذكر والدعاء - فإذا أمسكوا عن الذكر والدعاء.. أمسكوا عن البناء.
- الذكر سد بين العبد وبين جهنم.
- الملائكة تستغفر للذاكر كما يستغفر للتائب.
- قال ابن مسعود: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أمر بك اليوم أحد يذكر الله ويدعو ربه عز وجل؟ إذا قال: نعم استبشر!
- كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق.. قال الله عز وجل في المنافقين ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء،١٤٢).
- وقال حكيم: ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله والدعاء.
- الدعاء وذكر الله يكسوا الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة.

وماذا عن ثمرة الاستغفار؟

- **من ثمرة الاستغفار:**

- المغفرة.
- الغيث (أى المطر الذي يروي الأرض فتنبت الزرع ويروى به الناس والأنعام ظمأهم).
- إمداد الله للمستغفر بالأموال.. وبالبنين والبنات وأكثر من ذلك: يقول الله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ (هود،٥٢).

- **وهذه ثمرة لإنسان دعا ربه:**

فقد حدث في مصر أن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلا في فترة من الفترات لري أرضه وكاد الزرع أن يصبح حطاما.. فجلس وسط مزرعته الفسيحة

وقال: اللهم إنك قلت.. وقولك الحق: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً﴾ (نوح:١٠-١١).. وها أنا ذا يا رب أستغفرك راجيا أن تفيض علينا من رحمتك وأخذ الرجل يستغفر ربه، ويواصل الاستغفار.. ومضت ساعات وهو يتابع الاستغفار قائلا: الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد.. اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء.. أنزل يا إلهي علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين. وفجأة.. إذا بالسماء تتلبد بالغيوم.. وإذا بالمطر ينزل فياضا مدرارا.

• ومن ثمار الاستغفار:

أنه يمنع أن يصيب العذاب الإنسان: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ويقول رسول الله ﷺ: **«من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا.. ومن كل ضيق مخرجا.. ورزقه من حيث لا يحتسب».**

وهناك من الذكر ما هو دعاء:

وإذا كان الذكر كله دعاء.. فإن الدعاء أيضا يكون بغير الدعاء اللفظي وبغير الذكر: فالإكثار من التوبة دعاء وذكر.. ويترتب على الإكثار منه ما يقوله الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢) وإذا أحب الله عبدا من عباده بسبب الإكثار من التوبة فإنه يترتب على هذا الحب آثاره. «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه».

وإذا كانت التوبة ذكرا أو دعاء فإن التقوى دعاء نفيس ألا ترى ما يقوله الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣) إن الله سبحانه وتعالى يجعل له مخرجا من كل هم وضيق وأزمة بسبب تقواه ويرزقه الله من حيث لا يدري.. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ (الطلاق:٤) أي ييسر به الله أموره كلها.. ويقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ (الطلاق:٥) ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:١٨٠).

الدعاء مفتاح الرحمة:

فاستفتحوا أعمالكم بالدعاء فمن سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء، وليكثر الصلاة على النبي ﷺ فإن الله يكفيه من أمر دنياه وآخرته، وقولوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (ابراهيم:٤١).

خير الدعاء:

قال رسول الله ﷺ: «**إن خير الدعاء أن تقول في الصلاة: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الحق كله، وإليك يرجع الأمر كله، وأعوذ بك من الشر كله**» (رواه البيهقي).

أول دعوة:

يقول رسول الله ﷺ: «**أول دعوة دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا الله سبحانك إني كنت من الظالمين.. فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء إلا استجاب له**».

وعن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: عليك بالجوامع الكوامل قولي: «**اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا أرحم الراحمين**» (أخرجه ابن ماجه والحاكم).

دعاء فاطمة رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ: «**يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله**» (أخرجه النسائي).

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

علم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول: «**اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين.. وبكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته وأسألك باسمك الذي أنزلته**

على موسى وأسألك باسمك الذي بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وبكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقني القرآن والعلم به، وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين».

ومن الدعاء:

قال سفيان الثوري: سمعت أعرابيا يقول: «اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في الأرض فأخرجه وإن كان بعيدا فقربه، وإن كان قريبا فيسره، وإن كان قليلا فكثره، وإن كان كثيرا فبارك لي فيه».

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ما انتهيت إلى الركن اليماني قط إلا وجدت جبريل قد سبقني إليه يقول: قل يا محمد اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة. وهي من مواقف الخزي».**

كان أبو مسلم الخراساني إذا نابه أمر. قال: يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين.

كان الزهري يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول: **«اللهم إني أسألك من خير ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك في الدنيا والآخرة».**

وعن عقيدة بن عبد الغافر: دعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية.

وعن أبي الدرداء قال: صلى بنا رسول الله ﷺ العصر، فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا .. فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: **«من الداعي على الكلب آنفا».** قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: **«لقد دعوت الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، قال: كيف دعوت الله؟»** قال: قلت: **«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت، المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام».**

عن أنس، إذا قال العبد: يا رب يا رب يا رب.. يقول الله عز وجل لبيك عبدي.. وعنه قال رسول الله ﷺ وهو يقول يا أرحم الراحمين فقال له رسول الله ﷺ: **«سل حاجتك فقد نظر الله إليك»**.

وقال: إذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر.. فإن الله يستجيب له.

من أقوالهم عن الدعاء:

الدعاء هو العبادة، والدعاء مخ العبادة، والدعاء مفتاح الرحمة والوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة.

الدعاء محجوب عن الله حتى يصلي على محمد وأهل بيته.

الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض.

الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة.

الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا.

الدعاء بين النداء والإقامة.

الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بذنب يصيبه.

الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء.

الدعاء يرد البلاء.

روى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: **«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»**.

وروى الترمذي أنه صلوات الله عليه وسلامه قال: من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»**.

وروى أبو عوانة وابن حبان: أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإنه لا يتعاظم عن الله شيء»**.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاكثروا الدعاء**».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ أي الدعاء أسمع قال: «**جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات، يجهر في الدعاء، فقال كن كزكريا إذ نادى ربه نداء خفيا**».

قال شاعر يدعو ربه:

يا خالق الخلق يا رب العباد
قد قال في محكم التنزيل ادعونى
إني دعوتك مضطرا فخذ بيدي
يا جاعل الأمر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا
بصبر أيوب يا ذا اللطف نجني

ثم يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧).

وكان من دعاء السلف:

اللهم زهدنا في الدنيا، ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها.

ويقول الشاعر تطارده المشاكل:

أنت المعز لمن أطاعك	**والمذل لكل جاحد**
إني دعوتك والهموم	**جيوشها نحوي تطارد**
فافرج بحولك كربتي	**يا من له حسن العوائد**
فخفي لطفك يستعان به	**على الزمن من المعاند**
أنت الميسر والمسبب	**والمسهل والمساعد**
يسر لنا فرجا قريبا	**يا إلهي لا تباعد**
كن راحمي فلقد يئست	**من الأقارب والأباعد**
ثم الصلاة على النبي	**وآله الغر الأماجد**
وعلى الصحابة كلهم	**ما خر للرحمن ساجد**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما من مسلم يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخل له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم».**

قال أبو ذر الغفاري: يكفي من الدعاء مع البر مثل ما يكفي الطعام مع الملح.

وعن حسن البصري عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل»**، قالوا: وكيف يستعجل يا رسول الله؟ قال: **«يقول دعوت لله فلم يستجب لي»**.

قال الفقيه رحمه الله: ينبغي لمن دعا الله أن يكون بطنه طاهرا من الحرام فإن الحرام يمنع الإجابة، وروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم».**

يقول أحد الحكماء.. عن الله:

هو الخالق	❖❖	**ولا تشكرونه**
هو القادر	❖❖	**ولا تطيعونه**
هو النور	❖❖	**ولا ترونه**
هو الهادي	❖❖	**ولا تسيرون وراءه**
هو العزيز	❖❖	**ولا ترغبونه**
هو العليم	❖❖	**ولا تعرفونه**
هو السميع	❖❖	**ولا تخاطبونه**
هو العدل	❖❖	**ولا تتبعونه**
هو الغني	❖❖	**ولا تطلبونه**
هو الرحيم	❖❖	**ولا تصارحونه**
هو الوهاب	❖❖	**ولا تخدمونه**
هو المنتقم	❖❖	**ولا ترهبونه**
هو القهار	❖❖	**ولا تخشونه**
هو المجيب	❖❖	**ولا تدعونه**
هو الله	❖❖	**ولا تعبدونه**

... فإذا أدانكم ...

... فلا تلومونه ...

أحب عباد الله:

قال رجل لأبي الدرداء أما لنا من نصيحة في أحب الناس إلى الله..؟؟ فأجاب أبو الدرداء: لئن شئتم لأنصحن لكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الأرض نصحا.

..كما أدعو الله:

بينما كان المأمون بين حاشيته وبطانته في الطريق فجاءه رجل يعدو وراءه ويشتد في طلبه وينادي، يا عبد الله، يا عبد الله.. فغضب المأمون وقال له أتركض ورائي وتشتد في طلبي وتدعوني باسمي..؟ فقال الرجل: بلى يا أمير المؤمنين فقد دعوتك باسمك كما أدعو الله باسمه فأقول (يا الله يا الله).

..من أين تأكل؟

صلى معروف الكرخي خلف إمام، فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف: من أين تأكل؟ فأجاب معروف أصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك.. فقال له الإمام: ولم؟ فأجاب معروف: لأن من شك في رزقه شك في خالقه.

أحسن الناس وجوها:

قال رجل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها..؟ فأجاب الحسن أنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره.

واستمع الله دعاءه واستجاب له:

وقالوا أن رجلا من بني إسرائيل كان يتكسب من صيد السمك وكان يخرج صبيحة كل يوم يبحث عن رزقه بين لجج البحر وأمواجه غير حافل بما يلقاه من برد قارس وما قد يعانيه من حر شديد، وما قد يعترض طريقه من أهوال وصعاب ليعود في آخر النهار برزقه ورزق أولاده وما قد يملأ بطونهم من طعام وقوت وما قد يدفيء أجسامهم ويستر عوراتهم من كساء وغطاء، وكان رزقه كفافا تارة يتسع وتارة يضيق، وفي يوم من الأيام ذهب إلى البحر كعادته فرزقه الله سمكة كبيرة هامت نفسه بحبها لا ليأكلها ولكن ليبيعها فيقضي من ثمنها دينه ويحضر بعض ضرورياته فإن فضل من ثمنها شيء فهو قوت أولاده الصغار وأبنائه المستضعفين،

وجعل يتسم حوطا خيوط آماله ويجمع أطياف أحلامه، فحملها على كتفه إلى السوق وكلما اقترب من ساحته خطوة كلما تزايدت آماله وتضاعفت أحلامه وظن أنه بات في مأمن من الفقر وبعيدا عن العدم والإملاق، وما زال كذلك حتى دخل السوق وعرضها للبيع فتقدم إليه جندي غليظ الكبد منتفخ الأوداج مصعر الخد وقال له: بكم تريد أن تبيع هذه السمكة أيها الصياد؟ قال أريد أن أبيعها بكذا وكذا وغالى في ثمنها فأخذته العزة بالإثم وأخذها من الرجل قهرا وانتزعها من يده انتزاعا ثم صفعه صفعة قاسية أنسته كل ما كان يدور في رأسه حول السمكة من آمال وأحلام، فلما أفاق من صفعته تلفت بعينيه يمينا وشمالا ليرى الجندي فوجده قد ولى فاتبعه بصره وكأنما كان ينظر إلى ملك الموت وقد قبض روحه ليصعد بها إلى السماء.

وبقدر ما كان الجندي مزهوا فخورا وتياها مختالا وكأنما انتقل كل ما كان في رأس الصياد من حلم إلى رأسه، فجعل يمشي نشوانا ويترنح فرحانا حتى دخل بيته على زوجته وأولاده وكأنما يحمل إليهم مجد الدهور وعزه الأبدي، فاستقبلوه مبتهجين فألقى بالسمكة بين أيديهم غنيمة باردة ولقمة سائغة، فقالت له زوجته لا تبرح المنزل حتى نقطعها معا فإنى لا طاقة لى بها وحدي. فقال إن شئت ذلك فأحضري السكين. فأسرعت بها إليه فقبض على رأسها ليذبحها فعضته السمكة فلم يلق لها بالا، فلما فرغ من تجهيزها خرج ليقضي بعض حاجياته ريثما تهيئ له المرأة شيئا من لحمها الشهي ولم يبعد عن المنزل قليلا حتى كان إصبعه قد انتفخ ورما وأصبح في حالة من الألم يعجز أن يتحملها إنسان فلم يكن هنالك بد من أن يذهب بها إلى طبيب عصره، فقال له يا هذا لا بد من قطع إصبعك الساعة وإلا أضر بيدك كلها فأذن له في قطعها رغبة منه في الراحة وطمعا في السلامة والنجاة، وما أن فرغ منها حتى ورمت كفه كلها فعاد إلى الطبيب فقال لا بد من قطعها وإلا أضرت بساعدك فقطعها فورمت ساعده فأمره الطبيب بقطعها وإلا أفسدت ذراعه فسبقه الورم إلى عضده، ومنكبه، فقال له الطبيب لا بد من قطع الباقي من ذراعك وإلا أصيب جسمك كله، فقطعها من زندها وهكذا لا يفرغ من قطع حتى يسبقه الداء إلى العضو الذي بعده.

وما زال يفكر في أمره ويتخوف على الباقي من جسمه حتى نام ذات ليلة فرأي في منامه من يقول له: يا هذا أنت ظلمت من ظلمته فاذهب إليه فتحلله من ظلمك له وإلا قطع الله جسمك إربا إربا، فلما استيقظ من نومه جعل يسأل عن الصياد ويتتبع أخباره حتى عثر عليه فدفع إليه ثمن السمكة وتحلله من ظلمه له فعفا الرجل عنه، وعند ذلك توقف الداء في جسمه وبريء من علته وأصبح يعيش بين الناس بذراع واحدة ويمشي بينهم عظة وعبرة لكل ظالم لا يخاف الله ولا يتقيه وقالوا أن الله أوحى إلى نبي هذا الزمن: «**وعزتي وجلالي لولا أنه ترضى عبدي لعذبته بظلمه ما دام حيا**» وقد سأل أحد الصالحين هذا الصياد أكنت قد دعوت عليه؟ قال نعم أنه لما اغتصب قوتي وقوت أولادي بقوته وبأسه رفعت وجهي إلى السماء وقلبي يذوب كمدا وحسرة وقلت: (إلهي جعلتني ضعيفا وجعلته قويا فخذ لي بقدرتك وعزتك حقي منه فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة). فقال له يا أخي قد سمع الله منك واستجاب لك.

لا تسأل إلا الله:

قال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله وقد دخلا الكعبة: سلني حاجتك.. فقال سالم: أكره أن أسأل في بيت الله غير الله.

اشتهى الجنة:

مرض أبو الدرداء فعاده صديق له فقال: أي شيء تشتكي..؟؟ فأجاب أبو الدرداء: ذنوبي.. فقال الصديق: فأي شيء تشتهي..؟؟ فقال أبو الدرداء: الجنة..

عدو..وعدو:

قال غزال بلسان حاله لكلب كان يعدو خلفه: والله لن تلحقني أبدا.. فقال الكلب بلسان حاله: ولم لا ألحقك؟ فأجاب الغزال: ذلك لأني أعدو لنفسي، وأنت تعدو لصاحبك.

هو الله:

قال أعرابي لأبى جعفر محمد بن الحسين ﷺ: هل رأيت الله حين عبدته فأجاب أبو جعفر: لم أكن لأعبد من لم أره.. فقال الأعرابي: جل شأن الله وكيف

رآيتـه..؟؟ فأجاب أبو جعفر: لم تره الأبصار بشاهدة العيان، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجوز في القضيات، ذلك هو الله الذي لا إله إلا هو.. فهل عرفته يا أعرابي..؟

دعاء لم يستجاب:

دخل أزهر السمان على المنصور، فشكا إليه الحاجة وسوء الحال، فأمر له بألف درهم، وقال: يا أزهر لا تأتنا في حاجة أبدا. قال: أفعل يا أمير المؤمنين.

فلما كان بعد قليل عاد فقال له: يا أزهر، ما حاجتك قال: جئت لأدعو لأمير المؤمنين. قال: بل أتيتنا لمثل ما أتيت له في المرة الأولى، فأمر له بألف درهم، وقال يا أزهر لا تأتنا ثالثة، فلا حاجة لنا في دعائك. قال نعم.. ثم لم يلبث أن عاد فقال: يا أزهر، ما جاء بك؟ قال: دعاء كنت سمعته منك أحب أن آخذه عنك. فقال: لا تروه فإنه غير مستجاب وقد دعوت به الله جل وعز أن يريحني من خلقتك ولم يفعل.

الرزق:

شكا رجل إلى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل وينفق فقال: أن النفقة داعية إلى الرزق – وكان جالسا بين بابين – فقال للرجل: أغلق هذا الباب فأغلقه، فقال: هل تدخل الريح البيت؟ قال: لا.. فافتحه، ففتحه، فجلت الرياح تخترق البيت، فقال: هكذا الرزق، إنك إذا أغلقت الباب لم تدخل الريح، وكذلك إذا أمسكت لم يأتك الرزق.




اللسان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته».

ويقول ﷺ: «من وقاه الله شر ما بين لحيته وشر ما بين رجليه دخل الجنة» (يعنى لسانه وفرجه).

وفي الحديث الشريف: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله» (رواه الترمذي).

وفي حديث آخر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

قال الشاعر:

فإن لم تجد قولا سديدا تقوله

فصمتك عن غير السداد سداد

ومن أقوال سيدنا على رضي الله عنه: المرء مخبوء تحت لسانه فإذا ما تكلم ظهر. وقوله: لسان العاقل وراء قلبه.. وقلب الأحمق وراء لسانه.

وقول القائل:

وصمتك خير من إثارة فتنة

فكن صامتا وإن قلت فاعدل

ولا تك في مدح الأخلاء مفرطا

وإن أنت أبغضت الصديق فأجمل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض

حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقل

في حديث لرسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافرهم قلت، يا جبريل.. من هؤلاء؟ قال، هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقفون في أعراضهم» (رواه أبو ذر).

عن خالد الربيعي قال: كنت في المسجد الجامع فاغتابوا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا وأخذوا في غيره، ثم عادوا إليه.. فدخلت معهم في شيء من أمره فرأيت تلك الليلة رجلا أسود وطويلا.. ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لي: كل. فقلت والله لا آكل لحم الخنزير.. فانتهرني انتهارا شديدا وقال: «قد أكلت ما هو شر منه.. فجعل يدسه في فمي حتى استيقظت.. ثم يقول خالد الربيعى: «فوالله قد مكثت أربعين يوما ما أكلت طعاما إلا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنه في فمي».

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني.. قال: «**عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء**».. ثم قال ﷺ: «**واخزن لسانك إلا من خير فإنك تغلب به الشيطان**».

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع لا تصير إلا في مؤمن الصمت وهو أول العبادة، والتواضع، وذكر الله تعالى وقلة الشر**».

وعن النبي ﷺ قال: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

عن لقمان أنه قيل.. ما بلغ بك ما ترى يا لقمان.. قال: صدق الحديث.. أداء الأمانة.. تركي ما لا يعنيني.

قال حكيم: إن حساب الدنيا أيسر من حساب الآخرة.. وحفظ اللسان في الدنيا أيسر من ندامة الآخرة.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**خمس لا تكون في المنافق: الفقه في الدين، الورع في اللسان، التبسم في الوجه، النور في القلب، المودة في المسلمين**».

ذكر أن لقمان الحكيم قال لابنه: «يا بني من يصحب صاحب السوء لم يسلم.. ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم».

روي عن رسول الله ﷺ أنه لما بعث معاذا إلى اليمن فقال يا نبي الله أوصني.. فأشار إلى لسانه، يعني عليك بحفظ اللسان فكأنه تهاون به.. فقال يا نبي الله أوصني، قال: «**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم**».

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله: ما كان في صحف إبراهيم؟ قال ﷺ: **«كان فيها أمثال وعبر ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوبا في عقله أن يكون حافظا لسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه فإنه من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه».**

قال الشاعر:

العلم زين والسكوت سلامة

فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما أن ندمت على سكوت مرة

ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال آخر:

يموت الفتى من عثرة بلسانه

وليس يموت المرء من عثرة الرجل

وقال آخر:

في الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها ألف.. أولها الصمت عبادة من غير عناء.

ويقال: الصمت زين للعالم وستر للجاهل.

قال ابن عيينة: الصمت منام العلم، والنطق يقظته، ولا منام إلا بتيقظ، ولا يقظة إلا بمنام.. قال ابن المبارك: وهذا اللسان يريد الفؤاد يدل الرجل على عقله.

ويقال: اللسان سبع صغير الحجم، عظيم الجرم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك.. فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»** (رواه الترمذي) معنى تكفر اللسان أي تذل وتخضع له.

عن ابن مسعود، أنه كان على الصفا يلبي ويقول: يا لسان قل خيرا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم. فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أهذا شيء

تقوله أو شيء سمعته؟؟ فقال: لا. بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه.

وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن.. الصمت وحسن الخلق»**.

قيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبدا، قالوا: لا نستطيع ذلك. فقال فلا تنطقوا إلا بخير.

وقال سليمان بن داود -عليهما السلام-: إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

قال بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: **«الناس ثلاثة: غانم وسالم وشاحب.. فالغانم الذي يذكر اسم الله تعالى، والسالم الساكت، والشاحب الذي يخوض في الباطل»**.

وقال عليه السلام: «إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه.. وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه».

قال عيسى عليه السلام: «العبادة عشر أجزاء: تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس».

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام.. وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى سجن من لسان.

وقال طاووس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

وقال وهب: في كلمة آل داود: حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه.

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

قال حكيم: الصمت يجمع للرجل فضيلتين: السلامة في دينه والفهم عن صاحبه.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشر على الناس من حفظ الدينار والدرهم.

قال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله.

قال الحسن: تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له: مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: أخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت.

قال أنس: استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجر مربوطا من الجوع فمسحت أمه عن وجه التراب وقالت: هنيئا لك الجنة يا بني، فقال ﷺ: **«وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»**.. ولهذا قال النبي ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**.

اللسان: قالوا عنه:

- أكثر خطايا ابن آدم من لسانه.
- الصمت حكمة وقليل فاعله.
- رحم الله من سكت فسلم أو قال فغنم.
- قال حكيم: إذا أعجبك الكلام فاصمت.. وإذا أعجبك الصمت فتكلم.
- قيل لرجل: بم سادكم الأحنف فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا أكثركم مالا.. فقال: بقوة سلطانه على لسانه.
- وقيل الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها صارت في وثاقها.
- يقول علي رضي الله عنه: بحفظ اللسان تكون الهيبة.
- وقال الشاعر:

احفظ لسانك لا تقول فتبتل ... إن البلاء موكل بالمنطق

- وقال شاعر آخر:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

- روى مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد أن عيسى عليه السلام مر بخنزير على الطريق.. فقال له: أنفذ بسلام!! فقيل له: تقول هذا لخنزير؟؟ فقال: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء.
- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**» (متفق عليه).
- وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال ﷺ: «**قل ربي الله، ثم استقم**» قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «**هذا**» (رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح).
- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك.. وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**» (رواه الترمذي).

الأذن واللسان:

حضر قشيري مجلسا من مجالس العرب فأطال الصمت فقال له بعضهم: بحق سميتم خرس العرب؟ فأجاب القشيري: يا أخي، إن حظ الرجل في أذنه لنفسه، وحظه في لسانه لغيره.

الاعتذار - واجب:

أغلظ أحد الرجال لأبي مسلم الكلام فغضب عليه، فندم الرجل وأخذ يتوسل إليه ويطلب العفو عنه فقال له أبو مسلم: لقد عفونا عنك هو ما هو إلا لسان سبق ووهم أخطأ وما جراك على طول احتمالي لك وصبري عليك، فإن كنت قاصدا للذنب فقد شاركناك فيه، وإن كنت مغلوبا على أمرك فإن العذر يسعك.. فقال له الرجل: إن الذنب أيها الأمير لم يجعل قلبي مطمئنا، وألح في الاعتذار والاستغفار. فأجاب أبو مسلم: عجبا لك لقد أسأت إلينا فأحسنا إليك وعفونا عنك. فلما أحسنت بالاعتذار والتوبة فنسيء إليك.!

الكلام.. والدواء:

قال عمرو بن العاص: الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه فشل.

هذه هي البلاغة:

قال رجل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟؟ فأجاب عمرو بن عبيد: ما بلغك الجنة، وعدل بك عن النار.

سكت الناطق:

دخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه فأنكر ذلك عليه فقال له عمر، كيف أنت مع أهلك؟ فأجاب إذا دخلت سكت الناطق.. فقال له عمر: اعتزل فإنك لا ترفق بأهلك وولدك فكيف ترفق بأمة محمد ﷺ.

من أين هذا الأدب:

الأصمعي: من أدبك كل هذا الأدب؟

ابن المقفع: نفسي.

الأصمعي: يا بن المقفع أيؤدب الإنسان نفسه بغير مؤدب؟

ابن المقفع: وكيف لا؟ فكنت إذا رأيت في غيري حسنا أتيته، وإن رأيت قبيحا أبيته، وبهذا وحده تأدبت نفسي.

وصيــة..:

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز وهو في مرحلة الموت وقال: ألا توصي يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: فيم أوصي، فوالله ما أن لي من مال؟ فقال له مسلمة: هذه يا أمير المؤمنين مائة ألف فمر بها لمن أحببت؟ فأجاب عمر: أو تقبل؟.. فقال مسلمة: نعم يا أمير المؤمنين.. فقال له عمر: ردها على من أخذت منه ظلما.. فقال مسلمة في خجل: والله لقد ألنت قلوبا قاسية، وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا.

الرجل ليس بمظهره:

كان العقابي قليل العناية بلباسه فقال له يحيى بن خالد: إن زيك مبتذل يستر على النظر.. فقال له العقابي يا يحيى ليس الرجل بلباسه وعطره، فإن ذلك

حظ النساء وهدف أهل الأهواء، ولكن الرجل بأكبرية همته ولبه، وبأصغرية لسانه وقلبه، فاختر لنفسك ما شئت.

هو.. وإبليس:

قال رجل يا أبا العتاهية: كيف أصبحت..؟ فأجاب على غير ما أحب وعلى غير ما يحب إبليس.. فقال الرجل الصديق: كيف..؟ فأجاب أبو العتاهية: أنا أحب أن يكون لي ثروة، ولست كذلك. وإبليس يحب مني المعصية، ولست كذلك.

من فوائد العصا:

لقي الحجاج أعرابيا فقال له: ما بيدك..؟ فقال الأعرابي: عصاي أركزها لصلاتي، وأعدها لأعدائي وأسوق بها دابتي، وأقوى بها على سفري، وأعتمد عليها في مشيتي يسع خطوي، وأثب بها على النهر، وتؤمنني العثر، وألقي عليها كسائي، فيقيني الحر.. ويجنبني القر، وتدني إلى ما بعد عني، وهي محمل سفرتي، وعلاقة أدواتي، أقرع بها الأبواب، وألقي بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح الطعان وعن السيف عند منازلة الأقران، ورثتها عن أبي وسأورثها ابني من بعدي، وأهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى.

لسان لافظ وقلب حافظ:

لما بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة هرعت إليه الوفود من كل مكان تهنئه، وكان من بينها وفد أهل الحجاز فهم من بين الوفد غلام للكلام فقال له عمر: يا غلام ليتقدم ويتكلم من هو أسن منك.. فأجاب الغلام: يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أحسن له الاختيار، ولو أن الأمر بالسن لكان في مجلسك هذا من هو أحسن منك.. فقال له عمر: صدقت يا غلام فتكلم.. فتكلم الغلام بقوله: أيها الأمير، إنما نحن وفد التهنئة لا وفد الملق ولا وفد الترزئة، ولم نتقدم إليك رغبة فيك ولا رهبة منك، لأنا آمنا في أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا، وحققنا ما إليه سعينا.

الزيادة من الخير خير:

قال رجل لإياس بن معاوية: يا أبا إياس والله ما فيك عيب إلا كثرة الكلام..

فأجاب إياس: أفتسمعون صوابا أو خطأ؟... فقال الرجل: بل صوابا.. فقال إياس إذن فالزيادة من الخير خير.

لا تستقيم الحياة إلا به:

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال: رأس الأشياء فيه قوامها، وبه تمامها لأنه سراج ما بطن، وملاك ما علن، وسائس الحد هو زينة كل أحد، لا تستقيم الحياة إلا به، ولا تدور الأمور إلا عليه.

صرنا ثلاثة:

دعا بعض السلاطين مجنونين ليضحك منهما، فأسمعاه فغضب، فدعا بالسيف فقال أحدها للآخر: كنا إثنين وقد صرنا ثلاثة.

القول ساعات:

قال عبد الله بن الحسن لابنه: استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول: فإن للقول ساعات يضر فيها ولا ينفع فيها الصواب.

حسن الصمت:

قال لقمان لولده: يا بني إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك.

أمسك لسانك:

قيل لرجل: بم سادكم الأحنف، فوالله ما كان بأكبركم سنا ولا بأكثركم مالا.. فقال له الآخر: سادنا بقوة سلطانه على لسانه.

...إنه لم يتكلم:

تكلم رجل عند معاوية فهذر، فلما أطال قال له. أأسكت يا أمير المؤمنين؟ فأجاب معاوية بقوله: وهل تكلمت.

ريحه.. وريحه:

سأل رجل عمر.. لو كنت تاجرا فأي تجارة تختار؟ فأجاب: لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر. فإن فاتنى ريحه لم يفتني ريحه.

حفظ اللسان:

اجتمع قيس بن ساعده وأكثم بن صيفي فقال أحدهما للآخر كم وجدت في ابن آدم من العيوب..؟ قال الآخر: هي أكثر من أن تحصر، وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلها. فقال الأول: وما هي؟ فأجاب الآخر: حفظ اللسان.

عثرة الرجل.. وعثرة اللسان:

سأل أعرابي أعرابيا: ما الفرق بين عثرة الرجل وعثرة اللسان؟ فأجاب الآخر: عثرة الرجل تزيل القدم، وعثرة اللسان تزيل النعم.

لو حفظ لسانه:

كان بهرام جالسا ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه وقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والإنسان. لو حفظ هذا لسانه ما هلك.

حلاوة الأمل - وجمال الوفاء:

لجأ صاحب حاجة إلى الفضل بن سهل فقال له الفضل: إني أعدك اليوم وأحبوك غدا بالإنجاز.. فقال له صاحب الحاجة: إن خير البر عاجله.. فأجاب الفضل بقوله: إني أعدك لتذوق حلاوة الأمل، وأتزين أنا بثوب الوفاء.

عجوز.. لا تتكلم إلا بالقرآن الكريم:

جلست عجوز عربية لا تتكلم إلا بالقرآن إلى جذع شجرة في طريق الحج فأقبل عليها عبد الله بن المبارك وهو في طريقه إلى الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ وقال لها:

عبد الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العجوز: سلام قولا من رب رحيم.

عبد الله: ماذا تصنعين هنا؟

العجوز: ومن يضلل الله فلا هادي له.

عبد الله: ما وجهتك؟

العجوز: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

عبد الله: وكم لثبت هنا؟

العجوز: ثلاث ليال سويا.

عبد الله: وأين طعامك؟

العجوز: هو يطعمني ويسقين.

عبد الله: وأين ماء الوضوء؟

العجوز: فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا.

عبد الله: هذا طعام فكلي.

العجوز: ثم أتموا الصيام إلى الليل.

عبد الله: ليس هذا شهر رمضان.

العجوز: ومن تطوع خيرا فإن الله شاكرا عليم.

عبد الله: ورخصة الإفطار في السفر؟

العجوز: وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون.

عبد الله: تكلمي بمثل لهجتي.

العجوز: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

عبد الله: ومن أي القبائل أنت؟

العجوز: ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا.

عبد الله: سامحيني فقد أخطأت.

العجوز: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم.

عبد الله: أتدركين القافلة على ناقتي؟

العجوز: وما تفعلوا من خير يعلمه الله.

عبد الله: اركبي «وقد أناخ الناقة»

العجوز: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون.

ولما أخذ بزمام الناقة وصاح.

العجوز: واقصد في مشيك واغضض من صوتك.

ولما أخذ يمشي الهوينى ويهزج ويحدو.

العجوز: فاقرءوا ما تيسر من القرآن.

عبد الله: هل لك من زوج؟

العجوز: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدا لكم تسؤكم.

ولما أدركوا القافلة سألها:

عبد الله: هل من ولد أو قريب يمت لك فيها؟

العجوز: المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

عبد الله: وما عمل أولادك في القافلة؟

العجوز: وعلامات والنجم هم يهتدون (أى أدلاء القافلة).

عبد الله: ما أسماء أولادك؟

العجوز: واتخذ الله إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تكليما، يا يحيى خذ الكتاب بقوة، «ولما نادى عليهم بأسمائهم لبوا مسرعين» وقالت لهم: العجوز: فابعثوا أحدكم بورقكم هذا إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه.

ولما جاءوا بالطعام قالت لعبد الله بن المبارك:

العجوز: كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية.

هات ما عندك:

أتت ابنة الخس سوق عكاظ، فجاءها رجل يمتحن عقلها ويمتحن جوابها فقال لها: إني أريد أن أسألك.. وكان بينهما الحديث التالي:

ابنة الخس: هات.

الرجل: كاد.

ابنة الخس: المنتعل يكون راكبا.

الرجل: كاد.

ابنة الخس: الفقر يكون كفرا.

الرجل: كاد.

ابنة الخس: العروس تكون ملكا.

الرجل: كاد.

ابنة الخس: النعامة تكون طائرا.

الرجل: كاد.

ابنة الخس: السرار يكون سحرا.

«ثم قالت للرجل أسألك...».

الرجل: هاتي.

ابنة الخس: عجبت.

الرجل: للسباخ لا ينبت كلؤها ولا يجف ثراها.

ابنة الخس: عجبت.

الرجل: للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها.

وللكلام أربعة وجوه:

كان إبراهيم يطيل السكوت فإذا تكلم انبسط، فقال له اسحق الفزاري، لو تكلمت.. فقال إبراهيم، الكلام على أربعة وجوه.. فقال له الفزاري، وما هى؟ فأجاب إبراهيم: كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة، وكلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة، وكلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته، فأقل مالك في تركه خفة المئونة على بدنك ولسانك، وكلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نشره.

هذه هي البلاغة:

بين معاوية وصحار العبدي.

معاوية: ما تعدون البلاغة فيكم.

صحار: الإيجاز.

معاوية: وما الإيجاز؟

صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ.

ثم قال: يا أمير المؤمنين حسن الإيجاز ألا تبطئ ولا تخطئ.

يقولون ولا يفعلون:

قال عمرو بن الحارث: كنت متى شئت أجد من بعد وينجز فقد أعياني من بعد ولا ينجز، قال: وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون.

اتخاذ الأسباب:

مر الشعيب بإبل قد فشا فيها الجرب فقال لصاحبها: أما تداوي إبلك؟! فقال: إن لنا عجوزا نتكل على دعائها، فقال: لا بأس أن تجعل مع دعائها شيئا من القطران.

أثر الكلام الحسن في النفس:

دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم (الضياع: جمع ضيعة، وهي الأرض المغلة، والعمل النافع المريح كالتجارة والصناعة وغيرها من الحرف) وهو صبي أمرد فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: من أنت؟ قال: سليل نعمتك، وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك (الدوحة: الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة من شجر ما)، أتأذن فى الكلام؟ قال: نعم، فتكلم بكلام حسن فقضى حوائجه.

أوجز رسالة:

سئل جعفر بن يحيى عن أوجز كلام فقال: قول سليمان عليه السلام في كتابه إلى ملكة سبأ ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل:٣٠-٣١) فجمع ثلاثة أحرف: العنوان، والكتاب، والحاجة.

لماذا كان كلام الأوائل حجة؟!

قيل للحسن بن سهل: ما بال كلام الأوائل حجة؟ قال: لأنه مر على الأسماع قبلنا، فلو كان زللا لما تأدى إلينا، وما تناقل الرواة إلا صحيحًا مستحسنًا.

قيمة الكلمة:

قال رجل لعامر بن عبد القيس: حدثنا يا عامر عن الكلمة.. فقال عامر: إذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان.

حتى نسمع أكثر مما نقول:

قال أبو الدرداء لآخر: أنصف أذنيك من فيك فإنما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تقول..

الألكن..والأحمق:

تكلم رجل ذو عي في مجلس، فقال له رجل: إن سكوت الألكن نعمة.. فأجاب الرجل العي: نعم، وكلام الأحمق نقمة.

الناس وما يكتبون ويسمعون ويحدثون:

قال يحيى بن خالد: الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون.

السر:

أسر معاوية إلى عثمان بن عتبة بن أبي سفيان حديثًا فجاء إلى أبيه وقال له: يا أبت إن أمير المؤمنين معاوية أسر إليَّ حديثًا أنا محدثك به.. فقال عتبة: لا يا ولدي: فإن من كتم حديثه كان الخيار إليه ومن أظهره كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكًا بعد أن كنت مالكًا.. فاستفهم عثمان بقوله: أو يدخل هذا بين الولد وأبيه..؟ فأجاب عتبة لا، ولكني أكره أن تزل لسانك بإفشاء السر.

وكما قال المهلب: «إن أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه».


الشجاعة.. التواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (النحل:٢٣)

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٢١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٦)، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة:١٥).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠).

عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال خردل من إيمان»** (رواه أبو داود).

عن ابن عباس؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري. من نازعني واحدا منهما ألقيته في النار»** (ابن ماجه).

عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: **«تحاجت الجنة والنار. فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرثهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منكما ملؤها. فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى، رجله. تقول: قط قط قط. فهنالك تمتلئ. ويزوى بعضها إلى بعض. ولا يظلم الله من خلقه أحدا. وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا»** (متفق عليه من حديث أبي هريرة).

وقال رسول الله ﷺ: «بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسى المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا ويغى ونسى المبدأ والمنتهى» (رواه الترمذي).

عن حارثة بن وهب أنه سمع النبى ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟» قالوا: بلى. قال ﷺ: «كل ضعيف متضعف. لو أقسم على الله لأبره». ثم قال: «ألا أخبركم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كل عتل جواظ مستكبر» (رواه مسلم).

قوله ﷺ في أهل النار: «كل عتل جواظ مستكبر» وفي رواية: «كل جواظ زنيم متكبر» أما العتل بضم العين والتاء فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل الجافي الفظ الغليظ. وأما الجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة فهو الجموع المنوع، وقيل كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل القصير البطين، وقيل الفاخر بالخاء. وأما الزنيم فهو الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم شبه بزنمة الشاة. وأما المتكبر والمتسكبر فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس.

قال ﷺ: «إن في النار قصرا يجعل في المتكبرون ويطبق عليهم..» وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء».

وقال ﷺ: «من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الكبر.. والدين.. والغلول» (رواه الترمذي).

قال رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة التواضع»، وقال ﷺ: «إن العفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا رفعكم الله.. وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء، فتصدقوا يزدكم الله».

وقيل التواضع سلم الشرف. لبس مطرف بن عبد الله الوصف وجلس مع المساكين.. فقيل له في ذلك فقال: إن أبي كان جبار فأحببت أن أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره.

قال المسيح عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا.

قال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح، شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال.. وجعل قرار السفينة عليه.

قال الله تعالى لموسى عليه السلام: **«هل تعرف لم كلمتك من بين الناس؟ قال: لا يا رب. قال: لأني رأيتك تتمرغ بين يدي في التراب تواضعا لي».**

قيل: من رفع نفسه فوق قدره، استحق مقت الناس، قال أبو مسلم: ما تاه إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، وكل من تواضع لله رفعه الله، فسبحان من تواضع كل شيء لعز جبروت عظمته.

عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان الرسول ﷺ يفعله (متفق عليه).

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»** (رواه مسلم).

«من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله، ومن ارتفع عليه وضعه الله»(الطبراني)، وقالوا: تواضعوا لمن تعلمون منه، وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء، وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء،٢١٥).

قال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر.

قال الحسن: العجب من ابن آدم، يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل في ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات،٢١)، هو سبيل الغائط والبول.

وقد قال محمد بن الحسن بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر.

سئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة قال: الكبر.

قال النعمان بن بشير -على المنبر- إن للشيطان مصالي وفخوخا، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه: البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله.

قال رسول الله ﷺ في فضيلة التواضع: **«ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»** (رواه مسلم).

قال ﷺ: **«طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة»** (عن أنس).

وقال المسيح عليه السلام: «طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة».

قال بعضهم: بلغهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا هدى الله عبدا للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله**» (أخرجه الطبراني).

وقال ﷺ: «**أربع لا يعطيهم الله إلا من أحب، الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا**» (من حديث أنس).

قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة**» (حديث ابن عباس).

وروي أن رسول الله ﷺ كان يطعم.. فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه.

قال النبي ﷺ لأصحابه يوما: «**ما لي لا أرى عليكم حلاوة العباد**»، قالوا: وما حلاوة العباد، قال ﷺ: «**التواضع**».

وقال ﷺ: «**وإذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم**».

قالت عائشة: إنكم لتعقلون عن أفضل العبادات، التواضع.

قال يوسف بن أسباط: يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد.

وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو؟ فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له حتى لو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته.

قال الحسن: أتدرك ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلا رأيت له عليك فضلا.

قال مسلمة بن الأكوع: أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله قال: «**كل**

بيمينك». قال: لا أستطيع.. فقال: «لا استطعت، ما منعه إلا الكبر»، فما رفعها إلى فيه بعد.

عن أبي أوفى: كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمساكين فيقضي حاجتهم.

قال بعض الحكماء: ما رأيت متكبرا إلا تحول ما به، بي، يعني أتكبر عليه.

قال حكيم: التواضع سلم الشرف.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان،٦٣)، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء،٢١٥)، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة،٥٤)، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح،٢٩).

ومن أمثلة تواضع رسول الله ﷺ:

ومن تواضعه ﷺ كان يعود المريض ويتبع الجنازة، ويحب دعوة العبد، ويأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس العبد، ويخصف نعله بنفسه[١].. وكان ﷺ يرقع ثوبه معتمدا على نفسه، مع أنه كان في استطاعته أن يعيش كما يعيش الملوك.

ومن تواضع رسول الله ﷺ أنه كان يساعد أهل بيته في صنع ما يحتاجون إليه.. وكان يمر على الصبيان ويسلم عليهم.

وقد أتى رجل لمقابلة المصطفى ﷺ فارتعد الرجل من هيبته فقال له الرسول ﷺ: «هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»[٢].

وكان ﷺ يجلس بين أصحابه وهو مختلط بهم، كأنه واحد منهم.. فيأتي الرجل الغريب فلا يدري أيهم رسول الله حتى يسأل عنه.. وكان لا يدعوه أحد من الصحابة وغيرهم إلا قال: لبيك.

---

(١) خصف النعل: أي خرزها وأصلحها.

(٢) القديد: هو اللحم المقدد.

قمة التواضع:

خرج المصطفى ﷺ وهو متوكئ على عصا في يده، فقام له أصحابه فقال: **«لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا».**

قال أبو بكر رضي الله عنه: أثنى علي رجل عند النبي ﷺ فقال: **«ويلك..»**(١) قطعت عنق صاحبك، أي ألحقت به الضرر بمدحك وثنائك عليه فيسيطر عليه العجب.

قال أنس رضي الله عنه عرضت للنبي ﷺ امرأة وقالت: في أي نواحي السكك(٢) شئت أجلس إليك ففعلت.. فجلس إليها حتى قضت حاجتها.

يا عظمة تواضعك يا رسول الله:

فالمصطفى ﷺ يترك أصحابه، ويذهب إلى المرأة الفقيرة ويجلس معها في الزقاق ويسألها عن ما تحتاج إليه.. ويقدم لها ما تطلبه من المساعدة، ويزيل عنها ما تحس به من آلام الحاجة.. وهذا هو التواضع العظيم وهذه هي العظمة الخالدة.

قال تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان:١٨).

وقال تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (الإسراء:٣٧).

وقال رسول الله ﷺ: **«اوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد».**

وقال ﷺ: **«الا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره، الا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر».**

وقوله ﷺ: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه».**

عظمة الوفاء وعظمة الحنين:

روى ابن سعد بسنده عن عائشة أن أبا العاص ابن الربيع، كان فيمن شهد

---

(١) ويلك: كلمة عذاب.

(٢) السكك: الزقاق.

بدرا مع المشركين، فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، قدم في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع، وبعثت معه زينب بنت رسول الله ﷺ -وهي يومئذ بمكة- بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار، وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص بن الربيع حين بنى بها، فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص، فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة، عرفها ورق لها، وذكر خديجة، وترحم عليها، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا متعاها، فعلتم.

قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، وردوا على زينب قلادتها، وأخذ النبي ﷺ على أبي العاص أن يخلي سبيلها إليه، فوعده ذلك وفعل.

أمانة وشجاعة مسلم:

أخرج أبو أحمد الحاكم بسند صحيح عن الشعبي أن زينب هاجرت، وأبو العاص على دينه، فخرج إلى الشام في تجارة، فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج إليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه. فبلغ ذلك زينب فقالت: يا رسول الله أليس عهد المسلمين وعهدهم واحد؟ قال: نعم. قالت: فأشهد أني قد أجرت أبا العاص. فلما رأى ذلك الصحابة خرجوا إليه بغير سلاح. فقالوا له: إنك في شرف من قريش، وأنت ابن عم رسول الله فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة؟ فقال: بئس ما أمرتموني به: أن افتتح ديني بغدرة فمضى إلى مكة فسلمهم أموالهم، وأسلم عندهم ثم هاجر.

شفاعة أم سلمة:

وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث، ابن عمه عليه الصلاة والسلام، وأخوه من رضاع حليمة السعدية، ومعه ولده جعفر بن أبي سفيان، وكان أبو سفيان يألف رسول الله ﷺ، فلما بعث عاداه وهجاه! وكان لقاؤها له ﷺ بالأبواء، وأساسا قبل دخول مكة وقيل: بل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية، ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب، بين السقيا والعرج..

فأعرض ﷺ عنهما: لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو، فقالت له أم

سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك! وقال علي لأبي سفيان - فيما حكاه أبو عمر، وصحب ذخائر العقبى- أنت رسول الله ﷺ من قبل وجهه، فقل له ما قال أخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا، وإن كنا لخاطئين، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا: ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له ﷺ: «**لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**».

ويقال أنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ، منذ أسلم، حياء منه.

عظمة الشجاعة والجهاد:

كان عبد الله بن المبارك يقاتل ويحرض المؤمنين على القتال، ويجاهد ويكون فى أول الصفوف، ويجالد بقوة ويتقدم حيث يتأخر الأبطال، وهذا ما حدث به أحد المرافقين لابن المبارك في إحدى المعارك مع الروم.

حدث عبد المروري قال: كنا في سرية مع عبد الله ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله الرومي، ثم آخر فقتله، فتأخر عنه المسلمون فصال وجال بين الصفين ودعا إلى البراز، فخرج إليه فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثم وجهه ويكمه حتى لا يعرفه الناس، فأخذت بطرف كمه فمددته وأزحته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن المبارك. فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا.

ليكن لنا في جهاز فاطمة عظة وعبرة:

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة (بساط ذو وبر) ووسادة آدم (أي من جلد) حشوها ليف ورحيين (طاحونتين صغيرتين)، وسقاء (قربة) وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله سنوات حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي. فأتت النبي ﷺ، فقال: «**ما جاء بك وما حاجتك اي بنية؟**» قالت: جئت لأسلم عليك، واستحييت أن تسأله، فرجعت. فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله.

فأتياه جميعا، فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري. وقالت فاطمة: لقد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله عز وجل بفيء وسعة، فأخذ منا فقال: **«والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليه، ولكني أبيعهم، وأنفق عليهم أثمانهم».**

فرجعا، وأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما: إذا غطيا رؤوسهما تكشف أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشف رؤوسهما، فثارا، فقال: **«مكانكما»**، ثم قال: **«ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟»** قالا: بلى. قال: **«كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين».**

قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ.

عظمة الإيثار وعظمة التقوى:

وخرج ابن المبارك مرة إلى الحج، فاجتاز بعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه، وتخلف هو وراءهم فلما مر بالمزبلة إذا بنت قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفته، وأسرعت به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة، فقالت: أنا وأخي هناك ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظلم وأخذ ماله وقتل، فأمر ابن المبارك برد الأحمال، وقال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار. فقال: عد منها عشرين دينار تكفينا إلى مرو، وأعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام، ثم رجع.

عظمة المروءة وعظمة الكرم:

وكان ابن المبارك إذا عزم على الحج يقول لأصحابه من أهل مرو: من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتني بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه، فكان يأخذ منهم نفقاتهم، ويكتب على كل صرة اسم صاحبها، ويجمعها في صندوق فيقفل عليها، ثم يخرجهم من مرو إلى بغداد، في أوسع ما يكون من النفقات والركوب وحسن الخلق والتيسير عليهم، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب

الطعام وأطيب الحلوى ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأجمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ؛ فإذا صار إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من طرف المدينة؟ فيقول: كذا. فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا. ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم. فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث أثناء الطريق إلى بيوتهم، فأصلحت وبيضت، ورمم شعثها، وجصصت أبوابها. فإذا وصلوا إلى البلد عمل وليمة بعد قدومهم بثلاثة أيام، ودعاهم، فأطعمهم، فإذا أكلوا وسروا كساهم الثياب الجديدة، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه، وأخرج منه تلك الصرر، ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه، فيأخذونها، وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الثناء والجميل.

حاكم حمص من الفقراء:

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل حمص بالشام كتابا يأمرهم فيه أن يكتبوا له أسماء الفقراء عندهم ليعطيهم نصيب من بيت مال المسلمين، فكتبوا إليه قائمة طويلة وكان من بين هذه الأسماء اسم حاكمهم (سعيد بن عامر) فلما وقعت عليه عين سيدنا عمر تعجب أن يكون عاملهم فقيرا، فلما ناقشهم في ذلك قالوا له أنه ينفق كل راتبه على الفقراء ويقول ماذا أفعل وقد أصبحوا في حسابي وإني مسئول عنهم أمام الله وقد أضاعني عمر، فقال عمر والله ما أضعناه ولكنه أجهدنا معه، ثم سألهم عمر عن سيرته فيهم ومعاملته لهم قائلا: هل تعيبون عليه شيئا يا أهل حمص؟ فقالوا جميعا نعم، نعيب عليه أربع خصال، فقال لهم ما هي؟ قالوا أنه لا يخرج إلينا إلا ضحى ولا نراه ليلا أبدا، ويحتجب عنا يوما كاملا في الشهر ويغمى عليه من حين إلى حين.

فسأله عمر عن هذه العيوب وهل عنده جواب فيها أو دفاع عنها، فقال سعيد رحمه الله كل هذا حق يا أمير المؤمنين - أما أني لا أخرج إليهم إلا ضحى فإني لا أخرج إليهم حتى أفرغ من حاجة أهلي وخدمتهم فإني لا خادم لي، وأما

احتجابي عنهم بالليل، فإني جعلت النهار لقضاء حوائجهم وجعلت الليل لعبادة ربي أؤد حقه فيه، وأما اليوم الذي أحتجب عنهم فإني أغسل فيه ثوبي لا أملك إلا ثوبا واحدا، وأما الإغماء الذي يعتر بي بين الحين والحين فإني كلما تذكرت الشهيد (حبيب بن عدي) وما حدث له في مكة على يد الكفار والمشركين وأنا يومئذ كافر أخذني الخزي وأوجعني الندم أني لم أدافع عنه ولم استطع تخليصه مما هو فيه وأتمنى أن لو كنت آنذاك مسلما فأخلصه أو أموت معه، فأثار قوله أشجان عمر فجعل يبكي من قوله ليس لي خادم وزوجتي مريضة وليس لي إلا ثوب واحد وقد أعطاه سيدنا عمر مالا فلم ينصرف من مجلسه حتى وزعه على الفقراء والمساكين.

لا أثر من زينة الحياة الدنيا:

لما قدم سيدنا عمر الشام زائرا أرسل البطريرك رسولا لينظر إلى عمر فرآه يلبس مرقعة بسيطة ويركب ناقة متواضعة ليس عليه شيء من مظاهر الأبهة ولا أثر من زينة الحياة الدنيا ورأى رأسه مكشوفة للشمس لا يظله شيء، وبين يديه خبز جاف وأدامه الخل والزيت، فلما عاد إليه رسوله وأخبره بما رآه من شأنه قال له الرجل - وكيف رأيت وجهه قالت: رأيت النور يفيض من قسماته ويتدفق من ملامحه، عليه سمات المؤمنين وطابع المتقين، وأمارات الصالحين الزاهدين، عند ذلك قال الرجل لقومه: لا طاقة لكم به أعطوه ما شاء. فإن الله أخذ عهدا على نفسه أن من أذل الدنيا أعزه الله.

أحب الناس إلى رسول الله ﷺ:

وكانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضوان الله عليها جالسة مع أهل بيتها يوما فسألها سيدنا عروة بن الزبير من كان أحب الناس إلى رسول الله؟ فقالت فاطمة الزهراء فقال لها عروة أريد من كان أحب الناس إليه من الرجال؟ فقالت زوجها (تعني سيدنا علي بن أبي طالب) فو الله لقد كان صواما قواما يخاف الله ويخشاه ويذكره، ولا ينساه، وأشهد أني سألت رسول الله ﷺ عن سؤالك هذا فأجابني بمثل ما أجبتك، فقال لها عروة يا أم المؤمنين إذا كانت هذه منزلة علي من رسول الله وتلك مكانته من الصالحين فما الذي حملك على بغضه ومحاربته

فبكت طويلا حتى شربت بدموعها وقالت ذلك أمر قضاه الله ولا حيلة لي فيه، وما زلت أصوم وأقوم طمعا في رحمة الله أن يكفر عني ما كان.

وصفة البسطامي لكل متكبر:

قالوا أن رجلا من المتكبرين دخل على سيدنا أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه فشكى إليه قسوة قلبه وظلمة نفسه وقال له يا سيدي إني أجتهد في العبادة وأجد في الطاعة منذ عشرين سنة ولم أجد لها في نفسي حلاوة، ولا أحسست لها في قلبي ضياءا ولا نورا كما يخبر الصالحون عن أنفسهم ويتحدثون عن الألطاف والمنن التي يسوقها الله إليهم، فأدرك الشيخ رحمة الله عليه وعرف مرضه وتبين مكمن الداء في نفسه وأنه متكبر مغرور، فقال: له يا أخي. لو اجتهدت مائة عام في العبادة والطاعة سوف لا تجد لها لذة ولا تتذوق لها حلاوة، ولا تصل حبك بالله، فقال السائل؟ ولما قال لأنك محجوب عن الله بنفسك ويعيد عنه بطبعك، حجبك عنه الكبر وأبعدك عنه الغرور، قال فهل من دواء يا سيدي؟ قال: نعم. قال: فما هو؟ قال تذهب إلى الحلاق فتزيل عنك شعرك ثم تخلع هذه الثياب عنك وتدخل السوق فتشتري طعاما كثيرا وتحمله على كتفك وتجعل قلة في عنقك وتطوف على الفقراء والمساكين فتطعمهم من هذا الطعام، فإذا فرغوا سقيتهم من الماء وغسلت لهم أيديهم فإن سألوك الوضوء وضأتهم، فقال الرجل يا سيدي لا أستطيع هذا. فهل من دواء غير حمل الطعام وصب الماء؟ قال صدقت أنت لا تستطيع هذا لأنك مريض بقلبك وإذا تواضعت أنت إلى هؤلاء سألوا الله أن يشفيك من علة الكبر فيستجيب الله لهم آنذاك وينقلك من ديوان المتكبرين إلى زمرة المتواضعين فاستجاب الرجل وخرج بعيدا عن بلده وفعل ما أمره الشيخ بفعله ثم عاد إليه وهو كحالته، فلما أبصره الشيخ قال له يفعله لولا أنك متكبر عنيد لفعلت هذا بفقراء بلدك حتى يتشفعوا لك عند الله فجاهد الرجل نفسه وفعل هذا مع فقراء بلدته فدعوا له بخير فاستجاب الله دعاءهم وشفاه من مرضه وأصبح من المتواضعين وصحب الشيخ وكان من أصفيائه المقربين وأحبائه المتواضعين، وقد أذاقه الله بعد ذلك حلاوة العبادة ونفح قلبه بلطائف المنن وأجرى على يديه الكرامات، فكان الشيخ كلما أدب مريدا من أصحابه وضربه مثلا للمريد.

وكان الشيخ رحمة الله عليه من العلماء المتواضعين، قالوا أنه كان يمشي ذات يوم قاصدا منزله فلما رآه الصبيان التفوا حوله وحاولوا أن يعبثوا به، وكان رضي الله عنه يلبس شارة حمراء فظنه الصبيان من أهل الذمة الذين يدينون بغير الإسلام فتعلقوا بثيابه وجعلوا ينهرونه ويقولون:

أسلم يا يهودي. فقال لهم سيدي أبو اليزيد نعم سأطيعهم أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ففرح الصبيان فرحا شديدا وأظهروا الغبطة والسرور بإسلامه وجمعوا له جوزا فملئوا به جيبه وأحضروا له دابة فأركبوه عليها وجعلوا يطوفون به الشوارع والأزقة حتى مروا به على من يعرفه حق المعرفة فطرد عنه الصبيان ونهرهم في عنف وغلظ وقال لأبي يزيد يا سيدي لم أسلمت نفسك لهؤلاء الصبيان يعبثون بك هكذا؟ فقال له سيدي أبو اليزيد: لا تعجب يا أخي إن لهؤلاء فضل كبير علي، كنت غافلا فذكروني، وجائعا فأطعموني ومجهدا فأركبوني.

لا كسرى بعد كسرى:

قال رسول الله ﷺ: **«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»** (رواه البخاري).

ويحدثنا التاريخ بتحقق النبوءة بعد وفاة سيدنا محمد ﷺ، فقد أوفد الخليفة عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص ليقود جيش المسلمين في موقعة القادسية ضد الجيش الفارسي جيش كسرى بقيادة أعتى قادته «رستم»، وكان بدء المعركة في شهر محرم من العام الهجري الرابع عشر، ورغم تفوق الفرس في العدد والعدة تم للمسلمين النصر وسقط «رستم» قتيلا في المعركة، ومر شهران وتمت ملحمة المدائن حيث اقتحم المسلمون نهر دجلة وفق خطة عبقرية شجاعة فأصاب الفزع جنود الفرس الذين تصوروا أن نهر دجلة بفيضانه سيحميهم، وانهارت مملكة كسرى إلى الأبد وهرب «يزدجرد» -كسرى الفرس- إلى حلوان ذليلا مطاردا أما سعد بن أبي وقاص فوصل إلى إيوان كسرى وشاهد عرشه الذهبي وعندما حان موعد الصلاة أمر المؤذن بالأذان في إيوان الوثنية، فصلى المسلمون بإمامهم سعد الظافر وتم جمع الغنائم واختص سعد لنفسه منها سيف هرقل ليقاتل به، وتم توزيع الغنائم بما قضى الله في كتابه العزيز.

أما دولة القياصرة في الشمال والغرب وسلطانها في الشام وفلسطين وإفريقيا الشمالية فكل هذا الملك لقي نهايته على الفتح العربي.

من يريد أن يرى شهيدا يمشي علي الأرض فلينظر إلى طلحة:

بعد أن تلا الرسول ﷺ الآية الكريمة: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب:٢٣).. قال وهو يشير إلى طلحة **«هذا ممن قضى نحبه، ومن سره أن يرى شهيدا يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة».**

كانت هذه الكلمات -وسط جمع من الصحابة- بشرى واضحة بالشهادة لطلحة بن عبد الله وبأنه لن تناله فتنة: وأن تبشيره بالاستشهاد هو محض نبوءة نبوية فما كل الصحابة قد استشهدوا، والكثير منهم مات على فراشه، فمثلاً.. رغم كل أهوال الحروب التي خاضها سيف الله المسلول خالد بن الوليد مات على فراشه في هدوء.. أما ما كان من أمر طلحة فقد خاض حروبا طويلة أبلى فيها أحسن البلاء، وكان في أحد درعا بشريا مخلصا يذود عن الرسول ﷺ، ثم كانت موقعة الجمل حيث التقى الفريق المطالب بدم عثمان والفريق الذي يناصر علي ابن أبي طالب، وكاد طلحة أن يكون في أنصار عثمان لكنه آثر أن ينسحب من الميدان غير مقتنع بمناصرة مسلم على مسلم بلغة الدماء.. لكن مروان بن الحكم رماه بسهم أدخله في زمرة الشهداء.

الرجـــال:

سأل أعرابي الخليل بن أحمد: ما أنواع الرجال؟ قال الخليل: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فسلوه.. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك ناس فذكروه.. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك يسترشد فعلموه.. ورجل لا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه.

نظرة المرأة إلى الرجل:

وصفت أم معبد النبي ﷺ فأجادت وأحسنت فقال لها أحدهم: عجبا عجبا فما بال وصفك أوفى وأتم وأشمل وأعم من وصفنا؟ فأجابت أم معبد: أتعجبون..

أو لا تعلمون أن المرأة إذا نظرت إلى الرجل كان نظرها أغنى من نظر الرجل إلى الرجل، فما لكم كيف تحكمون.

بشارة الطلاق:

أراد الحجاج أن يطلق هند بنت أسماء، فبعث إليها بعشرة آلاف درهم للمتعة مع ابن القرية ويخبرها بذلك فقال لها: ابن القرية: إن الحجاج يقول لك كنت فبنت، وهذه عشرة آلاف متعة لك، فقالت له هند: كنا فما حسدنا، وبنا فما ندمنا، وهذه عشرة آلاف لك ببشارتك إياي بطلاقي.

الرجال ثلاثة:

سأل رجل الحسن: ما الناس؟! فقال الحسن: الناس ثلاثة.. فسأله الرجل: كيف؟ فأجاب الحسن: رجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل.. فقال الرجل: زدني إيضاحا.. فأجاب الحسن: الرجل، الرجل ذو الرأي والمشورة، وأما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور، والرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور.

إذا عرف السبب بطل العجب!

قيل: كان الأحنف مطيعا لجاريته، فقيل له في ذلك! فقال: كيف لا أطيع من لي إليه كل يوم حاجة؟!

العلية والسفلة:

قال عمرو بن العاص: لأن يسقط ألف من العلية خير من أن يرتفع واحد من السفلة.

بم نصح معاوية ابنه:

قال معاوية لابنه: كن مترفعا عن الناس، متسترا منهم.

وثلاثة تضر بأربابها:

قيل: ثلاثة تضر بأربابها: الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة، والتفريط في العمل اتكالاً على القدرة، وتكلف ما لا يطاق اتكالاً على القوة.

عشرة تقبح عشرة:

قيل: عشرة تقبح عشرة: ضيق الخلق في الملوك، والغدر في الأشراف، والكذب في القضاة، والخديعة في العلماء، والغضب في الأبرار، والحرص في الأغنياء، والسفه في الشيوخ، والمرض في الأطباء، والتهزى في الفقراء، والفخ في القراء!

وشأنهم التواضع:

قيل: أربع القليل منها كثير: الوجع، والنار، والدين، والعداوة.

ماذا كان يسعد الإسكندر أكثر وأكثر؟

قيل للأسكندر: أي شيء أسر لك؟ قال: مكافأة من أحسن إلي بأكثر من إحسانه، وعفوي عمن أساء بعد قدرتي عليه!

منتهى الشهامة:

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: **«إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به».**

فقالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، حتى أن الرجل ليأتي بالدلو، والرجل بقربة ماء صغير، حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا.

ثم ذهب إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. قال: هل أوفيت ذمتي؟ قالوا: اللهم نعم، فجزاك الله خيرا، فقد وجدناك وفيا كريما. قال فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما ردها الله تعالى إليكم وفرغت منها، أسلمت، ثم خرج، فقدم المدينة.

خليفة الرسول - حلاب:

روى ابن سعد في طبقاته أن أبا بكر رضي الله عنه كانت له طرائق في معاشه، قبل أن يبايع بالخلافة، فلما بويع بها يوم قبض رسول الله ﷺ، لم يبرح ما كان عليه

من تلك الطرائق، إلا ما اضطرته مصالح المسلمين إلى تركه، ومن ذلك أن أبا بكر -قال ابن سعد-: كانت له قطعة غنم، تروح عليه، وربما خرج هو نفسه فيها، وربما كفيها، فرعيت له.. وكان يحلب الحي أغنامهم!

فلما بويع بالخلافة، قالت جارية من الحي: الآن لا تحلب لنا منائح دارنا. فسمعها أبو بكر فقال: بلى.. لعمي لا حلبنها لكم!، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه!

فكان يحلب لهم.. فربما قال للجارية من الحي: يا جارية.. أتحبين أن أرعى لك، أو أصرح؟ فربما قالت: ارع.. وربما قالت: صرح.. فأي ذلك قالت فعل! رضي الله عنه وأرضاه.

معاوية والأحنف:

بينما كان معاوية ابن أبي سفيان، جالسا، وعنده وجوه الناس إذ دخل رجل من أهل الشام، فقام خطيبا وقال: لعن الله علي بن أبي طالب، فأطرق الناس، وفيهم الأحنف بن قيس، وكان معروفا بالحلم، فقال الأحنف يا أمير المؤمنين: إن هذا القائل، إن علم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم، فاتق الله، ودع عنك عليا، فقد لقى ربه، وأفرد بقبره، وخلا بعمله، وكان والله مبرزا في سبقه، طاهر الثوب، ميمون التقية، عظيم المصيبة، فقال معاوية: يا أحنف لقد أغضبت العين على القذي، أما والله لتصعدن المنبر، وتلعن عليا طوعا أو كرها. فقال الأحنف: إن تعفني خير لك، وإن تجبرني على ذلك، فوالله لا تجدني به شقيا أبدا، قال: وما أنت قائل يا أحنف، قال: أحمد الله وأصلي على نبيه، ثم أقول إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليا، وقد اقتتل علي ومعاوية، واختلفا وادعى كل منهما أنه بغي عليه، فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله، اللهم لعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه ولعن الفئة الباغية، أمنوا رحمكم الله، لا أزيد على ذلك ولا أنقص يا معاوية، ولو كان فيه ذهاب نفسي، فقال معاوية: إذن أعفيناك.

أين موضع النجاة:

دخل صالح بن عبد الجليل وكان ناسكا مفوها علي المهدي فسأله أن يأذن

له في الكلام فقال تكلم، فقال يا أمير المؤمنين أنه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مقام المؤدي عنهم وعن رسول الله ﷺ بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي لانقطاع عذر الكتمان في التقية لا سيما حين اتسمت بسيم التواضع ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحق على ما سواه، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم فأدبر عنه.

ومن أهدى إليه العلم فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها، فأقبل ما أهدى به إليك من ألسنتنا قبول تحقيق. فبكى المهدي حتى ظنوا أنه لا يسكت وقال: يا صالح لو وجدت رجالا يعملون بما آمرهم به وما أنوي في رعيتي لظننت أن ألقى الله عز وجل وألقى محمد ﷺ أقل ذنوبي وأهون حسابي. ولكن دلني على وجه النجاة فإن لم أعمل كنت أنا الجاني على نفسي، والمؤثر هواي على رضى ربي. قال له صالح: أنت يا أمير المؤمنين أعلم بموضع النجاة. قال: لو كنت أعلم بموضع النجاة ما كنت أولى بعظتي مني بعظتك.

وما هو إلا أن أركب سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا يصلح والله عليها أحد من هذا العصر. وذلك أن الناس في الزمن الماضي كان يرضى أحدهم التمر البالي وتنفعه الكسرة اليابسة، والماء القراح، وهم اليوم في مطارف الخز والوشي، ومائدة أحدهم في اليوم تمثل غنى ذي العيال في زمن عمر ولو أنني حملت الناس على سيرة العمرين في هذا العصر كنت أول مقتول، وذلك أن الفطام عن هذا الحطام شيء لا يصبر عليه إلا المرء السابق فأطرق صالح مفكرا ثم رفع رأسه فقال: يا أمير المؤمنين إنه ليقع في خلدي أنك قبلت قولي قبول تحقيق فقال المهدي شهيدي على ذلك هو الله فقبل صالح وقال: أعانك الله يا أمير المؤمنين على صالح نيتك وأعطاك أفضل ما تأمله في رعيتك ووهب لك أعوانا صالحين بررة يعملون بما يجب عليهم فيك ثم خرج.

هيا إلى الجهاد:

تحرش الرومان بالدولة الإسلامية وأخذوا بعض النساء المسلمات سبايا عندهم فوصل الخبر إلى الرقة وكان بها هارون الرشيد أمير المؤمنين. فقيل

لمنصور بن عمار الواعظ المشهور: لو اتخذت مجلسا بالقرب من أمير المؤمنين فرضت على الجهاد في سبيل الله فقبل منصور ذلك، وبينما هو على المنبر يعظ الناس ويحرضهم على الغزو ويرغبهم في الثواب ويذكر فضل الشهادة، ويحث على الأخذ بالثأر من الرومان وفك السبايا المسلمات، وإذا بلفافة وضعت في صرة ومعها كتاب قد طرحت على منصور بن عمار وهو يخطب ففك الكتاب فقرأ فإذا فيه (إني امرأة من أهل البيوتات من العرب بلغني ما فعل الروم بالمسلمات وسمعت تحريضك الناس على الجهاد وترغيبك في ذلك فعمدت إلى أكرم شيء في بدني وهما ضفيرتاي فقطعتهما وصررتهما في هذه الخرقة وأناشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس مجاهد في سبيل الله لعل الله العظيم أن ينظر إليَّ على تلك الحال نظرة فيرحمني بها وحين قرأ المنصور بن عمار هذه الورقة على الناس بكى وبكى كل الحاضرين، وكان لكلام هذه المرأة وفعلها أثر هائل في تهييج مشاعر الناس وإثارتهم على الجهاد وعلى الفور أمر هارون الرشيد أن ينادي بالجهاد وبالنفير وخرج بنفسه مع المجاهدين وانتصر على الرومان وفتح الله عليهم.

كل يفعل ما يروق له:

في عهد الملك نجم الدين الأيوبي كان الذي يحكم دمشق وتوابعها هو الأمير إسماعيل الذي تواطأ مع الصليبيين على أن يناصروه ضد نجم الدين الأيوبي ومقابل ذلك تنازل لهم عن بعض الضواحي كعبدا وإحدى قلاع المسلمين الحصينة، لا شك أن هذه خيانة للمسلمين أنكرها علماء الأمة وعلى رأسهم عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه الذي وقف ضد الأمير إسماعيل وقطع ذكر اسمه من الدعاء في خطبة الجمعة، فما كان من الأمير إلا أن عزل الشيخ عز الدين عن منصبه وأمر باعتقاله وحين صبر الشيخ عز الدين على اعتقاله صبر المؤمنون الصادقون. بعث الأمير إسماعيل إلى الشيخ من يسترضيه ويعده ويمنيه ويقول له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وزيادة أن تتكسر للسلطان وتقبل يده لا غير، فقال الشيخ لمن يعرض عليه ذلك: يا مسكين ما أرضى أن يقبل السلطان يدي فضلا أن أقبل يده.. يا قوم أنتم في واد وإنا في واد، والحمد لله الذي عافاني مما

ابتلاكم به فقال له رسول الأمير قد رسم لي إن لم توافق أن أشدد عليك في معتقلك. فقال الشيخ افعلوا ما بدا لكم وبقى في معتقله إلى أن انتصر نجم الدين فأخرجه من معتقله معززا مكرما فرضى الله عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام.

قاضي لا يخاف الخليفة:

روى عن صالح بن كيسان، أن الوليد بن عبد الملك ولى سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قضاء المدينة، فكان ذا دين وورع وصلابة في الدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأراد الوليد الحج، فاتخذ قبة ليجعلها حول الكعبة، ليطوف هو ومن أحب من أهله ونسائه فيها، وكان فظا متجبرا، فأراد بزعمه أن يطوف فيها حول الكعبة، ويطوف الناس من وراء المقصورة، فحملها على الإبل من الشام، ووجه معها قائدا من قواده، في ألف فارس من الشام، وأرسل معه مالا يقسمه في أهل المدينة، فقدم بها، فنصبت في مصلى رسول الله ﷺ، ففزع من ذلك أهل المدينة، فاجتمعوا فقالوا: إلى من نفزع في هذا الأمر؟ فقالوا: إلى سعيد ابن إبراهيم، فأتاه الناس فأخبروه الخبر، فأمرهم أن يحرقوها بالنار، فقالوا لا نطيق ذلك، معها ألف فارس من الشام، فدعا بمولى له، فقال: عليَّ بدرعي فجاء بدرع جده عبد الرحمن بن عوف التي شهد بها بدرا، فصبها عليه، ثم دعا ببغلته فركبها، فما تخلف عنه يومئذ قرشي ولا أنصاري، حتى أتاها فقال: علي بالنار، فأتى بنار فأضرمها فيها، فغضب القائد، فقيل له هذا قاضي أمير المؤمنين، ومعه الناس ولا طاقة لك بهم، فانصر راجعًا إلى الشام، قال ابن كيسان: وشبع أهل المدينة مما اكتسبوا من حديدها، فلما بلغ ذلك الوليد، كتب إليه: ولِّ القضاء رجلا وأقدم علينا، فولى القضاء رجلاً، وركب حتى أتى الشام، فقام ببابه شهرا لا يؤذن له، حتى فقدت نفقته، وأضر به طول المقام، فبينما هو ذات عشية في المسجد، إذا هو يفتي سكران، فقال: من هذا؟ قالوا: خال أمير المؤمنين سكران، يطوف في المسجد، فقال لمولى له: هلم السوط.

تفقد خروج نبي أمي في هذه البلاد:

وحدث الأصمعي قال: أصابت قبيلة نبهان سنة جدباء ذهبت بأموالهم

ومواشيهم ولم تترك فيهم زرعا ولا ضرعا فتفرقوا في البلاد يطلبون الرزق، وينشدون القوت وذهب منهم رجل بعياله حتى انتهى إلى جبل تهامة فترك أولاده به وقال لهم: كونوا قريبا من هذا البلد فعسى أن يصيبكم من فضله وخيره وأني سأضرب في الأرض حتى آتيكم بأرزاقكم. قال الأصمعي: فانصرف الرجل عن أهله، وما زال يسعى ويجد في السعي حتى انتهى إلى مكان إبل وغنم واشية فاطمأنت نفسه إلى أن هذه الماشية مملوكة لأربابها. قال الرجل: فنظرت حولي فإذا شيخ كبير مستظل بخبائه، فآويت إليه، فرحب بي وعجلوا بطعامي وإكرامي، وبينما أنا أتناول طعامهم إذ أقبل علينا فارس شجاع يسوق مائة من الإبل ومعها فحلها فلما رآه أهل الحي. قاموا إليه. فعلمت أنه سيد من ساداتهم وقد حلب له الشيخ من لبنها فنظر إلى شاه فذبحها وجدد ضيافتي، وضاعف من إكرامي على غير معرفة، ولكن على الرغم من هذا الكرم الكثير، وهذا الوجود الوفير لم تطب نفسي، ولا سكن خاطري فقد كنت مشغولا بأهلي، قلقًا على عيالي فأضمرت في نفسي شرًا، وبيت للقوم مكرًا، فلما دخل الليل، قام الجميع وتظاهرت بالنوم معهم حتى أخدعهم فلما هدأ الحي، وأطبق الظلام حللت فحل الإبل وفككت عقال النوق ثم أعطيت ظهر الفحل ولوحت إلى بقية الإبل فتبعت فحلها.

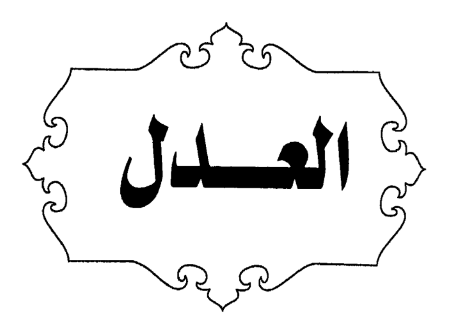
وقد أسرعت في السير، أشرق النهار، وطلعت الشمس وأيقنت أني في مكان آمن وقد أصبحت قريبا من أهلي وأولادي، إذا بفارس الأمس قد أقبل عليّ، وأيقنت أنه قاتلي لا محالة فقمت إلى سيفي فاخترطه من غمده فلما أبصرني الفارس قال – وهو بعيد عني – أخيانة وغدرًا: فقلت له: لا والله يا سيدي، ليس الغدر من شيمتي، ولا الخيانة طبيعتي ولكنني تركت خلفي عيالاً جياعًا، وخلفت ورائي أناسا محاويج فقال الرجل: إنك ميت لا محالة، وأخرج قوسه من جرابه، ووضع فيه سهمًا رائشًا وشده بقوة وقال: يا هذا في أي مكان تريد أن أضع سهمي؟.

فأشرت إلى عقدة في حبل كان في جانبي وقلت له: ضعه في هذه العقدة. فرمى به إليها فأصابها وكأنما وضعه بيده فيها. فتخوفت منه على نفسي وأدركت أن السيف لا يغني عني شيئا فأعدته إلى غمده فأقبل على رشد وتأني وأعادني إلى خيمته، فلما سار بي أيقنت أني هالك ولا بد ولا سيما أنه قطع الطريق إلى

خيانة صامتًا دون أن يحدثني بشيء مما جعلني أسيء الظن به، وأكثر من الهواجس فقلت من قبيلة «نبهان» فقال: وما حملك على ما صنعت؟ قلت الفقر وشدة الجوع. فقال: لن ينالك شر أبدًا فتعجبت من كرمه، ودهشت لمعروفه، وقلت: والله لا يفعل هذا المعروف ويعفو هذا العفو عن عزيمة إلا «زيد الخيل» فتهلل وجهه بشرًا، وتألق جبينه سرورًا وقال: أو تعرف «زيد الخيل»؟ قلت: إذا كنت لم أره فإني لا أجهل مكارمه، فقال: يا أخي ها أنا ذا «زيد الخيل»، فقلت له: ألا تفك وثاقي حتى أشبع النظر منك؟ فأقبل عليّ ففك وثاقي، ثم جدد كرامتي، وأحسن ضيافتي ثم قال لي: أو أعجبتك هذه الإبل التي فررت بها؟ فضحكت من قوله ثم قلت: يا أخي لولا أنها أعجبتني ما فررت بها، فقال زيد: والله لو كانت لي لوهبتها لك، ولكنها لابنه «مهلهل»، ولكن سأعطيك ما هو خير منها، فمكثت عنده ثلاثة أيام وبعدها أعطاني إبلا تفوق المائة، وأغناما ومالا كثيرًا، فلما هممت بالإنصراف قال لي الشيخ الذي كان جالسًا معنا بالأمس: أيها الرجل، احتفظ بإبلك هذه ولا تفرط في غنمك ومالك، فقد آن خروج نبي أميّ في هذه البلاد، ويملك هذه الأرض، ويطرد اليهود من جزيرة العرب، وسوف يأخذ أموالهم غنيمة وفيئا للمسلمين وسوف يبيعها لمن شاء بأزهد الأثمان حتى أن الرجل ليبتاع البستان النضير بثمن جمل أو بعير، قال النبهاني: فسمعت نصيحته ووعيت مقالته، وأيقنت أنه ما قال هذا إلا لأن عنده فيه علم.

وما زلت أسعى حتى أتيت أهلي وقد أضناهم الجوع وأجهد أجسامهم، فلما رأوني مقبلاً فرحوا بي، وهموا للقائي فقلت لهم: إن أعظم مما ترون، وأجل مما تشاهدون ما سوف أبشركم به، لقد أظلنا زمن النبي الأمي، وسوف يضاعف الله الغنى والثراء على يديه فسروا بذلك أضعاف سروري، وتحولنا إلى أرض «نبهان» وأقمنا بها حتى ظهر رسول الله فجئت إليه مع أهلي وبايعته على الإسلام، وحدثته عن معروف «زيد الخيل» وما صنع بي وهو يقدر عليّ وأخبرته ببشارة «الشيخ» لي فقال: «الشيخ صادق إن شاء الله»، وقد عشت حتى أجلى الرسول ﷺ اليهود عن المدينة وابتعت بستانًا من حدائقهم بثمن بعير.




العدل

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ (ابراهيم:٤٢).

العدل هو ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي والمحق من المبطل.

أفضل الأزمنة ثوابًا أيام العدل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لعمل الإمام العادل في رعيته يوما واحدا، أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما**».

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**وعدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة**».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم.. الإمام العادل. والصائم حين يفطر.. ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء**».

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الأحبار: أخبرني عن جنة عدن؟ قال: يا أمير المؤمنين لا يسكنها إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو إمام عادل.

سأل الإسكندر حكماء أهل بابل: أيما أبلغ عندكم، الشجاعة، أو العدل؟ قالوا: إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة.

وقيل: إذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته.

كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو إليه من خراب مدينته ويسأل مالا يرمها به. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: قد فهمت كتابك، فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل، ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها... والسلام.

ومن كلام كسرى: لا ملك إلا بالجند، ولا جند إلا بالمال، ولا مال إلا بالبلاد، ولا بلاد إلا بالرعايا، ولا رعايا إلا بالعدل.

وقيل مات بعض الأكاسرة فوجدوا له سطلا ففتح فوجد فيه حبة رمان

كأكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها.. هذه من حب رمان عمل في خراجه العدل.

قال المنصور: وددت لو أني رأيت يوم عدل ثم مت.

قال الشاعر:

فلم أر مثل العدل للمرء رافعا

ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

يقول معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا إلا الله.

أنشد بعضهم:

لا تظلمن ما كنت مقتدرا

فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

عن عبد الله بن سلام قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء وقالوا: يا رب.. مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبت أحدا قط هيبتي رجلا لم أكن عادلا معه وظلمته.. وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي: «حسبي الله.. الله بيني وبينك».

رسول الله ﷺ يأمر أتباعه بتحري العدل:

وقد أمر رسول الله ﷺ: أتباعه بتحري العدل ونهاهم في كثير من أحاديثه عن الظلم: من ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.. واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**».

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم[1] فإذا أخذه لم يفلته».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا.. وقذف هذا.. وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

وعن العدل.. الذي هو الحق:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع[2] حق امرئ مسلم فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة..» فقال رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله فقال ﷺ: «وإن كان قضيبا من أراك»[3].

وفي الحديث القدسي الذي رواه النبي ﷺ عن ربه: يقول الله عز وجل: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا».

حبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر، فكتب إليه من السجن هذين البيتين:

أما والله إن الظلم شؤم

وما زال المسيء هو المظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا

غدا عند المليك من الملوم

مما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب والعدل استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا شديدا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده

---

(١) أي ليمهل الظالم.

(٢) أي أخذ.

(٣) الأراك: شجر يؤخذ منه السواك.

فاستحضر المعلم وقال له: ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب؟ فقال المعلم: لقد عرفت أنك ستكون ملك البلاد بعد أبيك فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى تكون عادلا ولا تظلم أحدا.. فقال: جزاك الله خيرا يا خير معلم.. وأعدك أن أكون عادلا ولا أظلم أحدا.

وقيل: عدل قائم خير من عطاء دائم، وقيل: لا يكون العمران حيث لا يعدل السلطان.

قال حكيم: إن للعدل سور لا يغرقه ماء ولا تحرقه نار، ولا يهدمه منجنيق.

قال حكيم آخر: العدل يسع الخلق جميعا والظلم يقصر عن واحد.

قال كعب الأحبار: من لم يعدل بين الناس وظلم خرب بيته.

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم فإنها مجابة**».

ولا محاباة في الحكم:

أخرج الثعلبي وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس ﵄: (أن رجلا من المنافقين يقال له بشر خاصم يهوديا، فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف، ثم أنهما احتكما إلى النبي ﷺ، فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق! وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهودي لعمر ﵁: قضى لنا رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه، فقال للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فدخل عمر فاشتمل على سيفه، ثم خرج، فضرب عنق المنافق حتى برد، ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله ﷺ) فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (النساء،٦٠).

جزاء كل أمير لا يعدل في رعيته:

قدم هشام بن عبد الملك حاجا إلى مكة. فلما دخلها قال: ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين: قد تفانوا، قال فمن التابعين: فأتوه بطاووس

اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بإمرة أمير المؤمنين. ولكن قال: السلام عليك. ولم يكنه ولكن جلس بإزائه. قال: كيف أنت يا هشام، فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله. فقيل له أنت في حرم الله ورسوله فلا يمكن ذلك. فقيل له يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟ فازداد هشام غضبا وقال: لقد خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي. ولم تسلم بإمرة المؤمنين ولم تكنني. وجلست بإزائي بغير إذني. وقلت كيف أنت يا هشام: فقال: أما خلعت نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي. وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده يرحمه، وأما قولك لم تسلم بإمرة أمير المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله ناس قيام، وأما قولك لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أولياءه وقال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى، وكنى أعداه فقال: «تبت يدا أبي لهب» فقال هشام: عظني، فقال: سمعت من أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يقول: «إن في جهنم حيات كأمثال القلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وذهب».

كن مع الحق حتى يتبعك أهله:

قال المنصور: يا أبا عثمان عظني فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ قال: فبكى شديدا كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة وقال: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها. واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك وإني أحذرك ليلة تمخض ضبيحتها عن يوم القيامة قال: فبكى والله أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه فقال له سليمان ابن مجالد، رفقا يا أمير المؤمنين قد ابتعته منذ

اليوم. فقال له عمرو: وبمثلك ضاع الأمر وانتشر بأمثالك وماذا خفت على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله؟ فقال له أمير المؤمنين: يا أبا عثمان أعني بأصحابك استعن بهم قال: أظهر الحق يتبعك أهله، قال: لقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك. قال: لا حاجة لي فيها، قال: والله لتأخذنها، قال والله لا أخذها فقال له المهدي: يحلف أمير المؤمنين وتحلف فقال: من هذا الفتى فقال: هو ابني محمد وهو المهدي وولي العهد فقال: والله لقد سميته اسما ما استحقه عمله ولقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم التفت إلى المهدي فقال: يا بن أخي إذا حلف أبيك وحلف عمك فإن أباك أقدر على الكفارة من عمك ثم قال: يا أبا عثمان هل من حاجة قال: نعم. قال: وما هي؟ قال: لا تبعث إلي حتى آتيك. قال: إذا لا نلتقي قال: عن حاجتي سألتني: قال فاستحفظه وودعه ونهض قائما مد بصره وهو يقول:

كلكم يمشي رويدا كلكم يطلب صيدا

غير عمرو بن عبيد

ما أجمل أن يأخذ الإنسان الأمان من ربه:

يقول الأوزاعي، بعث إلي المنصور أمير المؤمنين وأنا بساحل الشام فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي؟ قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم قلت فانظر يا أمير المؤمنين أن تسمع شيئا ثم لا تعمل به فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف انتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت: يا أمير المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: **«أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه»**، يا أمير المؤمنين قال رسول الله ﷺ: **«أيما وال بات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة»**، يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قام إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل فقال يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا متكبرا. فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: **«اقتص مني»** فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا

ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير. يا أمير المؤمنين ارض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك. يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين جاء في تأويل هذه الآية عن النبي ﷺ: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ (الكهف:٤٩)، قال: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن. يا أمير المؤمنين، بلغني أن عمر بن الخطاب قال: لو ماتت بغلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟ يا أمير المؤمنين جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ (ص:٢٦)قال: يا داود أقعد الخصمين بين يديك وإن كان لك في أحدهما شيء فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي. يا داود جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويكلوا الهزيل على الكلأ والماء. يا أمير المؤمنين استعمال عمر بن الخطاب رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال: لا قال وكيف لك؟ قال: لأنه بلغني أن الرسول ﷺ قال: **«ما من وال يلي شيئا من أمور المسلمين إلا أتى به القيامة مغلولا يده إلى عنقه على جسر في النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة يزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا»**، فقال له ممن سمعت هذا؟ فقال: من أبي ذر وسلمان فأرسل إليهما عمر فسألهما فقال: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ فقال عمر واعمراه من يتولاها بما فيها فأخذ أبو جعفر المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني.

رسول الله ﷺ يأمر أتباعه بتحري العدل:

وقد أمر رسول الله ﷺ: أتباعه بتحري العدل ونهاهم في كثير من أحاديثه عن الظلم: من ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.. واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»**.

التزام العدل في الأقوال والأفعال:

حدث في العهد النبوي أن رجلا اسمه طعمة بن أبيرق سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان.. ثم خبأها عند رجل من اليهود اسمه زيد بن السمين. فسأل قتادة طعمة عنها فأنكرها.. وزعم أنه لا علم له بها.. فأخذ قتادة يبحث عنها حتى وجدها عند اليهودي وسأله فقال: دفعها إليَّ طعمة.. ورفع الأمر إلى النبي ﷺ.. فأحضر ﷺ طعمة وسأله: «**أأنت سرقت هذه الدرع ووضعتها عند زيد بن السمين..**» فأنكر ذلك وسأل ﷺ زيد بن السمين: «**أعندك شهود على أن طعمة قد وضعها عندك؟**» فقال: لا.. وجاء أقارب طعمة يدافعون عنه.

وأمام هذه القضية الملتبسة نزل القرآن الكريم ليحق الحق ويبطل الباطل ويحقق العدل والعدالة قولا وفعلا ويمنع الظلم.. نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ صدق الله العظيم.

ولقد صار السلف الصالح على هذا الهدي الكريم الذي يحقق العدل ويرهق الظلم. فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي الأشقر النخمي الذي ولاه على مصر بقوله وهو يحثه على تحقيق العدل: «انصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هو من رعيتك فإنك إن لم تفعل تكن ظالما ومن ظلم عباد الله كان خصمه ومن خاصمه الله أبطل حجته وليس شيء أدعى إلى تغيير النعمة وتعجيل النقمة من الظلم فأت الله تعالى يسمع دعوة المظلومين وهو للظالم بالمرصاد.

ورحم الله القائل: إن الله تعالى يقيم الدولة الكافرة مع العدل ولا يقيم الدولة المسلمة مع الظلم. وقال بعض الحكماء: لا أملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالتعمير ولا تعمير إلا بالعدل، فالعدل أساس الملك.

هذا هو دين الحق:

تولى أبو يوسف قضاء بغداد على كره منه وبعد شدة وضغط من الرشيد عليه، وذات يوم جاء إليه يهودي يتظلم من أن أمير المؤمنين أخذ منه مالاً ولم يرده

إليه. فأرسل القاضي حاجبه إلى الرشيد ليحضر فلما مثل بين يدي أبي يوسف. أمره أن يقف جنبا إلى جنب مع خصمه، ثم قال له: يا هارون إن هذا الرجل يدعي عليك أنك أخذت منه مالا فقال الرشيد: إنه مبطل في دعواه. فالتفت القاضي إلى اليهودي وقال له: أين بينتك؟ فأجابه وهل أستطيع أن استحضر شهودا يشهدون على أمير المؤمنين؟ فسكت أبو يوسف قليلا. ثم حكم على الرشيد أن يدفع لليهودي ما ادعاه عليه، ولما حضرت أبا يوسف الوفاة رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم أنك لتعلم أني لم أمل لأحد الخصمين حتى بالقلب إلا في خصومة بين الرشيد واليهودي لم أسو بينهما. وحكمت على الرشيد ثم ابتلت لحيته بالدموع وفاضت روحه رحمه الله).

أين أعوان الظلمة؟

عن ابن عمران الجوني قال: لما ولي هارون الرشيد الخلافة، زاره العلماء فهنأوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال، وأقبل يجهزهم بالجوائز وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر التمسك والتقشف وكان مؤخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديما فهجره سفيان ولم يزره فكتب إليه هارون كتابا يقول فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد الثوري بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى آخى بين المؤمنين وجعلت لك فيه وله وأعلم أني قد آخيتك مؤاخاة لم أحرم بها جبلك ولم أقطع منها ودك وأني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة وأعلم يا أبا عبد الله أني ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضله وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل، فلما وصل الكتاب إلى سفيان وقرأه.

قال: اقلبوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان شيء اكتسبه من

حلال فسوف يجزى به وإن كان شيء اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب؟ فقال: اكتبوا. ومما أملاه عليهم (يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم. هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام. فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا واعلم أنك ستقف بين يدي الله الحكم العدل. يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون يد السارق. أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمك بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلى عدلك وإنصافك والظالمون حولك وإنك لهم سابق وإمام إلى النار.

كأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت الساق، وأنك ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك. بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمد ﷺ في أمته وأحسن الخلافة عليهم، والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى هارون أقبل يقرأه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فقال هارون: المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه.

في جور الراعي هلاك الرعية:

كتب الإمام أبو يوسف في مقدمة كتابه «الخراج»، يقول للرشيد: «يا أمير المؤمنين إن الله وله الحمد قد قلدك أمرا عظيما، ثوابه أعظم ثواب وعقابه أشد

العقاب، قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير، قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه، فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية. فإن القوة في العمل فبادر الأجل بالعمل فإنه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه.

فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته، ولا تزغ فتزيغ رعيتك، وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة. فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى، وكن من خشية الله على حذر واجعل الناس عندك في أمر الله سواء «القريب والبعيد» ولا تخف في الله لومة لائم، واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان. واتق الله، فإن التقوى بالتوقي، ومن يتق الله يقه. فالله الله، فإن البقاء قلبا، والخطب خطير.. والدنيا هالكة وهالك من فيها، والآخرة هي دار القرار، فلا تلق الله غدا وأنت سالك سبيل المعتدين. فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم، وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك الله، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله، فاحذر أن تضيع رعيتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيعك بما أضعت أجرك وأن الله بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاة الزمر خلفاء في أرضه. وجعل لهم نورا يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور، وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة فاستتم ما أتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها والتمس الزيادة بالشكر عليها».

المنكر في ابن أحمد بن طولون:

ومما أثر عن أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر أنه كان يعدل في دولته وكان يحذر ولاته وقضاته أن يكونوا ظالمين، ومما جاء في تاريخه دليلا على أنه كان يحب العدل ويكره الظلم هذه القصة:

قالوا أنه كان جالسا يوما فدخل عليه رجل من رجال الشرطة وقال له أن

أحد القضاة رأى ولدك العباس ومعه آلة موسيقية فأخذها منه وحطمها وكان ابنه العباس ماجنا حقا، فقال له ابن طولون علي بالشيخ، فأحضره سريعا حتى أوقفه بين يدي الأمير ابن طولون، فنظر إليه مغضبا وقال له أيها الشيخ أتدري ماذا فعلت؟ قال نعم لو لم أدره لم أعلمه، فقال له أفتدري ابن من هذا الذي كسرت عوده؟ قال نعم أدري أنه ابنك العباس، وقد قابلني يحمل عود أو معه غانية ماجنة فأخذت منه العود فكسرته، فقال له الأمير أو ما كنت تكرمه من أجلي؟ قال: أفترضى أن أكرمه بمعصية الله وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١) والنبي ﷺ يقول: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» فشكره ابن طولون على موقفه من ابنه وجرأته في الحق وفقهه في الدين، وقال له يا هذا كل منكر رأيته في هذه الدولة فغيره وأزله وأنا من ورائك أشد أزرك وأعينك على تنفيذ أمر الله.

الإسلام يدعو إلى المساواة:

روي أن رسول الله ﷺ كان في سفر، وأمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال أحدهم: يا رسول الله عليَّ ذبحها، وقال آخر، عليَّ سلخها وقال ثالث: عليَّ طبخها، فقال الرسول ﷺ وعليَّ جمع الحطب، قالوا: يا رسول الله نكفيك العمل فقال: علمت أنكم تكفونى، ولكني أكره أن أتميز عليكم، وأن الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه.

وروى أن يهوديا شكا عليا بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب فلما مثلا بين يديه قال عمر لعلي: أجلس يا أبا الحسن مع خصمك مجلس الخصومة فظهرت دلائل الألم والغضب على وجه علي. ولحظ ذلك عمر فقال: أكرهت يا علي أن يكون خصمك يهوديا، وأن تجلس معه أمام القضاء.. فأجاب: لا، ولكنني غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه، ناديتني بكنيتي، فرفعتني عليه فكرهت ذلك ورأى عمر ابن الخطاب -وهو خليفة المسلمين- رجلا وامرأة على فاحشة، فجمع الناس وقام فيهم خطيبا، ثم قال ما تقولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على

فاحشة؟ فأجابه علي بن أبي طالب: يأتي بأربعة شهداء، أو يجلد حد القذف، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور،٤). فسكت عمر، ولم يعقب على كلام علي بشيء.

الرسول ﷺ يطالب الشباب بدستور قوامه الوقوف مع المظلوم حتى يأخذ حقه:

ورد في حديث البخاري، أن الرسول ﷺ لما بلغ العاشرة من عمره، جمع صفوة من الشباب المكي، وكان الرسول ﷺ دونهم سنا، واجتمع بهم في دار عثمان بن مظعون، وكون حزبا لنصرة الضعيف، وحفظ مال الأرامل واليتيم، والوقوف بجانب المظلوم، حتى يأخذ حقه من الظالم. وقال لأصحابه في ذلك المجلس: «**هل ترضون هذا الهوان لأخيكم الإنسان؟ استبداد ما حق، وعقوق ما رق، وحقوق مأكولة، وضعفاء أذلاء، وأيتام وأرامل مهضومو الحقوق، تؤكل أموالهم أكلا لما ومظلومون لا نسمع دعواهم، ولا يقام لهم وزن**».

وطلب من هؤلاء الشباب تكوين جماعة لها دستور قوامه الوقوف بجانب المظلوم حتى يأخذ حقه، وبجانب الضعيف حتى ينتصر، وبجانب اليتيم حتى يقوى، وبجانب الأرملة حتى لا يمسها أحد بسوء. وباشر ذلك الحزب عمله بنشاط وجد، لا يخشى لومة لائم، وكان أول من سعى إلى تنفيذ أغراض الحزب ذلك الشاب الفارع المستقيم الضالع محمد بن عبد الله.

عظمة الحق..:

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: يا أبت مالك لا تنفذ الأمور على عجل، فوالله ما أبالي لو أن القدر غلت بي وبك.. فأجاب عمر: لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، ثم حرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من وراء ذلك فتنة.

لهذا ملئت جهنم:

دخل أبو حازم على بشر بن مروان في قلق وحيرة وقال له: ما المخرج مما نحن فيه.. فقال له بشر: تنظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه، وما ليس عندك

فلا تأخذه إلا بحقه.. فقال أبو حازم: من يطبق هذا يا أبا بشر؟ فأجاب: من أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين.

إياك - والهوى:

تجادل مروان بن الحكم وابن الزبير عند معاوية، فانتصر معاوية لمروان وقال له: إن مروان على حق.. فقال ابن الزبير: يا معاوية كل حقا وطاعة، وإن لك بسطة وحرمة، فإذا أطعت الله أطعناك فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ولا تطرق إطراق الاقحوان في أصول الشجر، وإذا حكمت بين الناس فاحكم بالعدل، ولا تنحرف مع الهوى كما انحرفت مع مروان.

وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا:

أراد الخليفة الناصر أن يبني قصرا لأحد نسائه في قرطبه وكان بجوار المكان دار صغيرة وحمام لأيتام تحت ولاية القاضي منذر بن سعيد فطلب الخليفة شراء المكان فقالوا لا نبيعه إلا بإذن القاضي فسأله بيعه فقال: لا إلا بإحدى ثلاث: حاجة الأيتام أو وهن البناء أو غبطة الثمن. فسأل الخليفة خبراء قدروهما بثمن لم يعجب القاضي فأباه وأظهر الخليفة العدول عنهما والزهد فيهما وخاف القاضي أن يأخذهما جبرا فأمر بهدم الدار والحمام وباع الأنقاض بأكثر مما قدر الخبراء وعز ذلك على الخليفة فقال له وما دعاك إلى ذلك قال أخذت بقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف٧٩) لقد بعت الأنقاض بأكثر مما قدرت للدار والحمام وبقيت الأرض للأيتام والآن اشترها بما تراه لها من ثمن. قال الخليفة: أنا أولى من ينقاد إلى الحق فجزاك الله عنا وعن أمتك خيرا.

أيها الأمير، اتق الله فيما حولك:

قال أبو بكر الطرطوشي دخلت على الأفضل بن أمير الجيوش وهو أمير على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمني إكراما جزيلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك إن الله تعالى قد أحلك محلا عليا شامخا وأنزلك منزلا

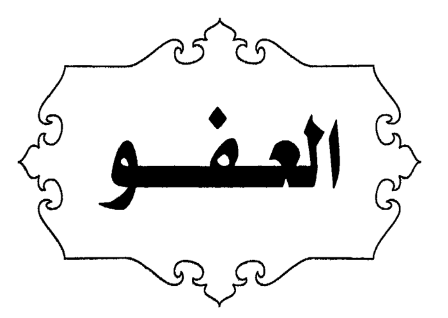
شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وإنما هو بالفعال، والإحسان قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ (سبأ:١٣)، واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك فاتق الله فيما حولك من هذه الأمة فإن الله تعالى سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:٩٢-٩٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧)، واعلم أيها الملك أن الله تعالى قد أتى ملك الدنيا بحذافيرها سليمان بن داود عليه السلام فسخر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحوش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص:٣٩).

فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا سحبها كرامة كما سحبتموها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل:٤٠) فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وأمانا للخائف.

عندما يعظ زاهد أحد الخلفاء:

حكى أن بعض الزهاد دخل على بعض الخلفاء فقال له: عظني. فقال له: يا أمير المؤمنين كنت أسافر الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكها بسمعه، فبكى بكاء شديدا، وقال: أما أني لست أبكي على البلية النازلة ولكن أبكي لمظلوم على الباب يصرخ فلا يؤذن له ولا أسمع صوته ولكن إن ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس، لا يلبس أحد ثوبا أحمر إلا متظلم ثم كان يركب الفيل في نهاره حتى يرى حمرة ثياب المظلومين، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله تعالى غلبت عليه رأفته على المشركين. وأنت مؤمن بالله تعالى ومن أهل بيت نبيه ﷺ، كيف لا تغلب رأفتك بالمؤمنين.




العفو

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ (النساء:١٤٩)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء.. صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (متفق عليه).

قد ندب الله عز وجل نبيه ﷺ إلى الصفح والعفو بقوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥).

قال علي كرم الله وجهه: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العفو.

كان المأمون رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول: لقد حبب إلي العفو حتى أني أخاف أن لا أثاب عليه، وكان يقول: لو علم أهل الجرائم لذتي في العفو لارتكبوها، وقال: لو علم الناس حبي للعفو لما تقربوا إليَّ إلا بالجنايات.

قال علي كرم الله وجهه: إذا قدرت على عدوك فاقبل العفو عنه شكرا للقدرة عليه.. وقال رضي الله عنه: أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر، إلا ويده بيد الله يرفعه. وقال علي كرم الله وجهه: إن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل.. وقال: لذة العفو يلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم.

كان الأحنف رحمه الله تعالى كثير العفو والحكم.. وكان يقول ما أذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه.

يقول الحكماء: من عادة الكريم إذا قدر غفر وإذا رأى ذلة ستر. وقالوا: ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام.. وقيل: من انتقم فقد شفى غيظه،

وأخذ حقه، فلم يجب شكره، ولم يحمد في العالمين ذكره. وقال الحكماء: عفو الملوك أبقى للملك، وقالوا: عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن اعتذر إلى أخيه المسلم من شيء بلغه عنه فلم يقبل عذره لم يرد على الحوض.

تقول عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادم إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى.. فينتقم لله تعالى (رواه مسلم).

عظمة العفو عند رسول الله ﷺ:

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»** (متفق عليه).

يقول تعالى عن العفو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩). ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر:٨٥). ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور:٢٢). ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران:١٣٤). ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

عندما داس أعرابي قدم الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب: مشيت خلف رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة، فوطئت بها على رجله، فنفحني نفحة بسوط في يده، وقال: «بسم الله، أوجعتني»، فبت لنفسي لائما، أقول: أوجعت رسول الله ﷺ!! فبت بليلة كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان؟ فقلت: هذا الذي والله ما كان مني بالأمس، فانطلقت وأنا متخوف، فقال لي ﷺ: **«إنك وطئت رجلي بالأمس، فأوجعتني، فنفحتك بسوط، فهذه ثمانون نعجة، فخذها»**.

العفو عند رسول الله ﷺ:

عرف الرسول ﷺ بالعفو عند المقدرة وبالصبر على المكروه.. فقد كان رسول الله ﷺ صبورًا، يصفح عمن يؤذيه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه.. ومع كثرة إيذاء الكفار له كان لا يزيد إلا صبرا واحتمالا.. فقد قال جل شأنه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف،١٩٩).

ومن أمثلة عفوه ﷺ، أنه قد عفا عن اليهودية التي اعترفت له بأنها وضعت له السم في لحم الشاه، وعفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره، وعن عبد الله بن أُبي وأشباهه من المنافقين الذين آذوه وأساءوا إليه.. ولم يوافق على قتلهم قائلا: **«لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».**

وقيل: هبط ثمانون رجلا بمكة، يريدون أن يقتلوا رسول الله ﷺ، وهو يصلي الصبح، فأخذوا فأعتقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم.. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ (الفتح،٢٤).

والمقصود ببطن مكة: هو وادى الحديبية القريب من مكة.

وقال ﷺ لأبي سفيان، وقد سيق إليه بعد أن قتل عمه وأصحابه، ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول وقال له: **«ويحك[1] يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال بأبي أنت وأمي[2] يا رسول الله.. ما أحلمك، وأوصلك، وأكرمك!!».**

قسم رسول الله ﷺ قسمة.. فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه وقال: **«رحم الله أخي موسى!! قد أوذي بأكثر من هذا فصبر».**

قمة العفو:

كان ﷺ في حرب، فرأى المشركون غره من المسلمين فجاء غورث بن الحارث.. حيث قام على رأس رسول الله ﷺ وهو وحده تحت شجرة وقت

---

(١) كلمة رحمة.

(٢) أي أفديك بأبي وأمي.

القيلولة، والناس نائمون في ذلك الوقت فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا والرجل واقف والسيف الحاد في يده يريد أن يقتله.. فقال ابن الحارث: من يمنعك مني؟!، فقال الرسول ﷺ: **«الله»**.

فسقط السيف من يد ابن الحارث فأخذ رسول الله ﷺ السيف، وقال: **«من يمنعك مني؟!»** فقال ابن الحارث: كن خير آخذاً. قال المصطفى: **«قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»**، فقال: لا غير أني لا أقاتلك، ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

فخلى رسول الله وعفا عنه بعد أن أخلى سبيله، فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

قال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد وقال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[1] فإن بها ظعينة معها كتاب[2] فخذوه منها..»** فانطلقنا حتى أتيا روضة خاخ. فقلنا للمرأة أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب[3] أو لننزعن الثياب فأخرجته من عقاصها[4] فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله ﷺ فقال الرسول: **«يا حاطب، ما هذا؟!»**.

قال حاطب: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قومي[5] وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم.. فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم. أن أتخذ فيهم يدا[6] أو صنيعا يحمون بها قرابتي، ولم أفعل ذلك كفرا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، ولا أرتد عن ديني.

فقال رسول الله ﷺ: **«إنه صدقكم»**، فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا

---

(١) بين مكة والمدينة.

(٢) الظعينة المرأة ما دامت في الهودج.

(٣) الرسالة.

(٤) العقيصة: الضفيرة من شعر الرأس.

(٥) أي فقيرا منقطعا ليس له من يحمي أسرته ويدافع عنها.

(٦) معروف.

المنافق. فقال ﷺ: «إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر.. فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم...» وعفا وصفح عنه رسول الله ﷺ.. مع أنه قد كتب هذه الرسالة لأعداء الرسول وأعداء الإسلام.

قمة العفو في معاملة رسول الله ﷺ لقاتل عمه حمزة:

ممن أبكى الرسول وعادى المسلمين عبد حبشي أسود وضيع دنيء لا قيمة له يدعى وحشيا، وهو الذي قتل بحربته حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ، وكان من أكبر أنصار الرسول ﷺ.

قال وحشي: خرجت حتى ملت إلى رسول الله ﷺ بعد فتح مكة والطائف فلم يفزعه إلا بي قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق، فلما رآني قال: «أوحشي؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة؟».

قال وحشي: فحدثته، فلما فرغت من حديثي قال ﷺ: «ويحك!! غيب عني وجهك فلا أرينك».

قال: فكنت أبتعد عن رسول الله ﷺ حيث كان، لئلا يراني، حتى قبضه الله.

وقد كان في استطاعة المصطفى الكامل أن يأمر بقتله ولكنه عفا عنه.. وكل ما فعله أنه كان لا ينظر إلى وجهه، لأنه طعن حمزة حتى أخرج أحشاءه.

وكان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت الحرام في مكة فأراد فضالة ابن عمير أن يقتله.. فلما دنا منه قال ﷺ: «أفضالة؟» قال: نعم يا رسول الله. قال الرسول ﷺ: «ما كنت تحدث به نفسك؟» قال: لا شيء، كنت أذكر الله عز وجل. فضحك النبي ﷺ.. ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه.

عفوه عن ابن عمه:

كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ممن اشتركوا في إيذاء الرسول ﷺ ومعاداته وسبه وقد طلب الإذن عليه فقال الرسول ﷺ: «لا حاجة لي به وقد هتك عرضي»، وكان مع أبي سفيان ابن له فقال: والله ليأذن لي، أو لآخذن

بيد ابني هذا لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا.. فلما بلغ الرسول ﷺ ذلك، رق له فدخل عليه، وعفا عنه.

ومع كثرة ما أوذي المصطفى ﷺ كان دائم الصبر، دائم العفو، كثير الاحتمال.. قالت عائشة ﵂: ما خير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما.. فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لها، وحسبك صبره على قسوة قريش وأذى أهل الجاهلية.. فلما نصره الله عليهم وحكمه فيهم، وقد وقف على باب الكعبة وقال: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.. يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها[1] بالآباء، الناس من آدم، وآدم خلق من تراب.. ثم تلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٧)، يا معشر قريش: ما ترون أني فاعل بكم؟، قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء[2]. أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب[3] عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين».**

ما أعظمك يا رسول الله.... وما أعظم تمسكك بالعفو عند المقدرة.

أفضل من الحق:

وقعت دماء بين حيين من قريش فأقبل أبو سفيان فما بقى أحد واضع رأسه إلا رفعه.فقال أبو سفيان: يا معشر قريش هل لكم في الحق أو ما هو أفضل من الحق؟ فقال أحدهم: وهل شيء أفضل من الحق.. فقال أبو سفيان: نعم، العفو... (فبادر القوم فاصطلحوا).

قيمة العفو:

استشار المأمون أحمد بن خالد الأحول وزيره في قتل إبراهيم بن المهدي أخي هارون الرشيد بعد أن ظفر به فقال له وزيره أحمد بن خالد: والله يا أمير المؤمنين إن قتلته ذلك نظرا، وإن عفوت عنه فليس لك نظير.

(١) تكبرها.

(٢) الأحرار بعد الأسر.

(٣) تثريب: لوم.

لكان ذلك كافيا:

لقى هارون الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف وسأله: كيف حالك.. فأجاب الكسائي: أنا بخير يا أمير المؤمنين، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافيا محتسبا.

قد يعفو الله عن عبده وهو غير راضى عنه:

تعلق أعرابي بأستار الكعبة وهو يقول: عبدك ببابك ذهبت أيامه، وبقيت آثامه، وانقطعت شهواته، وبقيت تبعاته، فارض عنه، فإن لم ترض فاعف عنه.

فاعترضه أعرابي وقال له: كيف يعفو الله عن عبد هو غير راض عنه؟ فأجابه قائلا: إن الرضا والعفو لا يتعارضان، فقد يعفو الله عن عبده وهو غير راض عنه.

عفاريت سليمان النبي ﷺ:

عن طارق بن شهاب قال: بعث سليمان النبي ﷺ ببعض عفاريته وبعث معه رجل وقال: رده إليَّ وانظر إلى صنيعه. فمر على أهل بيت يبكون فضحك، ودخل إلى السوق ونظر إلى الناس فرفع رأسه إلى السماء وهزه، ونظر إلى الثوم وهو يكال كيلا والفلفل وهو يوزن وزنا فضحك، فلما رده إلى سليمان ﷺ وأخبره بما جرى منه، قال: لم ضحكت من أهل البيت؟ ولم هززت رأسك حين نظرت إلى السوق؟ ولم ضحكت من الثوم والفلفل؟ قال: أما أهل البيت فإن الله أدخل ميتهم الجنة وهم يبكون عليه، ونظرت إلى الناس في السوق والملائكة من فوق رؤوسهم، والناس يملون والملائكة سراعا يكتبون، فهززت رأسي، ونظرت إلى الثوم وهو شفاء يكال كيلا، وإلى الفلفل وهو داء يوزن وزنا.

الحلم والصبر:

اجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة الريبعي فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على أن أفضل الأعمال: الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع.

ثلاثة للجليس:

قال بن عباس: لجليسي علي ثلاثة: أن أرمقه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي له إذا حدث.

كل هذه الصفات:

قال الرشيد لأعرابي: بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة؟ فقال الأعرابي: بحلمه على سفيهنا، وعفوه عن مسيئنا، وحمله عن ضعيفنا، لا منان إذا وهب، ولا حقودا إذا غضب، رحب الحنان، سمح البنان، ماضي اللسان.

الحلم يمنع السرقة:

كان للمأمون خادم يسرق طاساته التي يشرب فيها فقال له المأمون: إذا سرقت شيئًا فأتني بما تسرقه فأشتريه منك.. فقال له الخادم: اشتر مني هذه (وأشار إلى التي بين يديه) فسأله المأمون: بكم؟ فأجابه الخادم: بدينارين.. فقال المأمون على شرط أنك لا تسرقها.. فأجاب الخادم بقوله: نعم.. (فأعطاه دينارين، فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيئًا لما رأى من حلمه).

الجود والكرم:

قال إبراهيم بن مخرمة، قصدت رجلاً من أهل البيت المعروفين بالكرم والجود لأنال من فضله شيئًا وأظفر من سخائه بنصيب، فوجدت على بابه حاجبًا يدفع الناس عنه ويحول بينهم وبين لقائه، فمنعني من الدخول عليه وقال: (والله ما أوقفني على بابه هدا الموقف إلا لأمنعك أنت وأمثالك لا بخلاً منه ولا شحًا بماله ولكن لقصور يده ورقة حاله، قال الرجل فلم يقنعني قول الحاجب وقلت أحتال لنفسي حتى أبلغه حاجتي، فدسست إليه هذا البيت مع أحد خدمه وكتبته في رقعة بعثت إليه بها وكان هذا البيت:

إذا كان الكريم له حجاب ... فما فضل الكريم على اللئيم

فأرسل إلي مع خادمه رقعة مكتوب فيها هذا البيت جوابًا على بيتي:

إذا كان الكريم قليل مال ... تحرز بالحجاب عن الغريم

ثم عاد الخادم ومعه كيس فيه ألف دينار، قال الرجل فأخذتها فرحًا مسرورًا وحمدت الله على نجاح سعيي وبلوغ أملي وقلت والله لأتحفن أمير المؤمنين المأون بهذه القصة، فلما رآني قال من أين يا إبراهيم؟ فقلت من عند رجل هو من أكرم الناس يدًا وأسخاهم كفًا حاشا أمير المؤمنين، فقال الخليفة

ومن هو يا ترى؟ فأخرجت له الرقعة التي بها الشعر والصرة التي بها المال وقصصت عليه القصة كما وقعت، فلما تأمل المأمون في الصرة والخاتم الذي عليها قال: إن هذه الدنانير من بيت المال ولابد من إحضار الرجل إلى مجلسي الساعة، قال إبراهيم فتوسلت إليه أن لا تزعجه بسلطانك ولا ترهبه بأعوانك، فبعث إليه أحد خاصته، فلما حضر إلى مجلسه قال له المأمون يا هذا، ألست الذي شكوت لنا حالك بالأمس وذكرت لنا فقرك فدفعنا إليك هذا المال، فقصدك هذا الرجل ببيت من الشعر فدفعت الكيس مختومًا إليه، فقال الرجل نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبتك فيما شكوت لك ولكنني استحييت من الله أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين ولقد قصدت بذلك وجه الله وقلت في نفسي لعله أشد احتياجًا مني ولعل وراءه أولاد أو نساء يتوارين عريًا، فاعتدل المأمون في جلسته وقال: للعلوي – والله أنت وما ولدت العرب أكرم منك، ثم أمر له بألفين من الدنانير وجعله من خاصته المقربين.

هذا أقبح الناس كبرًا وغرورًا:

وقالوا إن ابن عوانة كان من أقبح الناس كبرًا وأكثرهم غرورًا. قالوا إنه دعا يومًا بخادمه ليحضر له فأسرع الخادم إليه وقال نعم يا سيدي. فأمر بصفعه على وجهه وقال إنما يقول نعم من يستطيع أن يقول لا، ومن أقبح ما روي عن كبره وعجبه أنه تكلم مع أحد العامة في شأن من شئونه فلما فرغ من الحديث معه دعا بماء فتمضمض وغسل له استقذارًا لحديثه مع الرجل، وقالوا أن رجلاً من أصحابه سأله مالك لا تغشى المساجد؟ ولا تحضر الجماعة؟ قال: أخشى أن يزاحمني البقالون.

ومن أعجب ما روي في الكبر والخيلاء ما حدث به أبو داود في سننه نقلاً عن صحابة رسول الله ﷺ،حدث أبو داود هريرة رضي الله عنه قال: أتى وائل بن حجر وافدًا على النبي ﷺفأعلن إسلامه وبايع رسول الله ﷺعلى السمع والطاعة والجهاد في سبيل الله، فأقطعه النبي أرضًا وعرف له قدره وأحسن ضيافته لأنه ملكًا من ملوك كندة، فلما أراد العودة إلى بلاده أمر النبي معاوية بن أبي سفيان أن يذهب معه ويزرع له الأرض التي أقطعها النبي إياه وأن يقيم له على أطرافها

الحدود تمييزًا لها عن أرض غيره، فذهب معه معاوية تنفيذًا لأمر النبي ﷺ وكان وائل يركب ناقته ومعاوية يمشي خلفه وكان الفصل صيفًا والجو حارًا فألمت الشمس معاوية وأحرقت رأسه، فقال لوائل أركبني خلفك على ناقتك، فغضب من قولته وأخذته العزة بالإثم وأجابه قائلاً لست من أرداف الملوك ولا ممن يركبون وراءهم، فقال له معاوية فشيء أستظل به من وهج الشمس وحرها، فقال وائل: والله ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أهل اليمن أني أعطيتك شيئًا يختص بي ولكن امشي في ظل ناقتي فحسبك بذلك شرفًا، ويقال أنه عاش إلى زمن معاوية ودخل عليه بعد أن ولي الخلافة وأصبح أميرًا للمؤمنين فرحب به معاوية وتواضع له وأجلسه على سريره معه وذكره بهذا اليوم فبدا على وجهه الخجل والاستخذاء، وقال صدق الله العظيم ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وقد كان سيدنا عيسى عليه السلام يقول: «مثل المتكبر كمثل رجل على جبل عال يرى الناس صغارًا ويرونه صغيرًا» وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل أنه قال: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما شيئًا قصمت ظهره ولا أبالي**».

تقوى ضرتين:

كان ببغداد رجل بزاز له ثروة، فبينما هو في حانوته أقبلت إليه صبية، فالتمست منه شيئًا تشتريه، فبينما هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك. فتحير وقال: قد والله تحيرت مما رأيت. فقالت: ما جئت لأشتري شيئًا، إنما لي أيام أتردد في السوق ليقع بقلبي رجل أتزوجه، وقد وقعت أنت بقلبي، ولي مال، فهل لك في التزوج بي؟ فقال لها: لي ابنة عم وهي زوجتي، وقد عاهدتها ألا أغيرها ولي منها ولد، فقالت: قد رضيت أن تجيء إلى في الأسبوع نوبتين، فرضي، وقام معها فعقد العقد، ومضى إلى منزلها فدخل بها. ثم ذهب إلى منزله، فقال لزوجته: إن بعض أصدقائي قد سألني أن أكون الليلة عنده. ومضى فبات عندها، وكان يمضي كل يوم بعد الظهر إليها.

فبقي على هذا ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظري أين يمضي؟ فتتبعته الجارية، فجاء إلى الدكان، فلما جاء الظهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدري إلى أن دخل بيت تلك المرأة، فجاءت الجارية إلى

الجيران، فسألتهم لمن هذه الدار فقالوا: لصبية قد تزوجت برجل تاجر بزاز. فعادت إلى سيدتها فأخبرتها، فقالت إياك أن يعلم بهذا أحد. ولم تظهر لزوجها شيئًا. فأقام الرجل تمام السنة. ثم مرض ومات: وخلف ثمانية آلاف دينار، فعمدت المرأة التي هي ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتها، وقسمت الألف الباقية نصفين، وتركت النصف في كيس، وقالت للجارية: خذي هذا الكيس، واذهبي إلى بيت المرأة، وأعلميها أن الرجل مات، وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه، وبقيت ألف فقسمتها بيني وبينك، وهذا حقك. وسميه إليها.

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته، وأعلمتها الحال، فبكت، وفتحت صندوقها، وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودي إلى سيدتك، وسلمي عليها عني، وأعلميها أن الرجل طلقني وكتب لي براءة، وردي عليها هذا المال، فإني ما استحق في تركته شيئًا.

فرجعت الجارية فأخبرتها بهذا الحديث.

أبو حنيفة والجار المحبوس:

قال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنفية جار بالكوفة إسكافي، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحمًا فطبخه، أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت، وهو يقول:

أضاعوني، وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل أخذه العسس منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير فقال الأمير: ائذنوا له، واقبلوا به راكبًا، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته، ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه، وقال: ما حاجتك؟ فقال: لي جار إسكافي أخذه العسس منذ ليال، يأمر

الأمير بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذوه في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة، والإسكافي يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك؟

فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل، ولم يعد إلى ما كان عليه.

إنه إيمان كالجبال:

قال حاتم الأصم: لقينا الترك، فكان بيننا جولة... فرماني تركي بوهق، فأقبلني عن فرسي، ونزل عن دابته، وقعد على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج من خلفه سكينا ليذبحني بها، فوحق سيدي ما كان قلبي عنده، ولا عند سكينه، إنما كان قلبي عند سيدي، فانظر ماذا ينزل به القضاء. فقلت: يا سيدي قضيت علي أن يذبحني هذا، فعلى الرأس والعين، وأنا لك وملكك، فبينما أنا أخاطب سيدي، وهو قاعد علي صدري آخذ بلحيتي.. إذ رماه المسلمون بسهم فما أخطأ حلقه. فسقط عني، فقمت أنا إليه، وأخذت السكين من يده، وذبحته. فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.

المهر درهمين فقط:

قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياما، فلما جئته قال: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها...

فقال: هلا أخبرتنا، فشهدناها؟

قال: ثم أردت أن أقوم. فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها؟

فقلت: يرحمك الله. ومن يزوجني، وما أملك إلا درهمين، أو ثلاثة؟

فقال: إن أنا فعلت.. تفعل؟ قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين، أو قال: على ثلاثة..

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر

ممن آخذ وأستدين؟ وصليت المغرب، وكنت صائمًا، فقدمت لأفطر وكان خبزًا وزيتا، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلي فآتيك؟

قال: لا، أنت أحق أن تؤتى.

قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيتك رجلا عزيًا قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني، وقالوا: ما شأنك؟

فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

قال: فمكث شهرًا لا يأتين ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي، ولم يكلمني حتى انفض من المسجد، فلم يبق غيري حتى قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو. قال: إن رابك شيء بالعصا، فانصرفت إلى منزلي.

وكانت بنت سعيد -المذكورة- خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصب عليه الماء.

المال المال يا عمر - الدم الدم يا عمر:

كتب بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (سلام عليك: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإن الله عز وجل

ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة من غير مشورة مني فيها ولا طلب مني لها: إلا قدر من الرحمن قدره علي فاسأل الذي ابتلاني أن يعينني على ما ولاني من عباده وبلاده، أن يرزقني فيهم العمل بطاعته وأن يرزقهم مني الرأفة والرحمة ويرزقني فيهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إلي بكتب عمر وسيرته وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة، فإني سائر بسيرته ومتبع أثره إن الله أعانني على ذلك شاء الله.. والسلام.

فكتب إليه سالم: من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد، فجعل لها مدة قصيرة ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء. ثم إنك يا عمر: قد وليت أمرًا عظيمًا، فإن استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل، وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعك أحد بمظلمة ويجيء من قبلك وهم غابطون لك فافعل: فإنهم قد عالجوا نزع الموت وعاينوا أهوال المطلع ونفقت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتها. وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها. ودفنت رقابهم غير متوسدين. بعد تظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم. فصاروا جيفًا في بطون الأرض تحت آكامها. لو كانوا إلى جنب مساكين تأذوا من ريحهم. بعد إنفاق ما لا يحصى من الطيب فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما أعظم ما ابتليت به يا عمر، فمن بعثت من أعمالك فازجر زجرًا شديدًا شبيهًا بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها. المال المال يا عمر، الدم الدم يا عمر، كتبت إلي أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته. إن عمر عمل في غير زمانك وبغير رجالك وأنا أرجو أن عملت على النحو الذي عمل به عمر، بعد ما بلوت من المظالم أن تكون أفضل من عمر عند الله وقل كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

عمر يشتري ظلامته بـ ٢٥ دينارًا:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر على الناس متسترًا ليتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز في خبائها، فسلم عليها، وقال لها: ما فعل عمر؟ قالت: لا جزاه الله

عني خير. قال لها: ولم؟ قالت: والله ما نالني من عطائه منذ ولي أمر المسلمين دينارًا ولا درهمًا، فقال لها: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ قالت: سبحان الله. والله ما ظننت أن أحدًا يلي علم الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها. وبكى عمر، ثم قال: واعمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها: يا أمة الله، بكم تبيعني ظلامتك من عمر؟ فإني أرحمه من النار قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله. فقال لها: لست بهزاء. ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارًا وبينما هو كذلك. إذ أقبل علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه. شتمت أمير المؤمنين في وجهه، فقال عمر: لا بأس عليك رحمك الله، ثم طلب رقعة يكتب فيها. فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلي يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارًا، فما تدعي عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر منه بريء وشهد بذلك علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، ثم رفع عمر الكتاب إلى ولد له وقال: إذا أنا مت فاجعله في كفني ألقى به ربي».

بين البصري وعمر بن عبد العزيز:

كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز يعظه ويحذره من الدنيا «أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإن الدنيا دار ظعن وانتقال، وليست بدار إقامة على حال. وإنما نزل إليها آدم عقوبة، فاحذرها، فإن الراغب فيها تارك. والغني فيها فقير والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها. إنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق. وجدها تذل من أعزها وتفرق من جمعها. فهي كالسم يأكله من لا يعرفه. ويرغب فيه من يجهله وفيه والله حتفه. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جراحه يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً الصبر على إلوائها أيسر من احتمال بلائها. واللبيب من حذرها ولم يغتر بزينتها. فإنها غدارة ختالة خداعة قد عرضت بآمالها وتزينت لخطابها فهي كالعروس - العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة وهي - والذي بعث محمدًا بالحق - لأزواجها قاتلة. فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها. واحذر عثرتها. فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء. والبقاء مؤد إلى الهلكة والفناء.

واعلم يا أمير المؤمنين أن أمانيها كافية وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد. وتاركها موفق والمتمسك بها هالك غرق. والفطن اللبيب من خاف ما خوفه الله وحذر ما حذره. وقدر من دار الفناء فعند الموت يأتيه اليقين. الدنيا يا أمير المؤمنين دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده والحاذق اللبيب من كان فيها كالمداوي جراحه يصبر على مرارة الداء لما يرجوه من العافية ويخاف من سوء العاقبة. والدنيا وأيم الله يا أمير المؤمنين حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت والعباد في أضغاث أحلام وإني قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجيا

ولما وصل كتابه إلى عمر بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده وقال رحم الله الحسن فإنه لا يزال يوقظنا من الرقدة وينبهنا من الغفلة ولله هو من مشفق ما أنصحه وواعظ ما أصدقه وأفصحه.

أنت الإمام العادل يا أمير المؤمنين:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل: فكتب الحسن البصري رحمه الله: «والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده. يسعى لهم صغارًا ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم في مماته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها. حملته كرهًا ووضعته كرهًا. وربته طفلاً. تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى. وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى وخازن المساكين، يربي صغيرهم ويمون كبيرهم، والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم. وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده. فاستحفظه ماله وعياله. فبدد المال وشرد العيال. فأفقر أهله وفرق ماله».

رزقي من عند من فلق الحب والنوى:

كان هارون الرشيد يطوف بالبيت وهو متكئ على الفضل بن الربيع ورجل آخر فقام إليه محمد بن أوس الهلالي واعترضه عند الحجر وقال:

استمع كلامي فإنك إن سمعته حقًا قبلته وإن سمعته باطلاً فلا تعبأ به فوقف فقال: يا من غذى في نعيم وتردد في ملك سليم إن خفت العذاب الأليم وأحببت البقاء في سرور مقيم فلا تسمعن ممن أنت بينهما ولا تغترن بشيء من قولهما فإن الله عز وجل يخلو بك دونهما فالموت يصل إليك على الطوع والكره منهما فلا تقتصدن بالذليل وتتكثرن بالقليل ولا تعتصم بغير دافع ولا تطمئن إلى غير مانع لا يمنع ولا يدفع عنك فإنك بعين الله وبحضرة بيته الذي جعله مثابة للزائر ومنحجرًا للفاجر.

فانتفض الرشيد وجلس وخلا يديه عنها وأومأ أن خذوا الرجل فأخذ حتى قضى طوافه وصلى ورجع إلى المنزل الذي به نزل. ودعا بالرجل فأدخل عليه شيخ جليل فقال من أين أنت؟ قال: من مكة. قال ما اسمك؟ قال: محمد قال ابن من؟ قال بن أوس قال: من قبيلتك؟ قال: بنو هلال. قال: قبيلة مشهورة. فما حملك أن كلمتني بالذي كلمتني؟

قال: إشفاقًا عليك، إذا أضنيت الركاب وأتعبت الرجال. وأنفقت الأموال في أمور الله عز وجل اعلم بها حتى صرت إلى غاية الطالب وموضع ترجو فيه الرحمة اعتمدت على ظالمين طاغيين. قد جبلا على الغشم ونشئا على الظلم وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (الكهف:٥١). فنكس الرشيد رأسه وأقبل ينكت في الأرض وعيناه تذرفان ثم رفع رأسه فقال من أين مطعمك ومشربك؟ قال: من عند من يرزقك قال من ذاك؟ قال: من عند من فلق الحب والنوى وأخرج الحب من الثرى من طعام سهرت فيه العيون وتعبت في حصاده الأجساد وحسرته الملائكة حتى أتاني به القدر بلا رنق ولا كدر قال: ألك عيال؟ قال: نعم، قال: ومن هم؟: قال: زوجة.

قال: أفلا أجري عليك رزقًا تستعين به على بعض أمورك وتستغني به عن الطلب من غيرك؟ قال: إني بالله عز وجل أغنى مني بما بذلت لي من ذلك قال: ألك حاجة؟ قال: نعم أطلع الله عز وجل فيما تعلم من سرك فإنك تصل إلى كل محبوب وتنال به كل مطلوب. قال: ألك حاجة غيرها؟ قال: أتؤمنني من الموت؟ قال: لا أقدر على ذلك. قال: فتجيرني من النار؟ قال: ليست في يدي. قال:

فتدخلني الجنة؟ قال: لست أملك. قال: أفتحيي لي ميتا حتى أسأله عما عاين ورأى؟ قال: ذلك في قدرة غيري. قال: ما أنت إلا كسائر من ترى من رعيتك غير أن الله عز وجل فضلك عليهم بما أعطاك من هذا الحطام الزائل، واستخلفك في الأرض لينظر كيف تعمل. وذكر كلاما ثم خرج. فقال الرشيد: الحمد لله الذي جعل في رعية أنا عليها مثله، ولا تزال هذه الأمة بخير ما لم يعدموا هذا ونظراءه وأشباهه.

إياك وبطانة السوء:

كتب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى رسالته الشهيرة إلى هارون الرشيد يعظه فيها وينصحه. وقد جاء في مقدمتها. أما بعد: فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشدًا. ولم أدخر فيه نصحًا، تحميدًا لله. وأدبًا عن رسول الله ﷺ فتدبره بعقلك. وردد فيه بصرك. وارعه سمعك. ثم اعقله بقلبك. واحضر فهمك ولا تغيبن عنه ذهنك. فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الآخرة. اذكر نفسك في غمرات الموت وكربة ما هو نازلك منه. وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه. ثم الحساب. ثم الخلود بعد الحساب، وأعد لله عز وجل ما يسهل عليك أهوال تلك المشاهد وكربها، فإنك لو رأيت سخط الله تعالى وما صار الناس إليه من ألوان العذاب، وشدة نقمته عليهم، وسمعت زفير وجوههم ولا يسمعون ولا يبصرون ويدعون بالويل والثبور. وأعظم حسرة إعراض الله عنهم وانقطاع رجائهم. وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون:١٠٨).

ثم قال له: لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «شاور في أمرك الذين يخافون الله» واحذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان. بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه خبالا»**. ثم قال: لا تجر ثيابك. فإن الله لا يحب ذلك. فقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: **«من جر ثيابه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**. أطع الله في معصية الناس. ولا تطع الناس في معصية الله. فقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**.

العطار...وموسى عليه السلام:

وقالوا إن سيدنا موسى عليه السلام سأل ربه يومًا فقال: اللهم أرني رفيقي في الجنة، فأوحى الله إليه يا موسى إن شئت أن تراه فاذهب إليه فإنه في مدينة إنطاكية، فذهب سيدنا موسى إلى هذه الأرض، فلما نزل بها ساقه القدر إلى حانوت عطار فعرض عليه نفسه وسلم عليه فأدرك أنه غريب، فرحب به وقال له: يا سيدي أرى في وجهك نور الصالحين ووقار المتقين فهل لك أن تنزل في ضيافتي؟ فقال سيدنا موسى لا أحب إلي من ذلك يا سيدي، فلما كان وقت الغداء أغلق العطار حانوته وأخذه معه إلى منزله، فلما دخلنا البيت رأيت شيخًا كبيرًا قد كف بصره وثقل سمعه وخف صوته، فلم نكد نصل إلى مجلسه حتى رفع وجهه إلينا كأنما أحس بمقدمنا عليه، فاقترب منه العطار فغسل عنه عرقه، أزال عنه قذره ثم غسل له أطرافه وأعضاءه، وأحضر طعامًا شهيًا فأطعمه، ثم سقاه لبنًا صابحًا، فلما فرغ من إطعامه وسقيه غسل له يده وفمه فسمعت الشيخ وهو يسأل العطار. من الضيف الذي معك؟ فقال والله ما سألته عن نفسه يا أبي، فإن شئت فاسأله، فسألني فقلت له أني موسى بن عمران، فقال موسى بن عمران نجي الله وكليمه؟ فقلت له: نعم. فقال الشيخ: الحمد لله فقد تمت النعمة وكملت المنة وإني سأموت بعد قليل فقال له ابنه: «من أين لك ذلك؟» فقال إني سألت الله في كل صلواتي وخلواتي أن لا يقبضني إليه حتى أنظر إليك وأجلس معك فاستجاب الله لي، ولم تمض أيام حتى مات، فلما فرغوا من تجهيزه قال سيدنا موسى للعطار لا شك أنك كنت بارًا بأبيك - قال: نعم كنت بارًا به أحسن البر، وكنت لا آكل حتى أطعمه ولا أنام حتى ينام، فقال له سيدنا موسى: أبشر فأنت رفيقي في الجنة، فقال العطار: إني أعلم ذلك. فقال: وكيف علمت؟ قال: إني كنت كلما أطعمت أبي لقمة أو سقيته شربة أو قدمته إليه إحسانا رأيته يحرك شفتيه ويهمهم بكلمات، فتبينتها فإذا هو يقول: اللهم إني أسألك بلطفك ورحمتك أن تجعل ابني هذا رفيق أنبيائك في الجنة، وأيقنت أن الله قد استجاب دعاءه لي.

يكفينا عقوقًا أننا نسيناه:

وجاءت في سيرة سيدنا عمر بن عبد العزيز أن أبنا من أبنائه خرج إلى

الصيد فتشاجر مع أحد الرجال فضربه ضربة شجت رأسه وكان أبوه يومئذ خليفة، فلما رأته أمه وقد سال عنه الدم ظنت أن أباه سيأخذ له بثأره ويقتص له من خصمه، وأسرع رجال الشرطة فقبضوا على الغلام وهموا به سوءًا فقال لهم والله لئن فعلتم بي شيئًا لأخبرن أمير المؤمنين وأنتم تعلمون عدالته، فخافوا عمر في شخص الغلام فلما أدخل عليه قال له الخليفة الراشد ابن من أنت يا غلام؟ قال: أنا فلان بن فلان وقد قتل أبي مجاهدًا في سبيل الله، فقال عمر نعم النسب أتيتنا به ولكن ما ظنك بنا، قال يا أمير المؤمنين أكبر الظن أنكم ستأخذون بحقكم وتعدلون في قصاصكم فالتفت عمر إلى أحد كتابه وقال له انظر هل تجد اسمه في سجل العطاء بين أيتام المسلمين؟ فنظر الكاتب ثم جاء وقال: لم أجد اسمه بينهم. فقال عمر اجعلوه في سجل اليتامى وأجروا عليه العطاء مثلما تجرون عليهم ويكفينا عقوقًا له أننا نسيناه منذ مات أبوه، فلما سمعت بذلك أمه وهي بنت خليفة وحفيدة خليفة وأخت خليفتين وزوجة الخليفة القائم قالت ما أخوفني على أولادي بعد اليوم من الفقراء واليتامى، فقال لها سيدنا عمر بن عبد العزيز، أو ما تحفظين قول الله عز وجل: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن:١٤)، فكظمت غيظها ابتغاء مرضاة الله وطلبًا لرضاء عمر.

عدالة المنصور وإنصافه:

وهناك قصة وقعت للمنصور نفسه وهي أدل على عدالته وإنصافه مما تقدم حدثت كتب الأدب عنه فقالت: لما مات سلمى بن سعيد وخلف أموالاً وأولادًا وكان عليه ديون كثيرة للناس عامة ولأمير المؤمنين المنصور خاصة، فلما علم الخليفة بموته كتب إلى عامله الذي تقع تركة سلمى بن سعيد في دائرة اختصاصه يأمره أن يأخذ له دينه أولاً من تركة سلمى قبل أن يقسم أمواله بين الغرباء، فإذا بقي شيء كان لهم، فلما وصل الكتاب إلى عامله لم يلتفت إليه ولم يقم لكلامه وزنًا، ولكنه قسم المال على أرباب الديون بنسبتها وجعل للخليفة سهما كواحد من الغرماء، ثم كتب إلى الخليفة يقول له يا أمير المؤمنين وصلني كتابك أطال الله بقاءك وقرأت ما جاء فيه ورأيتك واحدًا من الغرماء فأعطيتك من تركة سلمى على قدر سهمك فيها وفعلت ذلك مع جميع الغرماء كل على قدر سهمه، ثقة مني بعدلك والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى المنصور لم يغضب على عامله ولم يعزله عن ولايته، ولكنه شجعه على إقامة العدل ونشر الإنصاف بين الناس. فكتب إليه يقول، وصلني كتابك وفهمت ما فيه وقد رضيت عن حكمك به، ملأ الله بك الأرض عدلاً والسلام.

كيف يكون المعروف:

قال رجل لابن عباس: بم يتم المعروف؟ فأجاب ابن عباس: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجله أنهاه، وإذا صغره عظمه، وإذا ستره تممه.

عظمة الحياء:

كان الرشيد قد ولى أبا العباس الفضل بن يحيى منصبًا قبل أخيه جعفر ثم بدا له خلعه لينصب أخاه بدله، ولكن الحياء منعه فأوعز إلى والدهما يحيى بالكتابة إلى أبي العباس الفضل في ذلك.

فكتب يحيى بن خالد لولده أبي العباس يقول: يا ولدي لقد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شمالك.. فأجاب أبو العباس وقد فهم الغرض: «لقد سمعت مقالة أمير المؤمنين في أخي عفر وأطعت، والله ما انتقلت عني نعمة صارت إليه، وما غربت عني رتبة طلعت عليه».

البغلة تكفيني:

سأل رجل الخليفة عليًا كرم الله وجهه وهو يعدو على بغلة له في ساحة الحرب: حبذا لو أتخذ أمير المؤمنين الخيل مطية له، فإنها أقرب إلى النجدة، وأوسع في الخطوة.. فقال علي: يا رجل أنا لا أفر ممن كر، ولا أكر على من فر، فالبغلة تكفيني.

لقد مضى علي:

قال معاوية لشداد بن أوس: يا شداد، أنا أفضل أم علي؟ وأينا أحب إليك؟؟ فقال شداد: علي أقدم هجرة، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقة، وأشجع منك قلبا، وأسلم منك نفسا، وأما الحب فقد مضى علي، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه.

لهذا سودوني:

قال أعرابي للأحنف: بم سودك قومك يا أحنف؟ فقال: سودني قومي في قومي بما ليس فيك يا ابن أخي.. فقال الأعرابي: وماذا عسى أن يكون هذا الذي فيك؟ فأجاب الأحنف: ذلك تركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

صوت أضراس الأسنان:

سأل أعرابي بخيلاً: من أشجع الناس؟ فأجاب البخيل: من سمع وقع أضراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته.

كذبنا في مدحه - فكذب هو في العطاء:

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئًا فقيل له: أنه لم يستجود شعرك يا أبا معاذ؟ فأجاب بشار: والله لقد قلت فيه شعرًا لو قيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنا كذبنا فيه القول فكذب هو في الأمل.

أصلح الله مصونك:

نزل رجل بصومعة ناسك فقدم إليه الناسك أربعة أرغفة وذهب ليحضر إليه عدسًا، فحمله وجاء فوجده قد أكل الخبز، فذهب فأتى بغيره فوجده قد أكل العدس، ففعل مع ذلك عشر مرات فسأله الناسك: أين مقصدك؟ فأجاب الرجل: إلى بلدة قريبة.. فسأله الناسك: ولماذا؟ فقال الرجل: بلغني أن بها طبيبا حاذقا أسأله عما يصلح مدعتي فإني قليل الشهوة للطعام.. فقال الناسك: إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي.. ثم قال:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل.

لأجل ذلك أكلته وحدي:

أقبل أحد الأعراب على أبي الأسود الدؤلي وهو يأكل فسلم عليه فرد التحية ولهى معه، فحاول الأعرابي أن يجتذب عطفه إليه ودار بينهما الحديث التالي:

الأعرابي: أما أني قد مررت بأهلك.

الدؤلــي: كذلك كان طريقك.

الأعرابي: وامرأتك حبلى.

الدؤلــي: كذلك كان عهدي بها.

الأعرابي: وولدت غلامين توأمين.

الدؤلــي: كذلك كانت أمها.

الأعرابي: ومات أحدهما.

الدؤلــي: وما كانت لتقوى على إرضاع اثنين.

الأعرابي: ثم مات الآخر.

الدؤلــي: وما كان ليبقى بعد موت أخيه.

الأعرابي: ثم ماتت الأم.

الدؤلــي: حزنا على ولديها.

الأعرابي: ما أطيب طعامك الذي أراه بعيني ولم أتذوقه بفمي.

الدؤلــي: لأجل ذلك أكلته وحدي.

نصيحة من فياذوق:

طلب الحجاج من فياذوق أن يصف له صفة يأخذ بها في نفسه ولا يعدوها .. فقال له فياذوق: لا تتزوج من النساء إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فينا، ولا تأكله حتى ينعم طبخه، ولا تشربن دواء إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها، ولا تأكل طعامًا إلا أجدت صنفه، وكل ما أحببت من الطعام وأشرب عليه إذا شربت فلا تأكل عليه شيئًا، وإذا أكلت بالنهار فنم، وإذا أكلت بالليل فتمش ولو مائة خطوة.

المجانين ثلاثة:

قال سهل بن هارون: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغضبان، والغبران، والسكران.

الزوج المثالي:

قيل لهند ابنة الخس: ألا تتزوجين؟ فقالت هند: لا أريده أخا فلان، ولا ابن فلان، ولا الظريف المتظرفين ولا السمين الأحلم.. ولكن أريده كسوبا إذا غدا، ضحوكا إذا أتى.

أجمل وصية:

بين مسلم الخواص ومحمد بن علي الصوفي قال مسلم: أوصني.. فقال له محمد: أوصيك بتقوى الله في أمرك كله، وإيثار ما يجب على محبتك، وإياك والنظر إلى كل ما دعاك إليه طرفك وشوقك إليه قلبك، فإنهما إن ملكاك لم تملك شيئا من جوارحك حتى تبلغ بهما ما يطالبانك به، وإن ملكتهما كنت الداعي لهما إلى ما أردت، فلم يعصيا لك أمرًا ولا يردا لك قولاً.

المروءة والجود وحسن الخلق:

جلس معاوية يومًا وكان بين الجالسين عبد الله بن هاشم فقال معاوية: على لساني أسئلة ثلاثة في حاجة إلى أجوبة ثلاثة فرد عليه عبد الله: أنا لها يا أمير المؤمنين.. فقال معاوية: أخبرني وأشبعني عن الجود؟ فأجاب عبد الله: أما الجود يا أمير المؤمنين، فبذل المال، والعطية قبل السؤال.. فسأله معاوية: عن النجدة. فقال عبد الله: أما النجدة، فالجرأة على الإقدام، والصبر عند ازورار الأقدام، فقال معاوية وعن المروءة؟ فأجاب عبد الله: أما المروءة، وهي آخر الأسئلة، فهي الإصلاح في الدين والإصلاح للحال والمحاماة عن الجار.

سر شجاعته:

قال أعرابي لعنترة بن شداد: أنت أشجع القوم حقًا، وما سر كل هذه الشهرة وتدور حولها.. فقال عنترة: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزًا، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا، ولا أدخل موضعًا لا أرى لي منه مخرجًا، وكنت أتعمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة، يطير لها قلب الشجاع فآتى عليه فأقتله.

وأنا عمر..

أخذ السراج ليلة في الذبول فوثب إليه رجاء بن حيسوة ليصلحه، فأقسم

عليه عمر وقام هو فأصلحه فقال رجاء: أتقوم يا أمير المؤمنين لتصلح السراج؟ فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

البكاء أسفا:

غضب الرشيد على حميد الطوسي فدعا له بالسيف فبكى، فقال له الرشيد: ما يبكيك؟ فقال حميد: والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت لأنه لا بد منه، وإنما بكيت أسفًا على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط علي.. فضحك الرشيد وقال: ومن أجل هذا عفونا عنك.

ظريف العرب أبو دلامة:

دخل أبو دلامة على المهدي، فسلم ثم قعد، وأرخى عيونه بالبكاء، فقال له، مالك؟ قال ماتت أم دلامة؟ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ودخلت له رقة لما رأى من جزعه فقال له: أعظم الله أجرك يا أبا دلامة. وأمر أن يعطي ألف درهم، وقال له: استعن بها في مصيبتك فأخذها ودعا له وانصرف. فلما دخل إلى منزله قال لأم دلامة: اذهبي فاستأذني على الخيزران، فإذا دخلت عليها فتباكي وقولي مات أبو دلامة.

فمضت واستأذنت على الخيزران، فأذنت لها، فلما اطمأنت أرسلت عينها بالبكاء. فقالت لها مالك؟ فقالت: مات أبو دلامة. فقالت: إنا الله وإنا إليه راجعون.. أعظم الله أجرك وتوجعت لها، ثم أمرت لها بألفي درهم. فدعت لها وانصرفت.

فلم يلبث المهدي أن دخل على الخيزران، فقالت يا سيدي، أما علمت أن أبا دلامة مات. قال: لا يا حبيبتي، إنما هي امرأته أم دلامة. فقال خرج من عندي الساعة آنفا. فقالت: خرجت من عندي الساعة، وأخبرته بخبرها وبكائها، فضحك وتعجب من عملهما.

فإن الذكرى:

عزى محمد بن الوليد بن عتبة الوليد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، لشغلك ما أقبل من الموت إليكم عمن هو في شغل مما دخل عليك، وأعد لنزوله عدة تكون لك حجابًا من الجزع وسترًا من النار.

فقال يا محمد، أرجو ألا تكون رأيت غفلة تنبه عليها ولا جزعًا يستتر منه، وما توفيقي إلا بالله.

فقال محمد: يا أمير المؤمنين إنه لو استغنى أحد عن موعظة يفضل، لكن الله يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات،٥٥).

مجالسة العقلاء:

قال ابن زرارة: جالس العقلاء.. أعداء كانوا أم أصدقاء، فالعقل يقع على العقل.

من علامة استكمال الإيمان:

قيل: ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الظلم، ومن إذا قدر لم يتناول ما ليس له.

مسببات الإهانة:

قيل: ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم: الجالس على مائدة لم يدع إليها، والمتآمر على رب البيت، وطالب الخير من أعدائه، وطالب الفضل من اللئام، والداخل بين اثنين من غير أن يدخلاه، والمستخف بالسلطان، والجالس مجلسًا ليس له بأهل، والمقبل بحديثه على من لا يستمع منه.

بما تتفادى نزول المكروه؟

قال علي ﷺ من استطاع أن يمنع نفسه من أربع خصال فهو خليق أن لا ينزل به مكروه: اللجاج، والعجلة، والتواني، والعجب.

فثمرة اللجاج الحيرة، وثمرة العجلة الندامة، وثمرة التواني الذلة، وثمرة العجب البغضة.

مع المرضى:

دخل على علي بن مسعود -رضي الله عنهما- عائد فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي فقال: وما تشتهي؟ قال رحمة ربي. فقال: ألا ندعو لك طبيبا؟ فقال

الطبيب أمرضني. فقال: ألا نأمر لك بشيء؟ قال: ما منحتني قبل اليوم فلا حاجة لي فيه اليوم، قال: فدعه لعيالك قال: إني علمتهم شيئا إذا راعوه لم يفتقروا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قرأ كل يوم وليلة الواقعة لم يفتقر أبدا»**.

الصبر والجزع:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لرجل أصيب في ولده: إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور (أي متحمل الوزر).

أشرف الموت!

قال علي رضي الله عنه يوم الحمل: إن الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم، ولا يفلته الهارب إن لم تقتلوا تموتوا، وإن أشرف الموت القتل.

الدنيا في إقبالها وإدبارها:

قيل: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعارته محاسن غيرها، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

أهناك من يخلو من عيب؟

قيل لبعض الفلاسفة: من الذي لا عيب فيه؟ فقال: الذي لا يموت.

لماذا كف الاسكندر عن حرب النساء؟

قصد الاسكندر موضعا فحاربته النساء، فكف عنهن فقيل له في ذلك، فقال: هذا جيش إن غلبنا، فما لنا فيه من فخر!، وإن غلبنا فذلك فضيحة آخر الدهر!

على مثلي؟!

جاءت امرأة إلى الحسن وقالت: أتفتي الرجال أن يتزوجن على النساء؟ فقال: نعم، فقالت: على مثلي؟ وكشفت قناعها عن وجه كالقمر! فلما ولت قال الحسن: «ما على رجل مثل هذه في زاوية بيته، ما أقبل عليه من الدنيا وما أدبر».

أفضل متاع الدنيا:

قال خالد بن صفوان: «إنما الدنيا متاع وأفضل متاعها زوجة صالحة».

لـــــــماذا؟

قـال الحسن لرجل استشاره في تزويج ابنته: زوجها من تقي، إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

خديعة غلام:

قال المغيرة: (المغيرة بن شعبة ثقفي من دهاة العرب، وصحابي كان مزواجًا توفى سنة ٥٠هـ ٦٧٠م) ما خدعت كما خدعني غلام من بني الحارث، فإني ذكرت له امرأة فقال: لا تردها فإني رأيت رجلاً يقبلها، وذهب فتزوج بها، فقلت له في ذلك فقال: رأيت أباها يقبلها!

أجدر بالداء أن يزول:

قيل: إذا كان الطبيب حاذقًا، والعليل عاقلاً، والقيم فهما فأجدر بالداء أن يزول.

أثر الرمد في النفس!

كتب علي بن القاسم: بلغني من حال رمد عرض لي ما أظلم ناظري، وأرمد خاطري، وأذهلني عن كل مهم، وصغر في عيني كل ملم.

سر مرضه!

قال طبيب لمريض: لا تأكل السمك، ولا اللحم. فقال: لو كانا عندي ما رضيت!

الشر والخير:

مرض أمير المؤمنين على ﷺ فدخل إليه الناس فقالوا: كيف نجدك؟ قال: بشرًا قالوا: هذا كلام مثلك؟! فقال أجل: إن الله يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء:٣٥) فالخير الصحة والشر المرض.

ما في العلة من نعم:

اعتل الفضل بن سهل بخراسان، ثم برئ، فدخل عليه الناس يهنئونه بالعافية فقال: إن في العلة نعمًا ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب،

والتـعـرض للثـواب، والإيقـاظ من الغـفلة، والإذكـار بالنعم في حـال الصـحـة والاستدعاء للتوبة، والحض على الصدقة، وفي قضاء الله تعالى وقدره الخيار.

كريم قومه:

روي أن مجوسيًا دخل على رسول الله ﷺ فأخرج رسول الله ﷺ وسادة حشوها ليف من تحته، وطرحها له، وأقبل عليه يحدثه، فلما نهض قال له عمر: إنه مجوسي، فقال ﷺ: **«قد علمت ولكن جبريل يأمرني أن أكرم كريم قوم إذا أتاني، وهذا كريم قومه وسيدهم»** (ابن ماجه).

الحمد لله الذي جعل في جيش عمر أمثال هؤلاء:

من أعجب ما جاء في الإخلاص لله ما روته كتب السيرة عن رجال الإسلام وجنوده، قالوا أن جنديًا كان في فتح القادسية، وبينما هو يمشي إذا به يجد حقًا به ذهب ودر، فأخذه من ساعته وتوجه به إلى قائده، ففتحه القائد أمامه. فلما أبصر الدر والذهب قال للجند أو ما رأيت ما فيه؟

فقال سيدي علمت كل ما فيه وما جئتك إلا بعد أن علمت ما بداخله، فقال له القائد إذن تحصي ما فيه من الذهب ونعطيك منه نصيبك الذي أعلمه الله لك، فقال يا سيدي. فلو تاقت نفسي إلى شيء من هذا ما جئت به إليك، فأعجب القائد بإخلاصه وقال له: ما اسمك أيها الرجل حتى أتحف بذلك أمير المؤمنين عمر؟ فقال أيدك الله بنصره لو أردت وجهك أو وجه عمر ما رأيتني أنت ولا عمر ولكنني أردت وجه ربي وربك ورب عمر فدعا له القائد بخير، وانصرف الرجل إلى شأنه وأخذ القائد الحق بما فيه فختمه بالمسك وأرسله إلى أمير المؤمنين بالمدينة، ومعه خطاب يصف فيه هذا الرجل الذي أبى عليه إخلاصه ودينه أن يذكر اسمه أو يقبل عطاء مع أنه كان فقيرًا معدمًا، كلما وقف عمر على إخلاص الجندي لله! قال لأصحابه وهو يشير إلى الحق، وما فيه، إن قوما أدوا مثل هذا لأمناء مخلصون وزهاد ورعون، وكان سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه من بين الحاضرين في مجلسه فقال يا أمير المؤمنين. عففت فعفوا ولو وقعت لوقعوا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في جيش عمر أمثال هؤلاء.

كل داء له دواء:

كان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة من أرض لمعاوية، فيها عبيد له من الزنوج يعمرونها، فدخلوا في أرض عبد الله: فكتب إلى معاوية: أما بعد، فإنه يا معاوية، إن لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضي، وإلا كان لي ولك شأن.،

فلما وقف معاوية على الكتاب، دفعه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه، قال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تنفذ إليه جيشًا أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه، فقال: يا بني، عندي خير من ذلك، على بدواة وقرطاس، وكتب: وقفت على كتابك يا ابن حواري رسول الله ﷺ، وساءني والله ما ساءك، والدنيا هينة عندي في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي رقما بالأرض والعبيد، وأشهدت علي فيه، ولتضف الأرض إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك والسلام.

فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية، كتب إليه.

وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام.

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله، دفعه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه اصفر وجهه، فقال له معاوية: يا بني، إذا رُميت بهذا الداء فدواءه بهذا الدواء.

كان علي بن أبي طالب فينا كأحدنا:

كان ضرار العدائي، من أشد الناس نصرة لعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فدخل ذات يوم على معاوية في خلافته، فقال معاوية: يا ضرار صف لي عليا، قال: اعفني يا أمير المؤمنين، قال لتصفه، قال ضرار: أما إذا لا بد من وصفه، فإني أقول: كان والله بعيد المدى، شديد القوى يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلمه لهيبته، ولا نبتدئه لعظمته، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، وأشهد لقد رأيته ذات ليلة، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، وهو يتمايل تمايل السليم، ويبكي بكاء اليتيم، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوقت؟

هيهات هيهات، فقد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، فلقد كان كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح واحدها في حجرها.

أتبكي يا معاوية، وأنت الموقظ للفتنة، المدير للمحنة؟ بليل بينتها، ودبرتها في الظلام، وجعلت تكيد لابن عم الرسول، زوج الزهراء، فحاربته وخدعته، وخدعت رجاله حين التحكيم، فتفرقت الكلمة وكانت متحدة، وتنافرت القلوب، وكانت مؤتلفة، وأيم الله، لقد كنت أعلم الناس به، وبأنه كما وصفه ضرار، وفوق ما وصفه ضرار، وما كان أحراك، وقد علمت ذلك، أن تترك الأمر شورى ولا تجعله في ولدك، فلا يقتل الحسين ظلمًا، كما قتل أبوه ظلمًا، أما أنت فالله بينك وبينه، وهو سبحانه أحكم الحاكمين.

الخوف كل الخوف أن أمنع جوائز رب العالمين:

كان إبراهيم النظام جالسا بين يدي المأمون إذ دخل بعض المتكلمين. ممن يقول بالدهر. فأما المأمون مناظرته. فطالت المناظرة. وكثر الشغب. فذكر بعض المتكلمين الحاضرين بالكوفة أن بالكوفة مجنونا اسمه عليان قد قطع كل خطيب وأسكت كل متكلم بسرعة جوابه وحدة خاطره فأحب المأمون أن ينظر إليه ويسمع كلامه فكتب إلى عامله. فلما دخل على المأمون نظر إلى رجل أشعث أغبر في زي المساكين فاستزراه المأمون فأمر أن يجلس مجلس العامة حيث يراه ويسمع كلامه. وقال لإبراهيم النظام: سائل الرجل، فقال له إبراهيم: ما اسمك؟ قال عليان. فضحك المأمون من تصغيره لاسمه وضحك بعض الحاضرين. وعرف ذلك عليان، فقال: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هود:٣٨). قال: فاستحيا منه المأمون ورفع من موضعه. وقال لإبراهيم النظام سائل الرجل. فقال له إبراهيم: يا عليان أسألك عن مسألة: قال عليان: سؤال متعلم أم متعمد. قال بل سؤال متعلم: قال: فانزل عن موضعك واجلس وضع يمينك على شمالك. واجمع بين عقبيك وارخ ذقنك على صدرك وسلم سلام متعلم على معلم وسل عما تريد ثم سأله عن القدر فأحسن وأجاد، ثم قال له إبراهيم: يا عليان، هذا يخالفك وأومأ بيده إلى

الذي يقول بالدهر لينجو هو من مناظرته، فقال له: ما يقول هذا؟ قال: يقول ليل ونهار وفلك دوار. وسماء خالية بلا جبان. فقال يا إبراهيم: هذا كافر، وكلامي معك ومخاطبتي لك. لا أعرف هذا أخبرني من ألهم أباك الشهوة؟ فأمر الجوارح بالحركة حتى أفضى الفرج إلى الفرج فصرت نطفة في قرار مكين إلى قدر معلوم وجعل النطفة علقة وجعل العلقة مضغة وجعل المضغة عظامًا رقيقًا، ثم كسا العظام لحمًا. ثم أنشأك خلقًا آخر؟ قال: الله. قال: فأخبرني من الذي فتح صحن الجبين وركب العينين فأسكنهما جوهرتين وزينهما بالحاجبين؟ قال: الله تعالى. قال: فأخبرني من عدل منكبيك فشدهما بعضدين وزينهما باليدين وركب الكفين وجعل الساقين اسطوانتين وركب تحتهما القدمين. قال: الله تعالى. قال: فأخبرني من الذي حبس عن أمك الحيض في أيام الحمل غذاء لك وتقوية لجسمك فلما كملت صورتك وانقضت أيامك وحان وقت خروجك إلى الدنيا. ناداك من فوق عرشه جلت عظمته. أخرج واعرف قدري فإني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني. فخرجت من ظلمة الأحشاء إلى دار الدنيا وأنت ضعيف مهين ليس لك رجلان تسعى عليهما. ولا يدان تتحرك بهما ولا لسان يتكلم ولا سن يقطع ولا ضرس يطحن ولا أذن تسمع ولا عقل يفهم. فأجرى لك من ثلاثمائة وستين عرقا عرقين دقيقين لبنا عذبا صافيا زلالا باردا في الصيف حارا في الشتاء جعله لك غذاء وحنن عليك أبوين شفيقين رفيقين فهما لا يأكلان حتى يطعماك ولا يشربان حتى يسقياك ولا ينامان حتى ينوماك. كل ذلك رأفة ممن خلقك فسواك فلما ترعرعت ونشأت كافأته بالمعاصي وجحدت ربوبيته فأمسك النظام والمتكلم ولم يجريا جوابا.

وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال يا عليان: هل من حاجة فأقضيها؟ قال: نعم. أريد أن تنسيء في أجلي وتتجاوز عن مساوئي. وتغفر لي خطيئتي. فبكى المأمون. وقال: يا عليان ليس هذا ليس. أنا لا أقدر استخلصه لنفسي: فكيف استخلصه لك؟ قال عليان: يا أمير المؤمنين. إن الله تبارك وتعالى لم يجعل أحد فوقك في عصرنا. فيجب عليك ألا يكون أحد أطوع لله منك.

فقال له: عظنا يرحمك الله: قال يا أمير المؤمنين: إن الذي أكرمك بما

آكرمك به يجب أن تحب له ما أحب وتبغض له ما أبغض. فوالله لقد أحب دارًا أبغضتها وأبغض دارًا أحببتها. كأنما أردت خلاف ربك. أو أردت سواه فاعلم يا أمير المؤمنين أن الذي في يديك لو بقى على من كان قبلك إذا لما صار إليك. وهكذا هو صائر لمن بعدك. فاتق الله في خلافتك واحفظ محمدا ﷺ في أمته فبكى المأمون: ثم أمر أن يحشى فمه درا وياقوتا. فقال له: اعفني يا أمير المؤمنين، فأعفاه ثم خرج من عنده. فقيل له: لم لم تقبل جوائز أمير المؤمنين؟ قال: خشيت أن أمنع جوائز رب العالمين.




عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

محمد ﷺ أعظم خلق الله

ما في قلبه يرتسم على وجهه.. وأشد حياء من العذراء في خدرها.. وأكثر مرحا مع الأطفال.. يخدم نفسه.. ويخيط ثوبه.. ويحلب شاته.. ولم يضرب في حياته امرأة أو يرفع يده على خادم.. وقال رجل للبراء: أكان وجه الرسول حيدا مثل السيف؟.. فقال: لا مثل القمر.. ونذكر من وصف معاصريك يا سيد الخلق وللذين تطاولوا على الإسلام، وعليك.. نقدم آراء عدد من المفكرين اليهود وغير المسلمين.. في سيرتك يا أعظم من أثر في البشرية.. فإن الرسالة التي أديتها ما زالت.. وستظل السراج المنير.

يقول الفيلسوف «فنلي» في كتابه «اليونان تحت حكم الرومان»: نجاح محمد رسول الإسلام كمشرع بين أقدم الأمم، وأثبت البلدان قدما في القانون -يريد اليونان والرومان- على مدى أجيال طويلة في شتى نواحي الهيكل الاجتماعي أن هذا الرجل الخارق قد كون من مزيج من كفاءات ممتازة.

أما جورج برنارد شو الكاتب العالمي البريطاني الشهير: إني أعتقد أن رجلا مثل محمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشود.. ثم يقول «شو»: أجل ما أحوج العالم اليوم إلى رجل كمحمد ليحل قضاياه المعقدة.

ويقول ديورانت صاحب الموسوعة التاريخية، «قصة الحضارة»: إن محمد باعث الحضارة الإسلامية وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس.. قلنا: إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ.. فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء.. وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحًا لم يزاحمه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله.. وقل أن تجد إنسانًا غيره حقق ما كان يحلم به من إصلاح.

وقال الفريد غليوم في كتابه عن الإسلام: علينا من المبتدأ أن نقرر أن محمدًا كان واحدًا من أعلام التاريخ العظماء، ويقينه الغالب أنه لا إله إلا الله..

ويدعو إلى ملة واحدة، وقدرته على التدبير خارقة مما جعل من السهل عليه أن يجمع شمل قومه بالرغم من عوامل الشقاق الكامنة في بلاد العرب أيام حياته.. ولقد كان محمد رجلا واحدا في بداية دعوته أمام قوم مجتمعين على واحد يستطيع أن يفعل كل هذا الإعجاز.. إنه بحق عظيم عظيم عظيم.

المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي العظيم توماس كارليل يرى أن التاريخ من صنع الأفراد العظام.. فألف كتابه في البطولة والأبطال في التاريخ، واختار عشرة أبطال صنعوا التاريخ، وأثروا فيه، وفي مقدمتهم محمد ﷺ، وأفرد له فصلا طويلا تحت عنوان: البطل في صورة نبي.. محمد رسول الإسلام.. وقال: أصبح من العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع.. وأن لنا أن نحارب ما يشاع مثل هذه الأقوال السخيفة القذرة المخجلة.. فإن الرسالة التي أداها الرسول ما زالت، وستظل السراج المنير. ويتساءل كارليل غير المسلم: هل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت.. أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفا وعبثا.. وكان الأجدر بها ألا توجد. هل رأيتم رجلا كاذبا يستطيع أن يخلق دينا ويتعهده بالبشر بهذه الصورة؟ فمن الخطأ أن نعد محمدا رجلا كاذبا متصنعا متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول.

وما محمد إلا شهاب أضاء العالم أجمع وذلك بأمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ويقول كارليل: حبذا محمد من رجل متقشف خشن الملبس والمأكل مجتهد في الله.. دائب في نشر دين الله غير طامح إلى ما يطمح إليه غيره من رتبة أو دولة أو سلطان. ولو كان غير ذلك ما استطاع أن يلاقي من العرب الغلاظ احترامًا وإجلالاً وإكبارًا، ولما استطاع أن يقودهم حوله يقاتلون بين يديه ويجاهدون معه.. ولولا ما وجدوا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا لإرادته، ولما انقادوا لمشيئته، وفي ظني أنه لو وضع، قيصر بتاجه وصولجانه وسط هؤلاء

القوم بدل محمد هذا النبي العظيم لما استطاع أن يجبرهم على طاعته، كما استطاع هذا النبي في ثوبه المرقع.

هكذا تكون العظمة وهكذا تكون العبقرية.

ويقول تولستوي (الفيلسوف والمفكر الروسي العظيم في رسالته التي ترجمت إلى العربية تحت عنوان «حكم النبي محمد»، يقول: يكفيه فخرًا أنه هدى أمة بكاملها إلى نور الحق.. وجعلها للسكينة والسلام.. وتفضل عيشة الزهد.. ومنعها من سفك الدماء، وتقديم الضحايا البشرية.. وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام.. ومحمد ﷺ لم يقل عن نفسه إنه نبي الله الوحيد.. بل اعتقد أيضا بنبوءة اليهود والنصارى لا يكرهون على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتمموا وصايا أنبيائهم ومن فضائل الدين الإسلامي الذي نشره سيدنا محمد: أنه أوصى خيرًا بالمسيحيين واليهود.. وأباح لأتباعه التزوج من المسيحيات واليهوديات والترخيص لهن بالبقاء على دينهن.

الخالدون مائة:

ويقول مايكل هارت مؤلف كتاب «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الإسلام»، وهارت أيضًا ليس مسلمًا: لقد اخترت محمدًا ﷺ في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار. لأنه الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي، ودعى إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائدًا سياسيًا وعسكريًا ودينيًا وبعد ١٣ قرنًا من وفاته. فإن أثره ما يزال قويًا متجددًا. وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم، ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية، وشعوب متحضرة سياسيًا وفكريًا.. إلا محمد عليه السلام. ولد عام ٥٧٠ ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن واستطاع لأول مرة في التاريخ أن يُوحِّدَ بينهم ويملأهم بالإيمان ويهديهم جميعًا بالدعوة إلى الإله الواحد، واستطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم الغزوات التي عرفتها البشرية.. فاتسعت الأرض تحت أقدامهم من شمال

شبه الجزيرة العربية لتمتد إلى الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسنيين وإلى الشمال الغربي لتكتسح بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية.. ويقول هذا الكاتب اليهودي: ولقد أرسى قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي، وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية.. والقرآن الكريم نزل عليه وحده، ووجد فيه المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم. وسجلت آياته تسجيلاً في منتهى الدقة، وهو حي.. فلم يتغير منه حرف.. ثم يقول الكاتب غير المسلم: لا يوجد في المسيحية كتاب واحد محكم دقيق لتعاليمها.. وكان أثر القرآن الكريم على الناس بالغ الأهمية. ولذلك كان أثر محمد عليه السلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على المسيحية، وعلى المستوى الديني فمحمد قوي في تاريخ البشرية. وكان الرسول على خلاف عيسى عليه السلام رجلاً دنيويًا زوجًا وأبًا.. وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم ويصاب في الحروب ويمرض.. ثم مات.. ويقول هارت اليهودي الأصل: ولما كان محمد رسول الله ﷺ قوة جبارة.. فيمكن أن يقال أنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ. وهذا الامتزاج بين الدنيا والدين هو الذي جعلني أؤمن بأنه أعظم الشخصيات أثرًا في تاريخ الإنسانية كلها.

صورة الرسول ﷺ:

وصورة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام كما رسمها معاصروه.. هي أبلغ رد على الذين يحاولون الإساءة إليه.

ملامح الروح الكريمة.. ما في قلبه يرتسم على وجهه، وأشد حياءً من العذراء في خدرها، وأكثر الناس مرحًا مع الأطفال، ويخدم نفسه، ويخيط ثوبه.. ويحلب شاته.. ولم يضرب في حياته امرأة أو يرفع يده على خادم.

ملامح الجسد الكريم: قامة متوسطة.. وجه مستدير مشرب بحمرة.. عينان سوداوان بأهداب غزيرة.. خد سهل، وأنف طويل.. أسنان بينهما مسافة.. شعر أسود يصل إلى الكتفين.. أطراف ضخمة.. وشامة بين الكتفين كبيضة الحمامة.

ملامح الوجه: قال رجل للبراء: أكان وجه الرسول حديدًا مثل السيف؟ فقال:

لا، ولكنه مثل القمر.. وقال علي بن أبي طالب: كان في الوجه تدوير. وهناك إجماع على أن النبي ﷺ كان **«حسن الوجه»** و **«مليح الوجه»**.

لون وجهه الكريم: قال أنس بن مالك كان أبيض بياضه إلى الحمرة، وقال علي بن أبي طالب كان رسول الله مشربًا وجهه حمرة. وهناك إجماع على أن الأجزاء الغير معرضة للرياح والشمس من جسم النبي كان لونها أبيض.

العين: إجماع على أن عين النبي ﷺ كانتا واسعتين.. والحدقة شديدة السواد، والبياض فيه شيء من الحمرة. وكانت الأهداب تتشابك في غزارتها.. وقال جابر بن سمرة: كنت إذا نظرت إليه ﷺ قلت: أكحل العينين وليس بأكحل.

الجبين والحواجب: واسع الجبين.. دقيق الحاجبين.. لا يتصلان بل بينهما فاصل يجري فيه عرق يظهر عند الغضب.

الأنف والخدين: سهل الخدين.. طويل الأنف.

الرأس: قال علي بن أبي طالب: كان ﷺ ضخم الرأس واللحية.. وقالوا: كث اللحية وحسن اللحية.

الفم والأسنان: قال الحسن بن علي أن النبي كان ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، وقالوا في وصف فم الرسول ﷺ: كان حسن الثغر، وقال ابن عباس: أفلج السنتين.. أي أن هناك مسافة بين السنتين الأماميتين في فمه وإذا تكلم رؤي كالنور بين ثناياه.

الشعر: أسود له موج، يضرب على كتفيه، ويمشطه منسولاً بعد البعثة.. ثم فرقه بعد ذلك.. وكان له خصلات يضفرهم أربع ضفائر حول أذنيه أحيانًا كما تقول أم هانئ. ونفى أنس بن مالك أن يكون الرسول ﷺ قد استعمل الحناء، وتوفى الرسول ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.. وإنما كانت حمرة هذه الشعيرات من أثر الطيب.. وكان الشيب القليل عند النفقة.. أي الشعر الذي تحت الشفة السفلى وفي الصدغين.. وفي مفرق الرأس.

القامة: يقول علي بن أبي طالب عن الرسول ﷺ: كان بالذاهب طولاً، وفوق الربعة وقال أبو هريرة: كان رجلاً ربعة وهو إلى الطول أقرب.

الصدر والأطراف: بعيد ما بين المنكبين.. ضخم القدمين.. ضخم الكتفين.. طويل الذراعين.. ضخم مفاصل العظام.. قليل لحم القصب.. غليظ الأصابع.. وقالت ميمونة بنت كرم: ما نسيت طول أصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه وكانت ميمونة قد رأته على ناقة بمكة.. وكان أشعر الذراعين والمنكبين أعلى الصدر وكان بين كتفي النبي ﷺ شامة كبيض الحمامة.. وكانت أقرب إلى الكتف اليسرى.. وقد اقترح رجل على الرسول ﷺ أن يعالجها.. فقال: يا رسول الله إني قاطب الرجال أفأعالجها لك؟ قال ﷺ: لا، طبيبها الذي خلقها.. وقال أبو سعيد: الختم الذي كان بين كتفي النبي.. لحمة ناتئة.

الصورة العامة: قال إبراهيم بن محمد: النبي ﷺ كان متوسط القامة.. شعره مموج.. غير بدين، وفي الوجه تدوير، وهو أبيض مشرب بحمرة.. في رؤوس العظام وأصابع الأطراف ضخامة إذا التف التف معا.. شديد سواد العينين.. طويل الأهداب، يمشي بقوة كأنه ينزل من منحدر.. من رآه فجأة هابه.. ومن خالطه معرفة أحبه. وكان يرتدي من الألوان الأحمر والأخضر.. وفي هذين اللونين بالذات.. كان يبدو آية في حسن الرجولة. وقال أبو سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها..

كما قالت عائشة: كان بشرا من البشر.. يحلب شاته.. ويخدم نفسه، ويخصف نعله، ويخيط ثوبه، وقال أنس بن مالك: الرسول ﷺ كان من أفكه الناس مع صبي. وكان إذا مر على صبيان.. سلم عليهم. كان يضطجع على الحصير ويقول لمن يخفف عليه قسوة فراشه: مالي والدنيا.. ما أنا والدنيا إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.. كان يركب الحمار، ويلبس الصوف.. بسيطًا.

وقال جابر بن سحرة: كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس.. فإذا طلعت قام.

قال إياد بن أبي رمثة: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ.. فلما رأيته قال لي: هل تدري من هذا؟ قلت: لا.. قال: إن هذا رسول الله فاقشعررت حين قال ذلك.. وكنت أظن الرسول شيئًا لا يشبه الناس.. فإذا به بشر.

فيقول عمرو بن العاص حينما حضرته الوفاة: ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ.. ولا أجل في عيني منه. وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطلقت.. لأني لم أكن أملأ عيني منه.

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص في وصفه: والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن الكريم: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا».. وحرزًا للأميين.. وأنت عبدي ورسولي، وسميتك المتوكل.. لست بفظ ولا غليظ.. ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر. ولم يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما، وقلوبا غلفا. وفي الذكرى العطرة يقول شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

عظمة رسول الله ﷺ في تفجر الماء بين أصابعه:

١- عن أنس رضي الله عنه قال: «**أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم**».

قال قتادة: قلت لأنس كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة.

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجده فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم.**

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **خرج النبي ﷺ في بعض مخارجه ومعه ناس من أصحابه فانطلقوا يسيرون فحضرت الصلاة فلم يجدوا ماء يتوضأون فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير فأخذه النبي ﷺ فتوضأ ثم مد أصابعه الأربع على القدح ثم قال: قوموا فتوضئوا. فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريد من الوضوء وكانوا سبعين أو نحوه.**

عن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه

ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال: «مالكم؟» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ، ولا نشرب إلا ما بين يديك. «**فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا**». قلت: كم كنتم قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشر مائة.

٤- عن البراء ﷺ قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة وبالحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وأصدرت ركائبنا.

عظمة الرسول ﷺ مع أبي جهل:

يروى أن الرسول ﷺ دخل السوق يومًا، فوجد أبا جهل يساوم رجلا على جمل، يبخس الثمن، والناس من حوله لم يستطع أحد منهم أن يتقدم ويرفع الثمن، لجبروت أبي جهل، فتقدم رسول الله ﷺ وزاد في الثمن، فزاد أبو جهل، فزاد رسول الله، فزاد أبو جهل. فزاد رسول الله فزاد أبو جهل وهكذا أخذ الرسول يزيد وزيد، حتى بلغ الجمل أضعافًا مضاعفة وعجز أبو جهل وترك الجمل مخزيا.

ويروى كذلك أن رجلاً باع جملاً لأبي جهل، واشتراه أبو جهل بثمن مؤجل، ووعده أبو جهل بدفع الثمن بعد أيام قليلة. فلما فات الموعد ذهب الرجل إلى أبي جهل وطالبه بثمن الجمل، فأجل ثم جاء إليه فأجل، وهكذا حتى ظهر أبو جهل بمظهر المماطلة. فتوسل الرجل إلى الناس فلم يغثه أحد، ثم ذهب إلى سيدنا محمد بن عبد الله وقص عليه أمره، فقال: «**تعالى معي...**» وأخذ بيده إلى دار أبي جهل ونادى «**يا أبا جهل، إن هذا الرجل قد باع لك جملاً، وماطلته في الثمن ومطل الغني ظلم. فأد إليه حقه الآن**». فما كان من أبي جهل إلا أن أسرع ودفع الثمن، ولم ينطق ببنت شفة. وسئل أبو جهل في هذا. كيف خرس لسانك، وطاوعت محمدًا؟ قال: حين ناداني محمد، أحسست بأن البيت كان يتزلزل بي، ولو لم أدفع له الثمن لخسف بي وبداري.

من معجزات رسول الله ﷺ في شأن بعض المنافقين:

المعجزة الأولى:

كان ممن تعود بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار اليهود: زيد بن الصلت الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سوق بني قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟. فقال رسول الله ﷺ وجاءه الخبر بما قال عدو الله وفي رحله ودل تبارك وتعالى رسوله ﷺ على ناقته: إن قائلا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، فهي في هذا الشعب وقد حبستها شجرة بزمامها. فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ حيث وصف.

المعجزة الثانية:

ورفاعة بن زيد بن النابوت، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ حين هبت عليه الريح وهو قادم من غزوة بني المصطلق فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تخافوا، فإنما هبت الريح لموت عظيم عظماء الكفار»**. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وجد رفاعة بن زيد بن النابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح.

المعجزة الثالثة:

في غزوة أحد.. وعندما اشتد حمى المعركة.. وابتلى الله المسلمين بعد أن نسوا أوامر رسول الله ﷺ وخلوا أماكنهم فوق الجبل حرصا على الغنائم. التف المسلمون حول رسول الله ﷺ وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره، وهو منحنى عليه، حتى كثر فيه النبل ثم أن رسول الله ﷺ رمى عن قومه حتى اندقت سيتها، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده.

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت إحدى عينيه وجنته فردها رسول الله ﷺ بيده.. فكانت أحسن عينيه وأحدهما.

دعابة المقداد:

روى مسلم عن المقداد قال: أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجوع. فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ. فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنزه فقال النبي ﷺ: «**احتلبوا هذا اللبن بيننا**»، قال فكنا نحتلب، فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه، قال فيجيء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما، ويسمع اليقظان، قال ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب.

فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي. قال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه.. ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها.

فلما أن وغلت في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل، قال ندمني الشيطان، فقال ويحك ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده، فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك!!

وعلى شملة إذا وضعها على قدمي خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم. وأما صاحباي فناما، ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ﷺ كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه، فكشف عنه، فلم يجد فيه شيئًا، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو فأهلك، فقال: «**اللهم اطعم من أطعمني، واسق من سقاني!!**».

قال فعمدت إلى الشملة فشددتها علي، وأخذت الشفرة، فانطلق إلى الأعنز أيها أسمن، فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافلة، وإذا هن حفل كلهن!! فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى عليته رغوة، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**أشربتم شرابكم الليلة؟**» قال: قلت: يا رسول الله اشرب، فشرب، ثم ناولني، فقلت: يا رسول الله اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد روي وأصبت دعوته ضحكت حتى ألقيت على الأرض!!، فقال النبي ﷺ: «**إحدى سوآتك يا مقداد؟**»، فقلت يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا، فقال النبي ﷺ: «**ما هذه إلا رحمة من الله، أفلا كنت أذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها**».

عظمة النبي ﷺ في شفاء الجريح:

ذهب عبد الله بن عتيك مع أربعة رجال من الخزرج إلى خيبر لقتل أبي رافع الأعور سلام بن أبي الحقيق المحرك الأول لأهل خيبر على حرب المسلمين وتوجه إلى بيت أبي رافع. فاحتال على البواب حتى دخل البيت وقال لمن كانوا معه: انتظروني حتى أجيء لكم، ودخل البيت، وصار يفتح الأبواب التي توصل إلى أبي رافع وكلما فتح بابا أغلقه من الداخل، حتى انتهى إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم يمكنه تمييزه فنادى: يا أبا رافع قال: من؟

فاتجه نحو الصوت وضربه بالسيف حتى قتله. ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفا فوقع من فوق السلم فانكسرت رجله، فعصبها بعمامته ثم انطلق إلى أصحابه وقال:

النجاة!! لقد قتل والله أبو رافع.

فذهبوا إلى الرسول ﷺ فحدثوه بما حدث ثم قال لعبد الله: ابسط رجلك، فمسحها ﷺ فكأنه لم يشتك منها قط وعادت أحسن مما كانت.

من الكرم المحمدي:

عن جابر بن عبد الله قال: غزوت مع رسول الله ﷺ، فتلاحق بي وتحتي ناضح لي وقد أعيا، ولا يكاد يسير قال: فقال لي: «**ما لبعيرك؟**»، قال: قلت: عليل.

قال: فتخلف رسول الله ﷺ فزجره، ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير!!

قال: فقال لي: «**كيف ترى بعيرك؟**»، قال: قلت بخير قد أصابته بركتك، قال: «**أفتبيعنيه؟**»، فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره.

قال: فقلت نعم، فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة، قال فقلت له يا رسول الله: إني عروس، فاستأذنته فأذن لي، فتقدمت الناس إلى المدينة حتى انتهيت، فلقيني خالي، فسألني عن البعير، فأخبرته بما صنعت فيه، قال وقد كان رسول الله ﷺ قال لي حين استأذنته: «**ما تزوجت أبكرا أم ثيبا؟**»، فقلت له تزوجت ثيبا!.

قال: «أفلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك؟».

فقلت: يا رسول الله توفى والدي واستشهد ولي أخوات صغار فكرهت أن أتزوج إليهن مثلهن، فلا تؤدبهن، فلا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبا لتقوم عليهن وتؤدبهن، قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوت إليه بالبعير، فأعطاني ثمنه، ورده علي.

وتتحقق نبوءة الرسول ﷺ ويدخل سهيل الإسلام:

هو.. سهيل بن عمرو بن خطيب وحكيم قريش الشهير، ومفاوض رسول الله ﷺ عن الكافرين في عام الحديبية، وكان مشقوق الشفة منذ ولد، وفي غزوة بدر أسر سهيل ووقف أمام النبي ﷺ وعمر بن الخطاب، فقال عمر يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيبا بعد اليوم فأجابه سيدنا محمد ﷺ: **«كلا يا عمر.. لا أمثل بأحد فيمثل الله بي، وإن كنت نبيا»**، ثم قال: **«يا عمر.. لعل سهيلا يقف غدا موقفا يسرك»**.

وتتحقق النبوءة، ويدخل سهيل بن عمرو الإسلام ويكون أحد خطبائه الكبار ومحاربيه البواسل، وعند وفاة الرسول ﷺ ولما وقف أبو بكر في مكة ليقول للناس: «من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت» وقف سهيل بن عمرو خطيبا مقاوما للفتنة التي كادت تتسلل إلى صفوف المسلمين بوفاة الرسول ﷺ ومما جاء في خطبته:

(يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله إن هذا الدين ليمتدن امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما).

لقد أصبحت ثنيتا سهيل اللتان كان عمرو يود تمزيقهما في عون الإسلام، ومات سهيل في طاعون «عمواس» بالشام في خلافة عمر سنة ثماني عشرة من الهجرة.

كلما سألته أعطاني:

عن حكيم بن جزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ، فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن

أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السفلى. قال حكيم: قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر ﷺ يدعو حكيما إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه: ثم إن عمر ﷺ دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبل شيئا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى تولى.

من تواضع العظماء:

عن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال: لا والله، ما كانت تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجفان، ولا يراح عليه بها، ولكنه كان بارزا: من أراد أن يلقى نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويوضع طعامه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف عبده، ويعلف دابته بيده ﷺ.

عظمة النبي ﷺ في الرفق بالأسارى:

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد.

فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي خير، يا محمد: أن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم، تنعم على شاكره، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: «**ما عندك يا ثمامة؟**» قال: ما قلت لك: إن تنعم.. تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره النبي ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ.

عظمة الرسول ﷺ في كرمه:

مر النبي ﷺ بأخت عدي، فقامت إليه، وكانت امرأة جذلة، وكلمته ﷺ أن يمن عليها، فمن عليها، فأسلمت رضي الله عنها، وخرجت إلى أخيها عدي، فأشارت بالقدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عليه: ويذكر أنها قالت له ﷺ: يا محمد أرأيت أن تخلي عنا، ولا تشمت بنا أحياء من العرب، فإني ابنة سيد قومي، وأن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي، فقال لها النبي ﷺ: **«يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»**.

فمن عليها وأطلقها، فدعت له فقالت:

شكرتك يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة من كريم إلا وجعلك سببا لردها عليه.

رسول الله ﷺ ونخل جابر:

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان بالمدينة يهودي، وكان يسلفني في تمري إلى الجداد (يشتري مني تمري سلفا إلى يوم قطعه) وكان لجابر الأرض التي بطريق رومة، فجلست، فخلا عاما، فجاءني اليهودي عند الجداد ولم أجد منها شيئا، فجعلت استنظره إلى قابل، فيأبى، فأخبر بذلك النبي ﷺ.

فقال لأصحابه: **«اشموا نستنظر لجابر من اليهودي»**، فجاءوني في نخلي، فجعل النبي ﷺ يكلم اليهودي، فيقول: أبا القاسم لا أنظره. فلما رأى النبي ﷺ قام فطاف في النخل، ثم جاءه فكلمه، فأبى، فقمت فجئت بقليل رطب، فوضعته

بين يدي النبي ﷺ فأكل، ثم قال: أين عريشك يا جابر؟ فأخبرته، فقال: **«افرش لي فيه»**، ففرشته، فدخل فرقد، ثم استيقظ، فجئته بقبضة أخرى، فأكل منها، ثم قام فكلم اليهودي، فأبى عليه، فقام في الرطاب في النخل الثانية.

ثم قال يا جابر: **«جد واقض»**، فوقف في الجداد، فجددت منه ما قضيته، وفضل منه، فخرجت حتى جئت النبي ﷺ. فبشرته. فقال: **«أشهد أني رسول الله»**.

من يسر العقيدة:

روى ابن سعد في طبقاته عن عمرو بن عبسة قال: إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة، ولا أرى الأوثان بشيء. ثم سمعت عن رجل يخبر أخبارا بمكة، ويحدث بأحاديث، فركبت راحلتي، حتى قدمت مكة.. فإذا أنا برسول الله ﷺ مستخفيا، وإذا قومه عليه جراء.. فتلطفت، حتى دخلت عليه.

فقلت: ما أنت؟ قال: **«أنا نبي!»**.

فقلت: وما نبي؟ قال: **«رسول الله»**.

قلت: الله أرسلك؟ قال: **«نعم»**.

قلت: فبأي شيء؟ قال: **«بأن يوحد الله، ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان، وصلة الأرحام»**.

فقلت له: من معك على هذا؟ قال: **«حر وعبد»**، وإذا معه أبو بكر وبلال، فقلت له: إني متبعك!

قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت، فالحق بي.

ريق الحبيب طب وطيب:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لأعطين الراية غداً رجل يفتح الله على يديه»**، قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟»**.

فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: **«فأرسلوا إليه فأتوني به»**، فلما جاء

بصق في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم».**

حكمة رسول الرسول ﷺ:

أرسل رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي بكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين (في البحرين كثير من المجوس منهم المنذر)، يدعوه إلى الإسلام، وذكر السهيلي في الروضة أن العلاء لما قدم عليه قال له:

يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرن عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكرم العرب، ولا علم أهل الكتاب: ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتكرم عن أكله، ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا تصدقه ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تثق به، فإن كان هذا هكذا فهذا هو النبي الأمي، الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل، وفكر أهل النظر.

فقال المنذر: قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة، ورأيت في دينكم، فرأيته للآخرة والدنيا، فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام ما جاء به أن يعظم رسوله.

عظمة النبي ﷺ في تلبية الشجرة لندائه الكريم:

كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا يوم برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة.

فقال له رسول الله ﷺ: **«يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟».**

قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. فقال له رسول الله ﷺ:

«أفرأيت أن صارعتك، أتعلم أن ما أقوله حق؟». قال نعم. قال: «قم حتى أصارعك». فقام إليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئا.

ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه، فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب، أتصارعني؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه، إن اتقيت الله واتبعت أمري». قال: ما هو؟

قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتينى».

قال: أدعها.

فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ. قال: فقال لها ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها. فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فو الله ما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع.

عظمته ﷺ في تسبيح الطعام:

عن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور والبركة من الله.

فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

عن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء. قالت: نعم.

فأخرجت أقراصا من شعير، وأخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعض ثم دسته تحت يدي ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم.

فقال لي رسول الله ﷺ: «أأرسلك أبو طلحة». فقلت: نعم. قال: «طعام». فقلت: نعم. فقال ﷺ: «لمن معه: قوموا».

فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم. فقال: الله ورسوله أعلم.

فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه. فقال ﷺ: «**هلمي يا أم سليم ما عندك**». فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال: «**ائذن لعشرة**» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. ثم قال: «ائذن لعشرة». فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا. «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.

بين رسول الله ﷺ وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا:

لما نزلت سورة «المسد» في أبي لهب وزوجته العوراء أم جميل بنت حرب، اقتربت أم جميل وكان رسول الله ﷺ جالسًا ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قادمة قال للرسول ﷺ: «**لو تنحيت لا تؤذينك بشيء**». فقال الرسول ﷺ: «**إنه سيحال بيني وبينها**».

وظل الرسول ﷺ في مكانه حتى أقبلت أم جميل ووقفت أمام أبي بكر فقالت: يا أبا بكر هجانًا صاحبك.

فقال أبو بكر: لا، ورب هذه البنية ما نطق بالشعر ولا تفوه به.

فقالت: إنك لمصدق.

فلما غابت قال أبو بكر للنبي ﷺ: ما رأتك؟

قال ﷺ: «**ما زال ملك يسترني حتى ولت**».. إنها نبوءة قصيرة جدًا زمنها لحظات معدودة.

وفي رواية أخرى أن الرسول ﷺ قرأ شيئا من القرآن، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء:٤٥).

نبوءة الرسول ﷺ لعمار بن ياسر:

عمار بن ياسر.. ملحمة الصبر الكبيرة على عذاب المشركين في مكة،

والبطولة المطلقة في معارك الإسلام.. عمار الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«من عادى عمارا عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله»**.. استقرت في ذاكرته وذاكرة الصحابة كلمة قالها له الرسول ﷺ على الملأ أثناء بناء المسجد في المدينة وكانوا جميعًا يحملون الأحجار لاستكمال البناء.. قال ﷺ: **«ويح ابن سمية!! تقتله الفئة الباغية»**.

وبعد هذه الكلمة بقليل سقط جدار في المنطقة التي يعمل فيها عمار وظن الناس أن عمارا مات تحت الأحجار ونقلوا ظنونهم إلى الرسول ﷺ فقال مؤكدا: **«ما مات عمار تقتل عمارا الفئة الباغية»**.

وهنا نلتقي بتحديدين واضحين أولهما النبوءة بأن حياة عمار ستنتهي قتلا والثانية أن القتل سيكون على يد الفئة الباغية، فلم يقل الكفار وهو ما قد يتجه إليه التصور للوهلة الأولى ولكنه قال ﷺ: **«الفئة الباغية»** وهذه الصفة لا تجعلنا على يقين من أن عمارا سيقتل على يد الكافرين.

وتتعاقب السنون، ويصل عمار إلى سن الثالثة والتسعين، فلا يدركه الموت طوال هذه الفترة ولا ينال الشهادة في حروب الإسلام الطويلة.. فنبوءة النبي ﷺ صوت للحقيقة المقبلة.. فيدب الشقاق بين المسلمين ويستفتي عمار قلبه فيجد الحق إلى جانب علي بن أبي طالب صاحب البيعة وخليفة المسلمين فيقف إلى جانبه، وعلى الجانب الآخر يقف معاوية وفريقه.. وتحين موقعة صفين ولا يجد علي بدًا من الحرب ويؤازره عمار حاملاً سيفه، ويحاول أنصار معاوية أن يبتدعوا عن عمار حتى لا يحق فيهم قول الرسول ﷺ فيكونوا هم الفئة الباغية، وكأنما أدرك عمار أنه فصل النهاية أو ربما هو شوقه للنهاية فمضى يقول: «اليوم ألقى الأحبة.. محمدا وصحبه»..

واستشهد عمار وتحقق أمله وشوقه بعد أربعين عامًا من النبوءة المحمدية وعلى يد الجانب الآخر فزع رجال معاوية، فمقتله على أيديهم يعني أنهم **«الفئة الباغية»**.. ووقع معاوية في مأزق.. أنه لا يستطيع أن يكذب كلمة الرسول ﷺ فأكد أن تلك النبوءة حق قائلا: «إن القتلة هم الذين خرجوا بعمار من داره وجاءوا به إلى القتال».

عدي بن حاتم والنبوءات المحمدية الثلاثة:

قال الرسول ﷺ لعدي بن حاتم وكان ركوسيا -يدين بدين بين دين النصارى والصابئين- قبل أن يدخل الإسلام: **«لعلك يا عدي أن ما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك أن ما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك أن ما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم»**، قال: فأسلمت.

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفضن المال حتى لا يوجد من يأخذه..

نبوءة الرسول ﷺ للحسن رضي الله عنه:

عن أبي بكر رضي الله عنه **«أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»** (رواه البخاري).

هذه نبوءة محددة بواقعة ليس من المألوف حدوثها لكثير من الناس، خاصة أن الرسول ﷺ اختار الحسن من أسرته ليخبرنا بأنه سيكون صوت سلام بين فئتين كبيرتين من المسلمين، ولو كان الأمر متعلقًا بوساطة للتوفيق بن آحاد من الناس لما كان ذلك موضوعًا لحديث أو نبوءة لاعتياد حدوث ذلك بين الناس من حين لآخر..

كان علي رضي الله عنه قبل أن يقضي نحبه على يد الخارجي بن ملجم، قد بايعه أربعون ألفًا من جنده على الموت إلا أن القدر عاجله وهو يتجهز للسير.. فلما قتل بايع الناس -في الكوفة- ولده الحسن، وخرج الحسن بجيش أبيه للقاء معاوية.. وكانت رياح الفتنة الكبرى القاسية قد نالت من المسلمين الكثير.. فتراءى للحسن أن يكف الشر عن المسلمين وعن نفسه ويحقن الدماء فكتب إلى معاوية في الصلح رغم معارضة أخيه الحسين، وحدد شروطه لمعاوية فقبل معاوية وتم الصلح ودخل

معاوية الكوفة - وكان معه عمرو بن العاص - في ربيع الأول سنة ٤١ هجرية وخطب في الناس فعقب الحسن بكلمته الشهيرة:

«أيها الناس إن الله قد هداكم بأولنا وحقن دمائكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول، وإن الله عز وجل قال لنبيه: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الأنبياء:١١١).

نبوءتان لرسول الله ﷺ عن أبي ذر رضي الله عنه:

في الطريق إلى غزوة تبوك، وكان القيظ على أشده تعثر بعير أبي ذر فتخلف عن موكب الرسول ﷺ، فلحق بهم أبو ذر ماشيًا على قدميه وحين أدركهم -متعبًا مجهدًا من مشاق الطريق- قال ﷺ مواسيًا: **«يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»**. وبعد عشرين عامًا على هذا اليوم أشرف أبو ذر على الموت وحيدًا في فلاة الربذة فبكت زوجته لموته في هذا المكان البعيد عن الناس فقال لها أبو ذر: «لا تبكي فإني سمعت الرسول ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر من أصحابه يقول: **«ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين»** ثم أكمل أبو ذر قائلاً: وكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، ولم يبق غيري، وها أنا ذا بالفلاة أموت، فراقبي الطريق فستطلع علينا عصابة من المؤمنين فإني والله ما كذبت» (وكذبت بضم الكاف).

لا تشكو ربك لرسوله:

وجاء في كتاب الحلية لأبي نعيم رضي الله عنه أن رجلاً كان فقيرًا على عهد رسول الله ﷺ وكان من فقره تقيًا صالحًا حريصًا على صلاة الجماعة خلف رسول الله ﷺ وكان لا يملك إلا ثوبًا باليًا قديمًا كان يرقعه من حين إلى حين حتى أصبح لا يتحمل ترقيعًا فانطقع عن صلاة الجماعة خلف رسول الله ﷺ. فسألته زوجته عن سبب تخليه عن المسجد فأخبرها أنه يستحيي من ثوبه. فقالت له الزوجة وكانت صالحة أيضًا: خذ ثوبي فصل به. ففعل فكان إذا فرغ من صلاته أسرع إلى منزله لتتمكن زوجته من صلاة الوقت في حينه. وظل على ذلك أيامًا وافتقده رسول الله ﷺ فسأل عنه أصحابه فقالوا له: يا رسول الله إنه يصلي في الصف الأخير، فإذا فرغت من صلاتك أسرع إلى النودة دون أن يكلم أحدًا منا. فقال

النبي ﷺ: «علي به» فأحضروه إلى مجلس رسول الله ﷺ. يعلو وجهه الخجل ويكسوه الاستخزاء. فسأله النبي ﷺ: عن أسباب غيبته عن مجلسه. فقال: يا رسول الله: إن أحب شيء إلي أن أصلي خلفك. ولكن ليس لي ثوب أصلي فيه وقد أخذت ثوب زوجتي منها فأنا أحضر به الجماعة خلفك. فإذا فرغت أسرعت في عودتي لكي تدرك الزوجة الوقت قبل خروجه. فلما سمع الرسول منه قوله رق له وأمر بثوب. فأخذه وعاد به إلى منزله. فلما رأت زوجته الثوب معه سألته: من أين لك هذا الثوب؟ فحدثها حديثه، عليها خبره. وأعلمها أن هذا ثوب رسول الله فأغضبها قوله وقالت له: يرحمك الله، أو تشكو ربك لرسوله؟.

معجزة الرسول ﷺ في الدعاء:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله ﷺ فبينما هو يخطب يوم جمعة إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلكت الكراع.. هلكت الشاة.. فادع الله يسقنا فمد يديه ودعا.

قال أنس: وإن السماء لمثل الزجاجة فهاجت ريح أنشأت سحابا ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتى أتينا منازلنا فلم تزل تمطر إلى الجمعة الأخرى فقام إليه ذلك الرجل وغيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت.. فادع الله يحبسه.

فتبسم ﷺ ثم قال: حوالينا ولا علينا. فنظرت إلى السحب تصدع حول المدينة كأنه إكليل.

معجزته ﷺ في انشقاق القمر:

سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يريهم آية تدل على نبوءته وصدق رسالته وكان ﷺ يروى لهم آيات الله تعالى في سورة القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر:١).

فقال لهم: «اشهدوا».

فرأوا القمر ينشق إلى فلقين حتى رأوا جبل حراء بينهما وانفلق القمر فلقتين على أبي قبيس وقيقعان معجزة له ﷺ وتصديقا لقول الله.

معجزة غزوة بدر:

قال ابن اسحق: وقاتل عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي حليف بني عبد شمس ابن عبد مناف يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده. فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلا من حطب فقال: قاتل بهذه يا عكاشة. فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزه فعاد سيفا في يده طويل القامة شديد المتن، أبيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى، العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردة وهو عنده.

وأنا على ذلك شهيد:

وقيل: إن رجلا أعرابيا بدويا، جاء إلى النبي ﷺ فآمن به ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي بعض أصحابه، وضمه إلى جنده، ثم كانت غزوة انتصر فيها المسلمون، وغنم النبي فيها شيئا قسمه على من معه، وأرسل إلى الأعرابي نصيبه فلما وصل إليه قال الأعرابى: ما هذا، قال ﷺ: **«حظك من الغنيمة قسمته لك»**. قال يا محمد، ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى بسهم إلى هنا – وأشار إلى حلقه بيده – فأموت فأدخل الجنة. فقال له الرسول ﷺ: **«إن تصدق الله يصدقك..»** ثم نهضوا في قتال العدو وما لبثوا إلا قليلا، حتى جيء بالأعرابي محمولا، فقد أصابه سهم في حلقه، حيث أشار بيده.. قال الرسول ﷺ: **«أهو هو؟»** قالوا: نعم، قال ﷺ: **«صدق الله، فصدقه الله»**، ثم كفن في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه، وقام يدعوا لهذا الأعرابي القتيل بهذا الدعاء الحاني: اللهم هذا عبدك، خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، وأنا على ذلك من الشاهدين.

نبوءة رسول الله ﷺ في مقتل أمية بن خلف:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلق سعد بن معاذ معتمرا، فنزل على أمية بن خلف بن صفوان، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد، فقال أمية لسعد انتظر حتى إذا انتصف النهار وقفل الناس انطلقت فطفت، فبينما سعد يطوف إذا بأبو جهل فقال من هذا الذي يطوف بالكعبة، فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل تطوف الكعبة آمنا وقد أويتم محمدا وأصحابه فقال نعم، فتلاحيا بينهما (أي تحدثا في الباطل) فقال أمية لسعد لا

ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي، ثم قال سعد والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، فجعل أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك وجعل يمسكه، فغضب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمدا ﷺ يزعم أنه قاتلك، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: والله ما يكذب محمد إذا حدث. فرجع إلى امرأته، فقال: أما تعلمين ما لأخي اليثربي، قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد.

فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ (أي المستغيث) قالت له امرأته، أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي، فأراد أن لا يخرج فقال له أبو جهل إنك من أشراف الوادي فسر يوما أو يومين فسار معهم فقتله الله (رواه البخاري).

وقد قتل أمية بن خلف – وهو من المشركين – على يد رجل من الأنصار من بني مازن، كما قتل ابنه أيضًا في نفس الواقعة.




ترغيب وترهيب



في الترغيب في الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً» (رواه مسلم).

في الترهيب من ترك الصلاة على النبي ﷺ:

عن حسين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي» (رواه النسائي)

في الترغيب في قول لا إله إلا الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة.. قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أدل منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه» (رواه البخاري).

في الترهيب فيمن لا يقولها:

عن عبد الله رضي الله عنه: «من جاء بالحسنة قال: من جاء بلا إله إلا الله، ومن جاء بالسيئة من جاء بالشرك».

في الترغيب في الجليس الصالح.. والترهيب من الجليس السيء:

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير.. فحامل المسك إما أن يجذبك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة» (رواه البخاري). وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن من جلس وسط الحلقة» (رواه أبو داود).

الترغيب في تلقي الإنسان الموت.. والترهيب من كراهة الإنسان للموت:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي).

في الترهيب من أذى الجار:

قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه» (أبو يعلي).

في الترغيب في حب الجار والناس:

روى عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفا ترى ظواهرها من بواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه والمتواعدين فيه، والمتباذلين فيه».

(رواه الطبراني)

الترغيب في الجهاد والغزو:

روى عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فاته الغزو معي فليغزو في البحر» (رواه الطبراني في الأوسط).

الترهيب من الجهاد والغزو:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقى الله عز وجل لا يشرك به شيئا وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة أو دخل الجنة. وخمس ليس لهن كفارة، الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت مؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق» (رواه أحمد).

في الترغيب في قراءة القرآن الكريم:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

(البخاري ومسلم)

في الترهيب من نسيان القرآن الكريم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» (الترمذي والحاكم).

وفي الترهيب من نسيان القرآن الكريم:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها» (أبو داود وابن ماجة).

جزاء شارب الخمر:

عن عبد الملك بن مروان إن شابا جاء إليه باكيا حزينا فقال: يا أمير المؤمنين.. إني ارتكبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة؟ فقال: وما ذنبك؟ قال: ذنبي عظيم، قال: وما هو؟ فتب إلى الله تعالى فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.. قال: يا أمير المؤمنين.. كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورا عجيبة، قال: وما رأيت؟ قال: يا أمير المؤمنين.. نبشت ليلة قبرا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول في القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه كان مستخفا بالصلاة هذا جزاء مثله، ثم نبشت قبرا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لي: ألا تسأل عن عمله ولماذا يعذب؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة. والثالث يا أمير المؤمنين.. نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتاد من نار وأخرج لسانه من قفاه فخفت ورجعت وأردت الخروج فنوديت: ألا تسأل عن حاله لماذا أبتلي؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله، والرابع يا أمير المؤمنين.. نبشت قبرا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا فخفت وأردت الخروج فقيل: ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت: وما حاله؟ فقال: كان تاركا للصلاة. والخامس يا أمير المؤمنين.. نبشت قبرا فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتني منه هيبة وأردت الخروج فقيل لي: هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة؟ فقلت: لماذا أكرم؟ فقيل لي: لأنه كان شابا طائعا نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته، فقال عبد الملك عند ذلك؟ إن في هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين. فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة.

الجنة لا يدخلها أحد بغير مشقة:

كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية وبناتهن يلمننا ويقلن أنتن بنات

أمير المؤمنين ونراكن عريانات لا أقل من ثياب بيضاء تلبسنها وبكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن وقال له أعطني مشاهرتي -الراتب الشهري- لشهر واحد فقال الخازن. يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفا. انظر إن كان لك عمر شهر فخذ مشاهرة شهر فتحير عمر وقال: نعم ما قلت أيها الغلام. وبارك الله فيك. ثم قال لبناته: اكظمن شهواتكن فإن الجنة لا يدخلها أحد بغير مشقة.

الحق..والناس:

دخل رجلان من الخوارج على عمر بن عبد العزيز فقالا: السلام عليك يا إنسان. فقال: وعليكما السلام يا إنسانان. قالا: طاعة الله أحق ما اتبعت. قال: ومن جهل ذلك ضل. قالا: الأموال لا تكون دولة بين الأغنياء. قال: قد حرموها قالا: مال الله يقسم على أهله. قال: الله بين في كتابه تفصيل ذلك. قالا: تقام الصلاة لوقتها. قال: هو من حقها. قالا: إقامة الصفوف في الصلوات. قال: هو من تمام السنة. قالا: إنا بعثنا إليك. قال: بلغا ولا تهابا قالا: ضع الحق بين يدي الناس. قال: الله أمر به قبلكما. قالا: لا حكم إلا لله. قال: كلمة حق إن لم تبتغوا بها باطلا. قالا: ائتمن الأمناء قال: هم أعواني. قالا: احذر الخيانة قال: السارق محذور. قالا: بالخمر ولحم الخنزير. قال: أهل الشرك أحق به قالا: فمن دخل في الإسلام قد أمن قال: لولا الإسلام ما أمنا. قالا: أهل عهود رسول الله ﷺ قال: لهم عهودهم قالا: لا تكلفهم فوق طاقتهم. قال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦). قالا: ذكرنا بالقرآن قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٨١). قالا.. تردنا ألف من أرسلنا قال: ما أحبسكما. قالا: فما نقول لإخواننا؟ قال: ما رأيتما وسمعتما. قالا: تردنا على دواب البريد قال: لا... هو من مال الله لا نطيبه لكما. قالا: فليس معنا نفقة. قال: أنتما من أبناء السبيل على نفقتكما.

ما بين الحسن البصري وابن هبيرة:

لما قدم عمرو بن هبيرة أرسل إلى الحسن البصري الشعبي وأمر لهما ببيت فكانا فيه شهرا ونحوه ثم جاء عمرو إليهما فسلم ثم جلس معظما لهما. فقال: إن

أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك كتب إلي كتبا أعرف أن في إنقاذها الهلاك. فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله فهل تريا لي في متابعتي إياه مخرجا؟ فقال الحسن للشعبي أجب الأمير، فتكلم الشعبي كلاما يريد به إبقاء وجه عنده - أي يريد إرضاءه - فقال ابن هبيرة أوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك. يا عمرو بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك. فيغلق به باب المغفرة دونك يا عمرو بن هبيرة. لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا عن هذه ادنيا وهي مقبلة أشد إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة. يا عمرو بن هبيرة، إني أخوفك مقاما خوفك الله عز وجل فقال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (ابراهيم:١٤) يا عمرو بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك. وإن تك مع يزيد على معاصي الله وكلك الله إليه. فبكى عمرو بن هبيرة وقام بعبرته. فلما كان من الغد أرسل إليهما. فأدناهما وأجازهما فأكثر في جائزة الحسن وأنقص جائزة الشعبي. فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل. فو الذي نفسي بيده ما علم الحسن شيئا منه فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

انصر المظلوم واقمع الظالم:

بينما كان أبو جعفر المنصور يطوف بالبيت ليلا إذ سمع قائلا يقول: اللهم إنا نشكو إليك ظهور البغض والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع. فخرج المنصور فجلس في ناحية المسجد ثم أرسل إلى الرجل فصلى ركعتين ثم استلم الركن وأقبل مع الرسول ﷺ فسلم عليه بالخلافة فقال له المنصور: ما الذي سمعتك تذكر؟ قال: إن أمنتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور كلها من أصولها وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل. قال: فأنت آمن على نفسك فقال: يا أمير المؤمنين إن الله قد استرعاك أمر عباده وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والأجر وأبواب من الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك منهم وبعثت عمالك في جباية الأموال

وجمعها وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك.

ولا أحد وإلا وله في هذه الأموال حق فلما رآك النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا دونك تحب الأموال وتجمعها. قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه فأتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أحبوه ولا يخرج لك عامل إلا تخونوه عندك وعابره حتى تسقط منزلته عندك. فلما انتشر ذلك عنك وعنهم. أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليستيعنوا بذلك على ظلم رعيتك. ثم فعل ذلك ذو القدرة والأموال من رعيتك ليتوصلوا إلى ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله ظلما وبغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك وأنت غافل. فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه وإن أراد رفع قصته إليك وحدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاءك ذلك المتظلم وبلغ بطانتك خبره سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك. وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر. فما بقاء الإسلام على هذا قال: فبكى المنصور بكاء شديدًا وقال: ويحك. كيف احتال لنفسي. قال: يا أمير المؤمنين إن للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم ويرضون بهم في دنياهم وهم العلماء وأهل الديانة اجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم يسددوك فقال: قد بعثت إليهم فهربوا مني. قال: خافوا أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح الباب وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم. وخذ الفيء بالصلاة والصدقات على وجوهها. وأنا ضامن عنهم أنهم يأتوك فيساعدونك على صلاح الأمة ثم أذن بالصلاة فقام يصلي وعاد إلى مجلسه ثم طلب الرجل فلم يجده.

ما هي حجتك عندما تقف أمام ربك؟!

يقول الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ لما ولي أبو جعفر الخلافة وافى إليه الملاقون المشاءون بالنميمة عني بكلام كان قد حفظ عليّ فأتاني رسوله ليلاً ونحن بمنى. قال أجب أمير المؤمنين. فدخلت عليه في السرادق.. وابن أبي ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر في صحيفة بيده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع

رأسه فنظر إليّ وتبسم تبسُّم المغضب ثم رمى بالصحيفة وأشار لي إلى موضع عن يمينه أقعد فيه فلما قعدت وأخذت مقعدي وسكن روعي رفعت رأسي أنظر تلقائي.

فإذا أنا بواقف عليه درع وبيده سيف شهره يلمع له ما حوله فالتفت عن يميني فإذا أنا بواقف بيده جرز من الحديد ثم التفت عن يساري فإذا أنا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره وهم أجمعون قد أصغوا إليه ورمقوه بأبصارهم خوفًا من أن يأمر في أحد أمرًا فيجده غافلاً ثم التفت إلينا وقال أما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره وضاق به ذرعه وكنتم أحق الناس بالكف من ألسنتكم وأول الناس بلزوم الطاعة والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم، قال مالك: فقلت يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات:٦) فقال أبو جعفر: على ذلكم أي الرجال أنا عندكم؟ أمن أئمة العدل. أم من أئمة الجور؟ فقال مالك: فقلت يا أمير المؤمنين أنا متوسل إليك بالله تعالى أتشفع إليك بمحمد ﷺ وبقرابتك منه ألا ما أعفيتني من الكلام في هذا.

قال: قد أعفاك أمير المؤمنين. ثم التفت إلى ابن سمعان فقال له: أيها القاضي ناشدتك الله تعالى أي الرجال أنا عندك فقال ابن سمعان: أنت والله خير الرجال يا أمير المؤمنين، تحج بيت الله الحرام، تجاهد العدو، تؤمن السبل، ويأمن الضعيف بك أن يأكله القوي وبك قوام الدين فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة. ثم التفت إلى ابن ذؤيب فقال له: ناشدتك الله. أي الرجال أنا عندك؟ قال: أنت والله عندي شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله، وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وأهلكت الضعيف وأتعبت القوي وأمسكت أموالهم فما حجتك عندما تقف غدا بين يدي الله؟ فقال له أبو جعفر، ويحك ما تقول؟ أتعقل؟ انظر ما أمامك. قال: نعم قد رأيت أسيافا، وإنما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله، يقول مالك ثم خرجا وجلست. قال: إني لأجد رائحة الحنوط عليك.

قلت: أجل لما نمى إليك عني ما نمى وجاءني رسولك في الليل ظننته القتل

فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفني فقال أبو جعفر: سبحان الله ما كنت لاثم الإسلام وأسعد في نقضه أو ما تراني أسعى في أود الإسلام وإعزاز الدين عائذا بالله مما قلت يا أبا عبد الله انصرف إلى مصرك راشدا مهديا إن أحببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك أحدا ولا يدل بك مخلوقا فقلت أن يجبرني أمير المؤمنين على ذلك فسمعا وطاعة وإن يخيرني أمير المؤمنين اخترت العافية فقال له ما كنت لأجبرك ولا أكرهك انقلب معا في مكلوا قال فبت ليلتي فلما أصبحنا أمر أبو جعفر بصرر دنانير في كل صرة خمسة آلاف دينار ثم برجل من شرطته فقال له تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة أما مالك بن أنس إن أخذها فبسبيله وإن ردها لا جناح عليه فيما فعل وإن أخذها ابن أبي ذؤيب فأتني برأسه وإن ردها عليك فبسبيله لا جناح عليه وإن يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه وإن أخذها فهي عافيته.

فنهض بها إلى القوم فأما ابن سمعان فأخذها فسلم وأما ابن أبي ذؤيب فردها فسلم، وأما أنا فكنت والله محتاجا إليه فأخذتها. ثم رحل أبو جعفر متوجها إلى العراق.

سيد المسلمين:

حينما حج هارون الرشيد والتقى بالفضيل بن عياض رضي الله عنه أخذ الفضيل يعظ الرشيد من قلب تقي ويقول له: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا بسالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة. فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي. فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله إن أردت النجاة من عذاب الله. فصم عن الدنيا وليكن إفطارك الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظي إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال رجاء بن حيوة إن أردت النجاة غدا من عذاب الله عز وجل: فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك. ثم مت إذا شئت.

وإني أقول لك إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام. فهل معك رحمك الله من يغير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه، فقال له الفضل بن الربيع: أرفق بأمير المؤمنين. فقال له: يا بن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا. ثم أفاق الرشيد، فقال للفضيل بن عياض: زدني رحمك الله: فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكى إليه: فكتب إليه عمر: يا أخي، أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع الخلود خلود الأبد. وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد انقطاع الرجاء. فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر. فقال له: ما أقدمك؟ قال خلعت قلبي بكتابك. لا أعود إلى الولاية حتى ألقى الله. قال: فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا ثم قال: زدنى رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أمرني على إمارة، فقال النبي ﷺ: **«إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل»**. فبكى هارون بكاء شديدا. وقال زدنى رحمك الله: قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك فإن النبي ﷺ قال: **«من أصبح غاشا لم يرح رائحة الجنة»**.

فبكى هارون الرشيد وقال له: أعليك دين؟ قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن لم ألهم حجتي قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ (الذاريات،٥٨)، فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على حياتك، فقال سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا. سلمك الله.

فلما ذهب هارون الرشيد قال للفضل بن الربيع: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا. هذا سيد المسلمين.

ثلاثة وثلاثة:

قال لقمان لابنه: يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة.. فقال له الابن: ما

هم؟ فأجاب لقمان: الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحب، ولا أخوك إلا عند الحاجة.

تحذير من ذهب:

بلغ من عدل كسرى أنوشروان أنه أتخذ وصيفتين، وأمر أن تقوم واحدة عن يمينه، وتقوم الأخرى عن شماله، بأيديهما قضيبان من ذهب، وهو جالس لينظر في أمور الناس، فكان إذا كاد يسهو حركتاه بالقضيب وقالتا له والرعية يسمعون:

«أيها الملك انتبه، أنت مخلوق لا خالق، أنت عبد لا مولى، أنت فان لا باق، ليس بينك وبين الله عز وجل قاربة، فانظر لنفسك، وأنصف الناس».

فمضى على هذا الحال إلى أن أتاه اليقين.

وصية علي رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه:

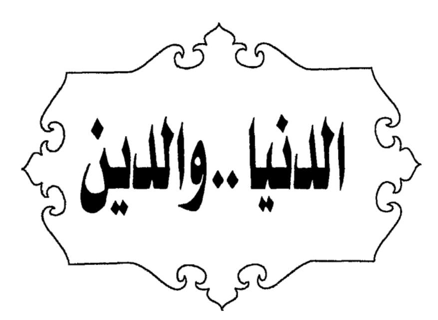
قال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه: «أبذل لصديقك كل المودة، ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة، ولا تفض إليه بكل الأسرار».

لماذا سكت العابد؟؟

لما حج هارون الرشيد التقى بعابد معتصم بجبال تهامه، فسأله الرشيد أن يوصيه ويأمره بما شاء فيعطيه: فسكت العابد ولم يجبه، وانصرف هارون الرشيد، فسأله أحدهم: أيها العابد لماذا سكت عن الوصية أو النصيحة لهارون الرشيد، ولو بتقوى الله والإحسان إلى رعيته؟

فقال العابد: ذلك لأني أكبرت الله أن يأمر فيعصيه وآمره أنا فيعطيني.




الدنيا..والدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (النازعات ٩٣)

وقال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (الحديد ٢٠).

عن الحياة الدنيا: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» (رواه الترمذي).

مر رسول الله ﷺ بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال: «والذي نفسي بيده الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» (رواه احمد).

«ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع» (رواه مسلم وابن ماجه).

«إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

«الدنيا حلوة خضرة.. وإن الله مستخلفكم فيها.. فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء.. فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء» (رواه أحمد).

«الدنيا دار من لا دار له.. ولها يجمع من لا عقل له» (رواه احمد والبيهقي).

«من أحب دنياه أضر بآخرته.. ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» (رواه احمد وابن حبان).

«لا تسبوا الدنيا فلنعم المطية للمؤمن، عليها يبلغ الخير وعليها ينجو من الشر» (رواه الديلمي).

«أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم»

قال الشاعر:

إنما الدنيا كرؤيا ساعة	من رآها فرحته وانقضت
أراها وإن كانت تحب فإنها	سحابة صيف عن قليل تقشع

قال المسيح: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

قال أمير المؤمنين: الدنيا ممر لا دار مقر والناس فيها رجلان: رجل باع نفسه فأوبقها.. ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

يقول الشاعر:

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ولكنها دار انتقال لمن عقل

وقيل لنوح عليه السلام: كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وكتب أبو زيد الطائي إلى صديق له: اجعل الدنيا كيوم صمته عن شهوتك واجعل فطرك الموت.

وقال الشاعر:

تظل تفرح بالأيام تقطعها وكل يوم مضى يدني من الأجل

قال رجل لأمير المؤمنين: صف لي الدنيا. قال: ما أصف في دار أولها عناء وآخرها فناء.. حلالها حساب وحرامها عذاب.. من أمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن.

قال بعض الصالحين: الدنيا دار غرست فيها الأحزان وذلها الرحمن وسلط عليها الشيطان يضل به الإنسان.

وقال آخر عنها: من نالها مات عنها ومن لم ينالها مات حسرة عليها.

قال الشاعر:

كن موسرا إن شئت أو معسرا لا بد في الدنيا من الغم

وكلما زادك من نعمة زاد الذي زادك في الهم

عن يحيى بن معاذ الرازي قال: الحكمة تهوي من السماء إلى القلوب فلا تكن في قلب فيه أربع خصال.. الركون إلى الدنيا.. وهم غد، وحسد أخ.. وحب شرف.

وعنه أيضا قال: العاقل المصيب من عمل ثلاثا، ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبرا قبل أن يدخل فيه وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

وروى عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا .. ولا عن النار مهربا - يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة والهرب من النار - أولها عرف الله تعالى فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها .. وعرف الآخرة فطلبها.

روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يا علي.. أربع خصال من الشقاء.. جمود العين.. وقساوة القلب، وحب الدنيا، وبعد الأمل**».

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه**».

ذكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يا بني إن فى الدنيا بحر عميق قد غرق فيها كثير من الناس فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى.

قال بعضهم:

إن لله عبادا فطنا	**طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا**
نظروا فيها فلما علموا	**أنها ليست لحي وطنا**
جعلوها لجة واتخذوا	**صالح الأعمال لها سفنا**

ذكر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء بادية أنيابها مشوه فلقها لا يراها أحد إلا كرها فتشرف على الخلائق فقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفتها .. فيقال هذه الدنيا التي تنافرتم بها وتقاتلتم عليها.

قال عنها رسول الله ﷺ: «**الدنيا حرام على أهل الآخرة.. والآخرة حرام على أهل الدنيا والدنيا والآخرة حرام على أهل الله**» (عن أبى هريرة).

«**الدنيا حلوة خضرة**» (عن ميمونة). «**الدنيا حلوة رطبة**» (عن سعد). «**الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بورك له فيها.. ورب متخوض فيها اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار**» (عن ابن عمرو).

عن أنس: «**الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة**»، وعن جابر: «**الدنيا ملعونة ملعون ما**

فيها إلا ما كان منها لله عزوجل»، وعن أبي الدرداء: **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغى به وجه الله عزوجل»**. وعن عائشة: **«الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد»**.

عن الفضيل بن عياض أنه قال: «جعل الخير كله في بيت واحد، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا، وجعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا».

قيل: أن ادنيا مثل ظل الإنسان إن طلبته فر.. وإن تركته تبعك، وقيل:

إنما الرزق الذي تطلبه يشبه الظل الذي يمشي معك

أنت لا تدركه متبعا وهو وإن وليت عنه تبعك

وما أحسن ما قيل عن الدنيا قول سليمان بن الضحاك:

ما أنعم الله على عبده بنعمة أوفى من العافية

وكل من عوفي في جسمه فإنه في عيشة راضية

والمال حلو جميل جيد على الفتى لكنه عارية

ما أحسن الدنيا ولكنها مع حسنها غدارة فانية

وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر:

أليس إلى ذا صار آخر أمرنا

فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبي يا نفسي مما ترينه

فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد:

يا من تملك ملكا لا بقاء له

حملت نفسك آثاما وأوزارا

هل الحياة بذي الدنيا وإن عذبت

إلا كطيف خيال فر الكرا زارا

وقالوا: لا فخر فيما يزول، ولا غنى فيما لا يبقى، وهل الدنيا إلا كما قال بعض الحكماء المتقدمين: قدر يغلي وكنيف يملأ.. وفي هذا قال الشاعر:

ولقد سألت الدار عن أخبارهم

فتبسمت عجبا ولم تبد

حتى مررت على الكنيف[1] فقال

لي: أموالهم ونوالهم عندي

وروى أن داود عليه السلام.. بينما هو يسبح في الجبال إذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقي على ظهره.. وعند رأسه حجر مكتوب فيه: أنا دوسم الملك.. تملكت ألف عام.. فتحت ألف مدينة.. وهزمت ألف جيش وفضضت ألف بكر من بنات الملوك.. ثم صرت إلى ما ترى.. التراب فراشي.. والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني.

قال الشاعر عبد الله بن المعتز:

ترحل من الدنيا بزاد من التقى

فعمرك أيام تعد قلائل

نسير إلى الآجال في كل ساعة

فأيامنا تطوى وهذه مراحل

ولم أر مثل الموت حتى كأنه

إذا ما تخطته الأماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا

فكيف به والشيب في الرأس شاغل

قال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح.. كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا. وقال آخر: الدنيا مثل كأس به عسل وفي أسفله سم فللذائق منه حلاوة

---

(1) الكنيف: المرحاض.

عاجلة، وفي أسفله الموت، قال حكيم: الدنيا كحلم النائم يفرح في منامه فإذا استيقظ زال فرحه. وقال حكيم: الدنيا كالبرق يضيء للإثم يذهب.

عندما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه، فسمع قائلا يقول:

أتبني بناء الخالدين وإنما
بقاؤك فيها إن عقلت قليل

لقد كان في ظل الأراك كفاية
فمن كان يوم يقتضيه رحيل

ولم يلبث المأمون بعدها إلا قليلا ومات.. وقال:

ومن تأمره الدنيا يكن مثل قابض
على الماء خانته فروح الأصابع

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله:

وما الناس إلا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

ومن كلام سيدنا علي رضي الله عنه: إذا أدركت الدنيا الهارب عنها جرحته وإذا أدركت الطالب لها قتلته.

قيل لزاهد: أي خلق أصغر، فقال: الدنيا، لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة.. ومن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر إليها ولا يعصي إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها، وإذا أردت أن تزهد فيها فانظر هي عند وفي يد من؟

قال أحد الحكماء عن الدنيا: الدنيا إن أقبلت بلت، وإن أدبرت برت، وإن أطنبت نبت، وإن أركبت كبت، وإن أبهجت هجت، وإن ماجنت جنت، وإن سامحت محت، وإن صالحت لحت، وإن وصلت صلت، وإن بالغت لغت.

وقال حكيم: سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت، وغمها أن تغتم لما لم ترزق.

وكان بعض الصالحين يقول: ما أصنع بدنيا إن بقيت لم تبق لي.. وإن بقيت لم أبق لها (بقيت الأولى بفتح القاف وتسكين الياء وضم التاء.. والثانية بكسر القاف وفتح الياء وتسكين التاء).

وحكى أن رجلا خطر بباله وهو في الطواف طلب الدنيا فلما قام سمع هاتفا يقول:

أقسمت بالبيت العتيق وركنه
والطائفين ومنزل الفرقان

ما العيش في المال الكثير وجمعه
بل في الكفاف وصحة الأبدان

ومن أقوالهم: الدنيا طرفة عين لا تثبت على حالة، وقال شاعر:

إنما الدنيا هبات وعوار مستردة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

وقال آخر:

الدنيا آخره شبه أوله يوم بيوم وأيام بأيام

وقال آخر:

وما الدهر إلا مثل أمس الذي مضى
ومثل الغد الجائي وكل سيذهب

قال المسيح عليه السلام: الدنيا مزرعة إبليس وأهلها له حراث، وقال أحد الحكماء: الدنيا لا تضر إلا من أمنها ولا تنفع إلا من حذرها.

قال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا هم امرئ إلا لزم قلبه فقر لا يدرك غناه، وهم لا ينقضي مداه، وشغل لا ينفذ آولاه.. وأمل لا يدرك منتهاه.

وقال الشاعر:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذابا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه

قال موسى بن يسار: قال النبي ﷺ: **«إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها».**

ليتنا نتعظ من الموت:

روى ابن خلكان أن أبا ذر عمر بن ذر كان ولده ذر كثير البر له، شديد التوفر على طاعته، ولما حضرته الوفاة، دخل عليه أبوه عمر المذكور، وهو يجود بنفسه، فقال له: يا بني: إنه ما علينا من موتك غضاضة، ولا بنا إلى أحد سوى الله من حاجة، فلما قضى، صلى عليه، ودفنه، ووقف على قبره وقال: أما والله يا ذر، لقد شغلنا البكاء لك عن البكاء عليك، لأنا ما ندري ما قلت ولا ما قيل لك...

اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقي، فهب لي ما قصر فيه من حقك، واجعل ثوابي عليه له.. وزدني من فضلك، إني إليك من الراغبين.

عندما ودعت السيدة آمنة الحياة - والحبيب ﷺ:

عن أسماء بنت أبي بكر عن أمها، قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها، ومحمد ﷺ -غلام يفع له خمس سنين- عند رأسها، فنظرت أمه إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام ... يا ابن الذي من حومه الحمام

نجا بعون الملك المنعام ... فودي غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام ... إن صح ما أبصرت في المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام ... من عند ذي الجلال والإكرام

تبعث في الحل وفي الحرام ... تبعث في التحقيق والإسلام

دين أبيك البر ابراهام ... فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كثير يفنى، وأما ميتة، وذكرى باق، وقد تركت خيرا، وولدت طهرا، ثم ماتت، فكنا نسمع نوح الجن عليها، فحفظنا من ذلك هذه الأبيات:

تبكي الفتاة البرة الأمينة	ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة	أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة	صارت لدى حفرتها رهينة

بين عطاء ورباح:

دخل عطاء بن أبي رباح على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام: مرحبا مرحبا. ها هنا ها هنا فرفعه حتى مست ركبته ركبته. وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا. فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين أهل الحرمين. أهل الله. وجيران رسول الله ﷺ تقسم فيهم عطياتهم وأرزاقهم؟ قال: نعم. يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاءين وأرزاقهم لسنة. ثم نجد أصل العرب ومادة الإسلام ترد فيهم فضول صدقاتهم؟ قال: نعم، اكتب يا غلام بأن ترد فيهم صدقاتهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم ويقاتلون عدوكم قد أجريت لهم أرزاقا ترد عليهم فإنهم إن هلكوا غزيتم؟ قال: نعم. اكتب يا غلام تحمل أرزاقهم إليهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. أهل ذمتكم، لا يكلفون إلا ما يطيقون فإنما يحيثون معونة لكم على عدوكم؟ قال: نعم: اكتب يا غلام، أن لا يحملوا ما لا يطيقون. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين: اتق الله في نفسك. فإنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك. لا والله ما معك ممن ترى واحد. فأكب هشام يبكي وقام عطاء. فلما كان عند الباب، وإذا رجل قد تبعه بكيس ما ندري فيه دراهم أو دنانير، وقال: إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا. فقال: ما أصنع بهذا؟ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء:١٠٩). ثم خرج عطاء فوالله ما شرب عنده حسوة من ماء فما فوقها.

النصيحة الواحدة تعادل عرض الدنيا كلها:

يقول الأوزاعي: ثم قلت للمنصور. يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارة مكة والطائف أو اليمن فقال له النبي ﷺ: **«يا عم نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها»**. نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه وأنه لا يغني عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤)، فقال ﷺ: **«يا عباس، ويا صفية، ويا فاطمة إني لست أغني عنكم من الله شيئا، لي عملي ولكم عملكم»**. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل لا تأخذه في الله لومة لائم وقال: السلطان أربعة أمراء. فأمير ظلم نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله عليه باسطة بالرحمة وأمير ضعيف ظلم نفسه وارتع عماله بضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله وأمير ظلم عماله وارتع نفسه فذلك الذي قال رسول الله ﷺ: **«شر الرعاة الحطمة»**، فهو الهالك وحده وأمير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا، وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: **«أتيتك حين أمر الله بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة»**، فقال لجبريل صف لي النار فقال: إن الله عز وجل أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى أصفرت. ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا يطفأ جمرها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب في ماء الأرض جميعا لقتل من ذاقه. ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكر الله وضع على جبال الأرض جميعًا لذابت وما استقرت. ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل لبكائه وقال: أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبدا شكورا»**، ولما بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين؟ فقال: أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت.. يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه فهي نصيحتي والسلام. ثم نهضت فقال إلى أين قلت إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله قال: فقد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها

والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها فإنك المقبول غير المتهم في النصيحة. قلت: أفعل إن شاء الله، قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله، وقال: أنا عن ذلك في غنى، وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده.

شربة ماء وملك الرشيد:

حينما دخل ابن السماك على الرشيد أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، اتق الله وحده لا شريك له، واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله ربك، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما، جنة أو نار، فبكى هارون حتى ابتلت لحيته بالدموع، ثم طلب هارون ماء ليشرب، فلما وضع الماء على فيه ليشرب قال له ابن السماك: على رسلك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله ﷺ، لو منعت عنك هذه الشربة فبكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. فقال: بنصف ملكي. فقال له ابن السماك: اشرب هناك الله، فلما شرب، قال له: أسألك يا أمير المؤمنين بقرابتك من رسول الله ﷺ، لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي، قال ابن السماك: إن ملكا قيمته شربة ماء، لجدير أن لا ينافس فيه، فبكى هارون الرشيد حتى أشفق الحاضرون عليه.

من مواعظ ابن السماك:

لما دخل ابن السماك على هارون الرشيد قال له عظني، قال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترضى من نفسك إلا بما رضي الله به عنك فإنك ابن عم رسول الله ﷺ وأنت أولى الناس بذلك يا أمير المؤمنين. من طلب فكاك رقبته فمهله من أجله كان خليقا أن يعتق نفسه، يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها بركون منه إليها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم إلى جنة عرضها السموات والأرض وقد دعيت إليها وليس لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين تموت وحدك وتحاسب وحدك وإنك لا تقدم إلا على نادم مشغول ولا تخلف إلا مفتونا مغرورا وإنك وإيانا في دار سفر وجيران ظعن.

من مواعظ ابن السماك:

بعث هارون إلى ابن السماك فلما أخذه الحرس بغير رفق ورآه الرشيد قال: ارفقوا بالشيخ فلما وقف بين يديه قال له: يا أمير المؤمنين ما مر بي يوم منذ ولدتني أمي أتعب فيه من يومي هذا فاتق الله في خلقه واحفظ محمدا في أمته وانصح لنفسك في رعيتك فإن لك مقاما بين يدي الله تعالى أنت فيه أذل من مقامي هذا بين يديك فاتق الله واعلم أن من أخذ الله وسطوته على أهل المعصية كيت وكيت، قال فاضطرب -الرشيد- على فراشه حتى نزل إلى مصلى بين يدي فراشه فقلت يا أمير المؤمنين هذا ذل الصفة، فكيف لو رأيت ذل المعاينة فكادت نفس الرشيد تخرج.

وصية.. عن الفقر:

قال لقمان لابنه: يا بني أكلت الحنظل وذقت الفقر، فلم أر شيئا أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كي لا ينقصوك، ولكن اسأل الله تعالى من فضله، فمن ذا الذي سأل الله تعالى فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به؟؟

ديوان الفقر:

دعا إبراهيم بن أدهم أحد الفقراء وقال له: تقبل مني هذه عشرة آلاف درهم صدقة خالصة لوجه الله.. فأجاب الفقير: والله ما صاحبكم بمجنون.. فقال له إبراهيم: والله إن صاحبي لمجنون وإلا فكيف رد مثل هذا العون؟ فدهش من قوله الفقير، وقال له: أتريد أن أمحو أسمى من ديوان الفقر بعشرة آلاف درهم فكيف هذا يكون؟؟ وأين العاقل وأين المجنون؟

أتركه حتى أشتهيه:

دخل رجل على داود وهو يأكل خبزا يابسا فبله في الماء بملح فقال له: كيف تشهي هذا؟ فأجاب داود بقوله: أدعه حتى أشتهيه.

وفاء ناقة:

خرج عثمان بن صفوان الأنصاري وأصحابه في جنازة على بن الحسين

رحمه الله، فتبعتهم ناقته تخط الأرض بزمامها، فلما صلوا عليه ودفنوه أقبلت تحن وتردد وتريد قبره، فأوسعوا لها، فجاءت حتى بركت عليه وجعلت تفحص بكركرتها وتحن، حتى ما بقى أحد إلا بكى وانتحب.

وقيل أن علي بن الحسين ﷺ حج على الناقة ثماني عشرة حجة أو تسع عشرة حجة لم يقرعها بعصا.

ذل السؤال:

قال مطرف بن عبد الله لابن أخيه: إذا كانت لك إلي حاجة فاكتب بها رقعة فإني أضن بوجهك عن ذل السؤال.

الإعراض عن الدنيا:

جاء رجل لسهل بن عبد الله بن مروان إلى بستان وكان عروة معرضا عن الدنيا، فقال له: ما أحسن هذا البستان؟ فأجاب عبد الملك: أنت والله أحسن منه لأنه يؤتي أكله كل عام وأنت تؤتي أكلك كل يوم.

الشيطان:

جاء رجل لسهل بن عبد الله وقال له: قد دخل اللص داري وسرق متاعي فماذا أصنع؟ فأجاب سهل قال: الحمد لله، وإلا فلو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وسرق منه التوحيد ماذا كنت تصنع؟

بكاء الأمير:

دخل ميمون بن مهران على عمر بن عبد العزيز ﷺ فإذا هو يبكي بكاء مرا ويسأل الله الراحة من هذه الحياة فقال له ميمون: ما بال أمير المؤمنين يبكي هذا البكاء المر، ويسأل الله الراحة من هذه الحياة، وقد أجرى على يديه خيرا كثيرا، وبركة عامة شاملة، أحيا بها سننا وأمات بها بدعا؟؟ فقال له عمر: أفتركه يا ميمون أن يكون مثلي كمثل ذلك العبد الصالح حين أقر له ربه عينه وجمع له أمره فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف:١٠١).

الدنيا فانية:

كان أبو علي الفضيل بن عياض قاطعا للطريق على كل سالك، فتاب وأناب وأصبح صوفيا، وقد دعاه الرشيد وأجزل له العطية فأبى.. فقال له الرشيد يا فضيل ما أزهدك الآن.. فأجاب الفضيل: أنت أزهد مني يا أمير المؤمنين.. فقال الرشيد: وكيف ذلك يا فضيل وأنت رجل صوفي..؟ فأجاب الفضيل: ذلك لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية والآخرة باقية.

كيف لا أفرح:

لما حضرت الوفاة بشر بن منصور كان في سرور فقال له أحد الأصدقاء: مالك يا بشر تفرح بالموت وكأنك تسعى إليه.. فقال بشر: وكيف لا أفرح بالموت وأرحب به، بل كيف تجعلون قدري على خالق أرجوه كمقامي مع مخلوق أخافه..؟؟

إن لم يكن هو - فكن أنت؟

شهد حسن البصري جنازة فقال لصاحبه: أترى لو رجع للدنيا لعمل صالحا؟ فأجاب: نعم.. نعم.. فقال له البصري: فإن لم يكن فكن أنت.

ثلاث وثلاثة:

كان يقال: النساء ثلاث: فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها، وثانية وعاء للولد، وثالثة، غل قمل، يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عما يشاء.

والرجال ثلاثة: فهين لين عفيف مسلم، يصدر الأمور مصادرها، ويوردها مواردها، وثاني ينهى إلى رأي ذي اللب والمقدرة فيأخذ بأمره، وينتهي إلى قوله، وثالث حائر بائر، لا يأتمر، ولا يطيع مرشدا.

جدير أن أبكي عليه:

لما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه وهي تبكي عليه بكاء مرا فقال لها المأمون: خففي عنك يا أماه من وقع الصدمة فأنا ولدك مكانه.. فقالت أم الفضل: يا أمير المؤمنين إن ابنا ترك لي ابنا مثلك لجدير أن أبكى عليه.

هذه الحفرة:

عندما توفيت حمادة بنت عيسى بن علي، حضر جنازتها المنصور فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ فقال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها. فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه.

عدو عاقل:

سأل رجل كسرى: أي الناس أحب إليك أن يكون عاقلا.. فقال كسرى: عدوي.. فسأله الرجل وكيف؟؟ فأجاب كسرى: لأنه إذا كان عاقلا كنت منه في عافية وأمن.

لهذا.. ساد قومه:

قال معاوية بن أبي سفيان لغرابة بن أوس: بأي شيء سدت قومك، قال: أعفو عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصر فأنا خير منه، ومن زاد فهو خير مني.

حسابها عسير:

قال رجل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: يا عبد الله ألم تسمع أن زيد بن خارجة مات وقد ترك مائة ألف درهم..؟ فأجاب عبد الله: إنه وإن تركها - لا تتركه، فسوف يحاسب عليها حسابا عسيرا..

رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني:

رأى فتح بن سعيد غلاما بالبادية يمشي ويحرك شفتيه فسلم عليه وكان بينهما الحديث التالي:

فتح: إلى أين؟

الغلام: إلى بيت ربي عز وجل.

فتح: بماذا تحرك شفتيك؟

الغلام: أتلو كلام ربي.

فتح: لم يجر عليك قلم التكليف؟

الغلام: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر سنا مني.

فتح: خطاك قصيرة وطريقك بعيدة..

الغلام: إنما على نقل الخطا وعليه البلاغ.

فتح: أين الزاد والراحلة.

الغلام: زادي يقيني، وراحلتي رجلاي.

فتح: أسألك عن الخبز والماء.

الغلام: يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك إلى منزله؟

فتح: لا...

الغلام: سيدي دعا عباده إلى بيته وأذن لهم في زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم وإني استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعني؟

فتح: حاشا وكلا... (ثم غاب الغلام وقابل فتح في مكة فقال له).

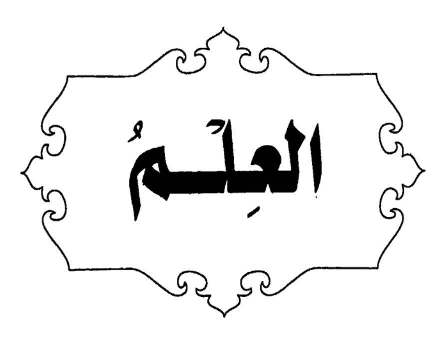
الغلام: أنت أيها الشيخ بعد ذلك الضعف من اليقين.

عندما يختبر الله عبده:

وقد جاء في كتب المناقب أن عابدا من نساك بني إسرائيل ألزم نفسه بطاعة الله واختار غارا يتعبد فيه وقد يسر الله له من يحمل إليه كل يوم ثلاثة أرغفة ليقيت بها بطنه، ومكث الحال على ذلك طويلا، وفي يوم من الأيام أراد الله أن يختبر قوة إيمانه وصدق يقينه، فقطع عنه رزقه وانتظر الرجل ما يأتيه من الطعام فلم يأت إليه شيء حتى عضه الجوع وأضناه السغب، فتخلى عن عبادته وخرج من غاره فتبعه كلب النصراني وجعل ينبح عليه حتى كاد يفتك به ولم يجد سبيلا إلى الخلاص منه إلا أن يدفع إليه رغيفا مما معه فأكله الكلب وتبعه وما زال به حتى رمى برغيف آخر فأكله، ولم يترك العابد حتى رمى إليه بالرغيف الثالث، وظن أنه سيتركه لشأنه ولكن الكلب ما زال يتبعه ويحاول إيذاءه، فقال له

العبد: يا قليل الحياء، قد أخذت من بيت صاحبك ثلاثة أرغفة وقد رميت بها كلها إليك فما الذي تريده مني بعد ذلك، قالوا فأنطق الله الكلب فأجابه قائلا: يا هذا، منذ ثلاث سنين وأنا عند هذا الرجل ألازم غنمه وأحرس داره يشبعني يوما ويجيعني أياما، فما فكرت ساعة أن أترك بابه إلى باب غيره، أما أنت فقد أجاعك الله يوما واحدا ليختبر إخلاصك ويقينك فانصرفت عن بابه إلى باب عدوه فأنت أقل حياء، فصعق الرجل من قوله وأدرك أنها محنة من الله لم يثبت قلبه لها ولم يصحبه الإخلاص فيها، فلما أفاق من غشيته ندم على ما كان منه وجدد عهده مع الله أن لا يترك بابه وإن هجمت عليه الكوارث أو انتابته الخطوب والملمات.




العِلْمُ

بسم الله الرحمن الرحيم

● قال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

● وقال الحسن رحمه الله: يوزن مداد العلماء بدم الشهداء، فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء.

● قال الحسن في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة:٢٠١) إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة.

● قيل لبعض الحكماء: أي الأشياء تقتني؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك، يعني العلم.

● قال الشافعي: من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح.. ومن رفع عنه حزن.

● وقال الأحنف: كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يولد بعلم فإلى ذل مصيره.

● وقال الزبير عن أبي بكر: كتب إلي أبي بالعراق: عليك بالعلم فإنك إذا افتقرت كان لك مالا.. وإن استغنيت كان لك جمالا.

● ومن وصايا لقمان لابنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء.

● وقال لبعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره.

● ومن أقواله ﷺ: **«من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة»** (أخرجه مسلم) **«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع»** (أحمد وابن ماجه). **«لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير لك أن تصلي مائة ركعة»** (ابن عبد البر) **«باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها»** (ابن حبان) **«اطلبوا العلم ولو بالصين»** (ابن عدي - البيهقي) **«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»**.

● «العلم خزائن مفاتيحها السؤال، ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل.. والعالم.. والمستمع.. والمحب لهم» (رواه أبو نعيم). «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه» (رواه الطبراني).

● في حديث أبي ذر رضي الله عنه: حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة.. فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن؟!، فقال ﷺ: «وهل ينفع القرآن إلا بالعلم» (ابن الجوزي).

● قال بعض الحكماء: إني لا أرحم رجالا كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهم. ورجل يفهم العلم ولا يطلبه.

● قال أبو الدرداء: لأن أتعلم مسألة أحب إلى من قيام ليلة، وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه.

● قال ابن عبد الحكيم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم.. فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية.

● قال أبو الدرداء: من رأى أن الغزو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله.

● قال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات.

● وقال ﷺ: «ونعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة نسمعها فتطوى عليها ثم نحملها إلى كل مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة».

● قال حكيم: بالعلم يطاع الله ويعبد، وقال النبي ﷺ: «خير الدنيا مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل».

● قال علي كرم الله وجهه: أقل الناس قيمة، أقلهم علما.. وقال أيضا: العلم نهر.. والحكمة بحر.. والعلماء حول البحر يطوفون والحكماء وسط البحر يقومون والعارفون في سفن النجاة يسيرون.

● قال موسى عليه السلام وهو يناجي ربه: يا إلهي من أحب الناس إليك؟ قال: عالم يطلب علما.

● قال رسول الله ﷺ: **«هلاك أمتي في شيئين: ترك العلم وجمع المال»**.

● سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: **«العلم بالله والفقه في الدين»**.

● قال يزيد بن ميسرة: من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد إليه، ومن أراد بعلمه غير وجه الله، صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه.

● قال الفضيل: شر العلماء من يجالس الأمراء، وخير الأمراء من يجالس العلماء.

● وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«ويل لأمتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا أربح الله تجارتهم»**.

● قال الشاعر:

العلم أنفس شيء أنت داخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
فأول العلم إقبال وآخره

● قال صالح اللخمي:

تعلم إذا ما كنت لست بعالم ... تعلم فإن العلم أزين للفتى
فما العلم إلا عند أهل التعلم ... من الحلة الحسناء عند التكلم

● قال ﷺ: **«من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»** (رواه أبو داود).

● وقال ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»** (رواه مسلم).

● وقال ﷺ: **«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»** (متفق عليه).

● قال الأحنف: «من لم يكن له علم ولا أدب لم يكن له حسب ولا نسب»..

● وقال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محمود عن النسب

● قال حكيم: من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة.. ومن تسلى بالكتب لم تفنه السلوة.

● قيل لابن المبارك من تجالس؟ فقال: أصحاب النبي ﷺ أنى انظر في كتب آثارهم وأخبارهم.

● قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: «يا كميل.. العلم خير من المال.. والعلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم، والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق. ولهذا كان يقول نظمًا:

ما الفخر إلا لأهل العلم أنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بالعلم تعش حيا به أبدا
والناس موتى وأهل العلم أحياء

عظمة الرسول المعلم ﷺ:

روى مسلم بسنده، عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم.. فقلت: وا ثكل أماه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فو الله ما نهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن»**، أو كما قال رسول الله ﷺ.

عظمة عدل الخلفاء:

بعد أن دفن عمر بن عبد العزيز الخليفة الراحل: سليمان بن عبد الملك وتولى هو الخلافة ذهب يتبوأ مقيلاً، فأتاه ابنه عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أي بني أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم؟ قال: أي بني

إني قد شهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم. قال: يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر؟، قال: ادن مني أي بني، فدنا منه، وقبل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، فخرج ولم يقل، وأمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها. فقام إليه رجل ذمي من أهل حمص أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله. قال وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له: يا عباس ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل، فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فاردد عليه يا عباس ضيعته. فرد عليه.

ما أعظم شرف العلم:

ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة: أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز بالإسناد عن مشيخة أهل المدينة أن فروخا أبا عبد الرحمن أبا ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان إبان بني أمية غازيًا وربيعة يحمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا وفي يده رمح فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة، فقال له: يا عدو الله اتهجم على منزلي؟ فقال: لا.

وقال فروخ: يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمي فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، فجعل يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان. فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت: هذا زوجي، وهذا ابنه الذي خلفه وأنا حامل به، فاعتنقا جميعا وبكيا، فدخل فروخ المنزل، فقال: هذا أبي؟ قالت: نعم، قال: فأخرجي المال الذي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار. فقالت: المال قد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام. فخرج

ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته وأتاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف المدينة.

واحدق الناس به، فقالت امرأته: اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلا، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، فقال من هذا الرجل؟ فقالوا هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فقال أبو عبد الرحمن: لقد رفع الله ابني. فرجع إلى منزله، فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحدا من أهل الفقه والعلم عليها، فقالت أمه: فأيما أحب إليك.

ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإني أنفقت المال كله عليه قال: فوالله ما ضيعته.

هكذا تكون التربية:

ذكر ابن خلكان أن سهلاً التستري قال: قال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت له: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك، ثلاث مرات، نم غير أن تحرك به لسانك.

الله معي.. الله ناظر إلي.. الله شاهدي..

فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قلها في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قلها في إحدى عشرة مرة.

فقلت ذلك، فوقع في قلبي حلاوة! فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علمتك، ودم عليه.. إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين.. فوجدت لها حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه، وشاهده.. يعصيه؟.. إياك والمعصية!

هل تستطيع أن تصلح ما فسد؟

قال سليمان بن عبد الملك يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح ما فسد منا؟ فقال في ذلك قريب يسير يا أمير المؤمنين. فاستوى سليمان جالسًا من اتكائه فقال: كيف ذلك؟ فقال تأخذ المال من حله وتضعه في أهله وكُفَّ الأكُف عما نهيت

وتضعها فيما أُمرت به قال سليمان: ومن يطيق ذلك؟ فقال أبو حازم: من هرب من النار إلى الجنة ونبذ سوء العادة إلى خير العبادة. فقال سليمان: أصبحنا يا أبا حازم وتوجه معنا تصب منا ونصب منك قال أبو حازم: أعوذ بالله من ذلك قال سليمان: ولما يا أبا حازم؟ قال: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات، فقال سليمان: فتزورنا قال أبو حازم إنا عهدنا الملوك يأتوك العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك. فصار في ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن في زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار في ذلك فساد الفريقين جميعًا. قال سليمانك فأوصنا يا أبا حازم وأوجز.

قال: اتق الله ألا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك. قال سليمان ادع لنا بخير فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته. قال سليمان: زدني قال: قد أوجزت فإن كنت وليه فاغتبط وإن كنت عدوه فاتعظ. فإن رحمته في الدنيا مباحة ولا يكتبها في الآخرة إلا لمن اتقى في الدنيا فلا نفع في قوس ترمي بلا وتر فقال سليمان: هات يا غلام ألف دينار فأتاه بها فقال: خذها يا أبا حازم فقال: لا حاجة لي بها لأني وغيري في هذا المال سواء فإن سويت بيننا وعدلت أخذت وإلا، فلا، لأني أخاف أن يكون ثمنا لما قلت من كلامي.

قال سليمان: يا أبا حازم عظني وأوجز، قال: حلال الدنيا حساب وحرامها عقاب وإلى الله المآب فاتق عذابك أودع. قال: لقد أوجزت فأخبرني ما مالك؟ قال: الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر إلى أجله واليأس مما في أيدي الناس قال: يا أبا حازم ارفع إلينا حوائجك قال: رفعتها إلى من لا تخذل دونه فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني رضيت مع أني نظرت فوجدت أمر الدنيا يؤول إلى شيئين أحدهما الذي قدر لي.

وأما الذي لغيري فذلك لا أطمع فيه فكما منعني رزق غيري كذلك منع غيري رزقي فعلام أقتل نفسي في الإقبال والإدبار، قال سليمان: لا بد أن ترفع إلينا حاجة تأمر بقضائها.

قال فتقضيها: قال: نعم، قال: فلا تعطني شيئا حتى أسألكه ولا ترسل إليّ حتى آتيك.

من هو أبغض الخلق عند الله؟

روى أن رجاء بن حيوة نظر إلى طاووس اليماني يصلي في المسجد الحرام، فانصرف رجاء إلى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال إني رأيت طاووس بالمسجد فهل لك أن ترسل إليه؟ قال: فأرسل إليه سليمان، فلما أتاه قال رجاء لسليمان: يا أمير المؤمنين، لا تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلاً ثم قال: ما أول شيء خُلق؟ فقلنا: لا ندري فقال طاووس: أول شيء خلق القلم. ثم قال: أتدري ما أول شيء كتب؟ قلنا: لا. قال: فإن أول ما كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم كتب القدر خيره وشره إلى يومالقيامة. ثم قال: أتعلمون من أبغض الخلق إلى الله تعالى: عبد أشركه الله في سلطانه فعمل فيه بمعاصيه ثم نهض، قال رجاء: فأظلم على البيت، فما زلت خائفًا عليه حتى توارى، فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت أن تخرج أظافره لحم رأسه.

ما بين الحسن البصري والحجاج:

روي أن الحجاج بنى دارًا بواسط وأحضر الحسن البصري ليراها فلما دخلها قال: الحمد لله، إن الملوك ليرون لأنسهم عزاء. وإنا لنرى فيهم كل يوم عبرًا، يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده، وإلى فرش فينجده وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء فيقول: انظروا ما صنعت فقد رأينا أيها المغرور، فكان ماذا يا أفسق الفاسقين. أما أهل السموات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك، بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء، وغررت في دار الغرور لتذل في دار الحبور، ثم خرج وهو يقول: «إن الله سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه».

وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشام فقال: يا أهل الشام أيشتمني عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون ثم أمر بإحضاره فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يُسمع حتى دخل على الحجاج فقال له الحجاج:

ها هنا اجلس فأجلسه قريبا منه وقال: ما تقول في علي وعثمان؟ قال: أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك.

قال: قال موسى لفرعون حين سأله: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه:٥١-٥٢). علم علي وعثمان عند الله. قال: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ودعا بغالية -طيب- وغلف بها لحيته فلما خرج تبعه الحاجب فقال له: ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه؟ قال: قلت: «يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني آذاه».

الخوف كل الخوف أن تكتب بها معصية:

استدعى أبو جعفر المنصور عبد الله بن طاووس ومالك بن أنس رضي الله عنهما فلما دخلا عليه أطرق ساعة ثم التفت إلى عبد الله بن طاووس.

وقال له: حدثني عن أبيك طاووس (ابن كيسان التابعي) قال: حدثني أبي أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكمه. فأمسك أبو جعفر ساعة، قال مالك (ابن أنس) فضممت ثيابي خوفا أن يصيبني دمه. ثم قال له المنصور: ناولني تلك الدواة، ثلاث مرات، فلم يفعل فقال له: لم لا تناولني؟ فقال: أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها، فلما سمع ذلك قال: قوما عني، قال ابن طاووس ذلك ما كنا نبغي، قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم.

من يصلح نيته يصلحها الله له:

وقالوا أن كسرى أنوشروان خرج إلى النزهة يوما فأدركه العطش فوجد بستانا فمال إليه وسأل صاحبه أن يسقيه ماءا، فقال له البستاني ليس عندي ماء فهل أحضر لك شيئا من الرمان فقال له، أرني رمانك، فوجده أحلى مما كان يعهده في بساتينه، فعزم في نفسه على أن يأخذه ظلما من صاحبه وطلب من البستاني رمانة أخرى - ليتأكد من حلاوة هذا الصنف - فلم تكن من الحلاوة كالرمان السابق فقال له كسرى أليست هذه الرمانة من الشجرة التي أحضرت منها الرمان السابق؟ قال له نعم هو من الشجرة بعينها.

قال له فلماذا لم أجدها حلوة كأخواتها فقال البستاني وكان من الصالحين: لعل نيتك تغيرت وعزمت على شيء من الظلم فتغير طعمها تبعا لتغير نيتك، فقال في نفسه صدق الرجل ثم عزم على التوبة وطلب رمانة ثالثة فوجدها أحلى من الأولى. فقال للبستاني أهي من ذاتها؟ قال نعم قال إنها أحلى من الأولى. قال لأنك أصلحت نيتك فأصلحها الله.

وقالوا: إن سيدنا آدم لما هبط إلى الأرض جاءته دوابها تزوره وترحب به وتهنئة بتوبة الله عليه فكان يدعو لكل جنس منها بما يناسبها، وقد دعا للظباء ومسح على ظهورها فكان منها نوافح المسك فلما عادت سألتها طائفة من الغزلان عن سبب تلك الهبة فأخبرتها ذوات المسك أن هذه دعوة آدم أبو البشر لنا لما زرناه. فقالت هذه الطائفة هيا بنا نزوره ليدعو لنا، فزارته ولم تحصل على هذه النعمة فسألت صواحبها عن سر ذلك، فقالت الظباء الأولى نحن زرناه في الله فاستجاب الله دعاءه لنا أما أنتم فقد زرتموه من أجل المسك وشتان ما بين هذا وذاك، جعلنا الله جميعا من المخلصين.

حديث بين الفرزدق وعتبة مولى عثمان بن عفان:

الفرزدق: يا عتبة متى تذهب إلى الآخرة.

عتبة: وما حاجتك إلى الآخرة.

الفرزدق: عندي رسالة لوادي أريد أن أعهد بها إليك.

عتبة: والله ليس طريقي.. إلى جهنم فاعهد بها إلى غيري من أصحاب النار.

ماذا يكفي الإنسان من الدنيا؟

قال رجل لأبي حازم: ماذا يكفي من الدنيا؟ فقال له أبو حازم: إن كنت إما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك.

أهل العلم والحكمة:

قال الإمام علي رضي الله عنه لرجل كان في مجلسه: جالس أهل العلم والحكمة وأكثر من مناقشتهم فإنك إن كنت جاهلا علموك، وإن كنت عالما ازدت علما.

سترك الله في الدنيا والآخرة!!

زور رجل ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل، فشرع في أن يزن له ألف دينار، وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم، فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوحل والخجل، فأطرق الفضل بوجهه ثم قال للوكيل: أتدري لما أتيتك في هذا الوقت؟ فأجاب الوكيل: لا.

فعاد الفضل يقول: جئت لاستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة.. (فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيرًا في أمره فالتفت إليه الفضل وقال: طب نفسًا وامض في سبيلك آمنا على نفسك.. فقل الرجل يده وقال سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة..).

تعلم العربية:

قال ابن شبرمة: إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا، ويصغر في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية، فإنها تجريك على المنطق وتدنيك من السلطان..

ويقال: النحو في العلم يعدله الملح في القدر والرامك في الطيب. ويقال: الإعراب حلية الكلام.

من هو الجاهل؟

قال رجل لأبي الدرداء: ما علامة الجاهل؟ فقال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه.

شهادة المعلم:

شهد رجل عند سوار القاضي فقال: ما صناعتك؟ قال: معلم. قال: فأنا لا نجيز شهادتك، لأنك تأخذ على التعليم أجرا. قال: وأنت تأخذ على القضاء بين

المسلمين أجرا، قال: أكرهت عليه، قال: فهيك أكرهت على القضاء، فمن أكرهك على أخذك الأجر، والرزق على الله... فقال: هلم شهادتك، فأجازها.

إذا أردت..

إذا أردت أن تكون عالما فاقصد أهل العلم.

وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسنه.

ليس كل العلم عرفنا:

خاض شاب ناشيء في بحث فقال له الشعبي: ما سمعنا بهذا من قبل.. فقال له الشاب: وهل كل العلم سمعت؟ فأجاب الشعبي: لا.. فقال الشاب: وهل بعض العلم سمعت؟ فأجاب الشعبي: نعم.. فقال الشاب: إذن فاجعل هذا الذي قلت في البعض الذي لم تسمعه.

أطلب العلم.. ولو بلغت من العمر عتيا:

دخل إبراهيم المهدي أخو هارون الرشيد على المأمون وبين يديه جماعة يتذاكرون في الفقه فقال له المأمون: يا عم ما عندك فيما يقول هؤلاء في الفتوى.. فأجاب: والله يا أمير المؤمنين لقد شغلنا الندماء والمداحون باللهو واللعب في الصغر، واشتغلنا في الكهولة باتباع الهوى وتكاليف الحياة فما انتفعنا بعلم.

فقال المأمون: يا عم ولم لا نتعلم اليوم؟ فقال إبراهيم: أو يحسن بمثلي الآن طلب العلم وقد بلغت من الكبر عتيا؟ فأجاب المأمون: نعم والله لأن تموت طالبا للعلم خير لك من أن تعيش قانعا بالجهل.

وفاء التلميذ لأستاذه:

دخل علي الواثق بالله استاذه هارون، فبالغ في إكرام مثواه، فقال له صديق: إن هذه المبالغة في التكريم والاحتفال لا تتفق مع قدره الرفيع وجاهه فأجاب الواثق: أيها الصديق، إن هذا الذي تستكثر عليه كل هذا التكريم هو أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمة الله.

العلم والمال:

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العلم خير من المال لأن العلم يحرسك،

وأنت تحرس المال، والمال بيده الإنفاق، والعلم يزكو على الإنفاق، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

العلـــم:

قال نافع عن ابن عمر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري...

هذا هو الخلل:

خطب معاوية خطبة أعجب بها وفاخر ببلاغتها وصياغتها وقال: أيها الناس هل ترون في خطابتي من خلل..؟ فوقف أعرابي جريء وقال له: نعم يا أمير المؤمنين إن فيها لخللاً كخلل المنخل.. فقال له معاوية: وأي خلل هو يا أعرابي؟ فقال له الأعرابي: ذلك الخلل هو ما تناثر على لسانك من إعجابك بها ومدحك لها.

كيف كان سيد قومه:

قال معاوية لعرابة الأنصاري: بم سدت قومك يا عرابة؟ فأجاب عرابة: لست بسيدهم. فسأله معاوية: أتنكر الأمر الواقع يا عرابة وقد سودك قومك عليهم.. فقال عرابة: قلت لست بسيدهم، ولكني رجل منهم، أعطيت في نائبتهم، وحلمت على سفيههم، وشددت على أيدي حليمهم، فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي، ومن قصر عنه فأنا أفضل منه، ومن تجاوزه فهو أفضل مني.

صراحة جعفر الصادق:

كتب المنصور العباسي إلى عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه يقول: لم لا تخشانا يا عبد الله كما يخشانا الناس؟ فقال له جعفر رضي الله عنه: ليس لنا في الدنيا من أجله ما نخشاه حتى نخشاك، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت فيما أنت فيه في نعمة فنهنئك بها، ولا هي نقمة فنعزيك لها، فأجاب المنصور يقول: أولا تصحبنا لتنصحنا؟ فقال عبد الله: من يطلب الدنيا لا ينصحك، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك.

نظرة ثناء الناس عليه:

قال أبو ذر: قلت للنبي ﷺ: الرجل يعمل العمل ويحبه الناس؟ قال: «تلك

عاجل بشرى المؤمن». وقال النبي ﷺ: «إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ماذا يتبعه من الثناء».

له رب يحميه:

لما بيت النية الأشرم ملك الحبشة على هدم الكعبة ومصادرة أموال قريش وإبل عبد المطلب، خرج إليه عبد المطلب إلى عرفات فأكرم مثواه وسأله عن حاجته فقال له عبد المطلب: ليس لي حاجة إلا أن ترد إلي إبلي وبعيري، وقد صادرها قومك فعجب إبرهة الأشرم من إجابته، ثم زهدت فيك حيث النية على هدم الكعبة التي هي مناط دينك ودين آبائك فلم تكلمني في ذلك، وكلمتني في إبل [illegible]ـها، وبعير أغرت عليها.. فقال عبد المطلب: يا إبرهة، اعلم بأن الإبل أنا ربها، وأما البيت فله رب يحميه وسوف ترى.

لا تشاور هؤلاء السبعة:

قال أعرابي لآخر: سبعة لا ينبغي أن تشاورهم.. فقال الآخر: وما هم؟ فأجاب الأعرابي: جاهل، وعدو، وحسود، ومراء، وجبان، وبخيل، وذو هوى... فقال: زدني إيضاحا.. فقال الأعرابي: الجاهل يضل، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة، والمرائي واقف مع رضا الناس، والجبان من رأيه الهرب، والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره، وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته.

الفـــرزدق:

قال مسلمة بن عبد الملك لخالد بن صفوان: صف لنا جريرا والفرزدق والأخطل فقال: أصلح الله الأمير، أما أعظمهم فخرا، وأبعدهم ذكرا، وأحسنهم غزلا، وأحلاهم معاني وعللا، الطامي إذا زخر والحامي زار، والسامي إذا نظر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، وإن طلب نال، الفصيح اللسان، السباق إلى الرهان فالفرزدق.

من أشعر الشعراء:

سئل يونس النحوي، من أشعر الشعراء؟ فقال: لا أومىء إلى رجل بعينه،

ولكن أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رعب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب.

هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت!.

قال الشعبي: ركب زيد بن ثابت، فدنا منه عبد الله بن العباس ليأخذ بركابه فقال: «ما تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ ؟ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيد: أرني يدك، فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا!».

أنفع شيء للإنسان:

لا شيء أنفع للإنسان من المعرفة بقدر ما عنده من الفضل وحسن الاجتهاد في طلب ما هو مستحق له.

إنهم يستحقون الرحمة:

قال رسول الله ﷺ: «**ارحموا ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالما بين جهال**».

العمل القائم على العلم:

قال علي رضي الله عنه عمل قليل في علم خير من كثير في جهل.

قيمة المرء:

قال علي كرم الله وجهه: «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

أفضل منحة يمنحها الوالد لابنه:

قال رسول الله ﷺ: «**ما منح والد ولدا أفضل من أدب حسن**».

البدار.. البدار بتأديب الأطفال:

قيل: بادروا بتأديب الأطفال قبل الاشتغال، وتفرق البال.

خلود الكلمة على مر الأيام:

قال سقراط: ما أثبتته الأقلام، لم تطمع في درسه الأيام.

العلوم ثلاثة:

قيل: العلوم ثلاثة: علم الدين لمعادكم، وعلم الطب لأبدانكم، وعلم الهندسة لمعاشكم.

كلمات ينتفع بها:

روى أن سليمان بن داود عليهما السلام سأل الله تبارك وتعالى أن يعلمه كلمات ينتفع بها، فأوحى إليه: «إني معلمك ست كلمات: لا تغتابن عبادي، وإذا رأيت أثر نعمتي على عبد فلا تحسده، قال: رب حسيب لأقوم بهاتين».

متى يكون الحلم ضررا؟

قيل: استعمال الحلم مع اللئيم أضر من استعمال الجهل مع الكريم.

غضب وعفو!

غضب عبد الملك على رجل فلما أتى به، قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلم الله عليك. فقال الرجل: ما هكذا أمر الله إنما قال: ﴿وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء،٨٦) فعفا عنه.

هكذا يكون الحليم:

قال رجل للأحنف: إن قلت واحدة لتسمعن عشرا، فقال الأحنف: لئن قلت عشرا لم تسمع واحدة.

حياء في موضعه:

قال معاوية: إني أستحيي أن أظلم من لا يجد علي ناصرا إلا الله.




بر الوالدين.. والأمومة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت:٨).

يقول الإمام القرطبي: وأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة والإذعان.. من قرن الله الإحسان إليهما بعبادته وطاعته.. وشكره بشكرهما.. وهما الوالدان.

● عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة»**.

● قال رسول الله ﷺ: **«فضل بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله والهجرة إليه»**.

● جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق بحسن الصحبة؟ قال: **«أمك، ثم أمك، ثم أمك.. ثم أباك.. ثم أدناك فأدناك»**.

عظمة الأمومة في هاجر عليها السلام:

● الأم الحانية الشفوق «هاجر» عليها السلام: يرسم لنا البخاري صورة من أروع صور الأمومة الحانية الشفوق.. حين يصف لنا هاجر -عليها السلام- في لهفتها وجزعها، تسعى حائرة مجهودة بين جبلين.. تبحث عن قطرة من ماء في صحراء جرداء مهلكة.. عساها تنقذ وليدها من الهلاك، ويكافئها الله تعالى على صبرها ويقينها.. فيجعل سعيها بحثا عن الماء.. منسكا من مناسك الناس إلى يوم الدين.

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء إبراهيم ﷺ بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه.. حتى وضعها عند البيت.. عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد.. وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء.. ثم انطلق إبراهيم، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم.. أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء، فقالت له مرارا.. وجعل لا يلتفت إليها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟! قال: نعم.. قالت: إذن لا يضيعنا.. ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم ﷺ حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت.. ثم دعا بهؤلاء الدعوات فرفع يديه وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧).

وجعلت أم إسماعيل ترفع إسماعيل عليه السلام وتتشرب من تلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها.. وجعلت تنظر إليه يتلوى.. فانطلقت كراهية أن تنظر إليه.. فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها.. فقاصت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر.. هلى ترى أحدا؟ فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذرعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا؟.. فلم تر أحدا.. ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: **«فذاك سعي الناس بينهما»**.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا.. فقالت: صه -تريد نفسها- ثم تسمعت.. فسمعت أيضا.. فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث.. فإذا هي بالملك عند موضع زمزم -فبعث بعقبيه- أو قال بجناحيه حتى ظهر الماء.. فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا.. وجعلت تغرف الماء في سقاتها وهو يفور بعدما تعرف -وفي رواية- بقدر ما تعرف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: **«رحم الله أم إسماعيل.. لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تعرف من الماء - لكانت زمزم عينا معينا. قالت: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام وأبوه.. وإن الله لا يضيع أهله»**.

وخلدها الله تعالى، وخلد موقفها الرائع الصابر.. وجعل سعيها بحثا عن الماء لوليدها.. منسكا من مناسك الناس إلى يوم القيامة.. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة:١٥٨).

دموعــــها:

يقول سقراط: تستطيع الشمس أن تجفف مياه المحيط، ولكنها لن تجف دموع امرأة.

عن الأم.. والأمومة في مختلف العصور:

في الإسلام:

كرم الإسلام الأمومة وأمر الله تعالى بطاعة الوالدين وربط طاعتهما بطاعته تعالى لما لهما من فضل في نشأتنا وتربيتنا والأخذ بأيدينا إلى المستقبل.. ونصيب الأم في هذا الفضل أكبر ودورها أعظم.. ويتمثل ذلك في الحديث القدسي حيث يقول المولى تبارك وتعالى: **«يا ابن آدم ما أنصفتني.. خلقتك ولم تك شيئا.. ثم خلقت النطفة علقة.. وخلقت العلقة مضغة وخلقت المضغة عظاما.. وكسوت العظام لحما.. فهل يقدر على ذلك غيري؟**

وخففت ثقلك في بطن أمك لئلا تتأذى بك.. ووكلت بك ملكا إذا نامت أمك رفع رأسك لئلا تغرق فتموت.. فهل يقدر على ذلك غيري؟

فلما آن أوان خروجك خرجت على ريشة من جناح الملك.. وليس لك سن يقطع.. ولا ضرس يطحن.. فاستخرجت لك من عرقين في صدر أمك لبنا حارا في الشتاء.. باردا في الصيف حتى لا تنقطع أمعاؤك الضعيفة.. فهل يقدر على ذلك غيري؟

فلما أن صار لك سن يقطع.. وضرس يطحن.. أطعمتك فاكهة الصيف في أوانها.. وفاكهة الشتاء في أوانها.. فهل يقدر على ذلك غيري؟

فلما أن كبرت وعرفت أني ربك عصيتني.. فادعوني فإني قريب مجيب وغفور رحيم».

روى أن أحد الصحابة كان يقبل رجل أمه كل يوم ولما سئل عن ذلك قال: لأنني أقبل في ذلك أعتاب الجنة.

يروى أن شابا كان يؤدي فريضة الحج وكان يحمل أمه فالتقى بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له: هذه أمي أقوم بحملها لأنها لا تستطيع الحركة فهل أكون بذلك قد وفيت بحقها؟ فقال عمر: كيف ذلك؟ قال الشاب إني كما ترى أقوم

بحملها وأطعمها كما كانت تحملني وتطعمني وأنا صغير.. فقال عمر رضي الله عنه: شتان بين ما فعلت وتفعل.. لقد فعلت لك ذلك وكانت تتمنى لك الدوام والبقاء وأنت تفعل ذلك وتتمنى الخلاص منها والهلاك لها.

الأم في الأدب العربي:

تحتفظ كتب الأدب العربي القديم بطائفة من الأناشيد التي كانت تنشد بها الأمهات لأطفالهن في الجاهلية والإسلام مصورات فيها أحلامهن في أبنائهن وما ينبغي أن يتحلوا به من الشجاعة والكرم والقيم الرفيعة أسوة بالآباء والأجداد كقول هند أم معاوية في بعض ترقيصها له في طفولته:

إن بني معرق كريم محبب في أهله حليم

وبمقدار ما كان يملأ قلوب الأمهات العربيات غبطة وابتهاجا بأبنائهن في حياتهن أطفالا وشبابا ورجالا كانت تظلم الدنيا في عيونهن حين يختطفهم الموت، بل كانت تملأ قلوبهن من الحزن الممرض قطع من النار المحرقة تعصف بهن عصفا أليما حتى يشعرن كأنهن يمزقن وتقطع أعضاء هذه تقطيعا على نحو ما تصور ذلك أعرابية اصطلت بنار الثكل لأبنها مولولة بقولها:

يا فرحة القلب والأحشاء

يا ليت أمك لم تحمل ولم تلد

أيقنت بعدك أني غير باقية

وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

لقد استحالت ذراعا ملقى دون عضد ودون سند، وأنها لتوجع وتتحسر وتحس في عمق كأنها تحطمت وتفتتت -فقد طوى الموت ابنها في قرار الأبد السحيق، وكأنه كان شمسا أطلت على حياتها لحظة من خلال غمام ثم غابت وتوارت بالسحاب فيا للهول... إنه لم يعد لها إلا الأنين والصراخ والعويل.

وللإمام الذهبي موعظة بليغة يقول فيها:

أيها المضيع لأكثر الحقوق.. الغافل عما بين يديه.. بر الوالدين عليك دين.. وأنت تتعاطاه باتباع الشين.. تطلب الجنة بزعمك.. وهي تحت أقدام أمك..

حملتك في بطنها تسعة أشهر، كأنها تسع حجج.. وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج.. وأرضعتك من ثديها لبنا وأطالت لأجلك وسنا.. وغسلت بيمينها عن الأذى وآثرتك على نفسها بالفدا.. وصيرت حجرها لك لمهدا.. وأنالتك إحساناً ورفداً.

فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية وأحالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب.. ولو خيرت بين حياتك وموتها.. لطلبت حياتك بأعلى صوتها. هذا.. وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا.. فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك.. فشبعت وهي جائعة.. ورويت وهي قانعة.. وقدمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان.. وقابلت أياديها بالنسيان.. وصعب لديك أمرها وهو يسير وطال عليك عمرها وهو قصير.. وهجرتها وما لها سواك نصير هذا.. ومولاك قد نهاك عن التأفيف.. وعاتبك في حقها بعتاب لطيف.. ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الحج:١٠).

كتب أنس بن مالك رضي الله عنه إلى الخليفة هارون الرشيد يوصيه.. فقال في وصيته: بر والديك وخصهما منك بالدعاء في كل صلاة، وأكثر لهما الاستغفار.. وابدأ بنفسك قبلهما.. فإن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ (نوح:٢٨) فبدأ بنفسه قبل والديه.. وبلغني عن النبي ﷺ أنه قال: من سره أن ينسأ له في عمره، ويزداد في رزقه فليتق الله ربه، وليصل رحمه.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من بر والديه طوبى له.. زاد الله في عمره»**.

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«رأيت ليلة أسري بي أقواما في النار معلقين في جذوع من نار.. فقلت: يا جبريل.. من هؤلاء؟ قال: الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا»**.

وروى سفيان عن داود عن شابور عن أبي قزعة قال: مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة. فسمعنا نهيق حمار.. فقلت لهم: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كان عندنا.. كانت أمه تكلمه بالشيء فيقول لها: انهق نهيقك فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة.

قمة البر في قصة إسماعيل:

قد وصل إسماعيل عليه السلام ببره لأبيه إلى حد التضحية بالنفس.. والإقبال على الموت بنفس مطمئنة.. فاستحق أن يخلده القرآن الكريم.. وأن يشيد به التاريخ.

قيل إن إبراهيم عليه السلام ادعى محبة الله.. ثم نظر إلى ولده بالمحبة.. فلم يرضى حبيبه بمحبة مشتركة.. فرأى في ليلة التروية كأن قائلا يقول: أن الله أمرك بذبح ابنك.. فلما أصبح تروى في نفسه -أي تفكر- أهذا الحلم من الله أم من الشيطان؟ فسمى ذلك يوم التروية..

فلما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضا وقيل له: الوعد فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمي ذلك يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة.. فعزم على نحره فسمي يوم النحر فلما تحقق عليه السلام أن ذلك الأمر من الله تعالى.. قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الهضبة لنحتطب لأهلنا.. وفعل الغلام وتبع أباه.

فقال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا.. فتمثل لهم في صورة رجل.. ثم أتى أم الغلام وقال: أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: لا. قال: إنه ذهب به ليذبحه.

قالت: كلا.. هو أرأف به من ذلك!! فقال: انه يزعم أن ربه أمر بذلك. قالت: فإن كان ربه قد أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه. فلم ينجح معها الشيطان.. ثم أتى الغلام فقال له: أتدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: لا. فقال: فإنه ذاهب بك ليذبحك!! قال: ولما؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك. فقال إسماعيل عليه السلام: فليفعل ما أمره الله به.. سمعا وطاعة لأمر الله. ولم ينجح معه الشيطان.. ثم جاء إبراهيم عليه السلام فقال: أين تريد؟ والله إني لأظن أن الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك فعرفه إبراهيم عليه وقال: إليك عني.. إليك عني يا عدو الله.. فو الله لأمضين لأمر ربي. وإنما عرف إبراهيم عليه السلام أنه الشيطان لأنه لم يخبر أحدا عليه السلام برؤياه.. فمن أين لهذا الغريب معرفة ما رآه في منامه.. أو ما عقد عليه السلام العزم على فعله!

في هذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: لما أمر إبراهيم بذبح ابنه.. عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب.. ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب.. ثم مضى لأمر الله تعالى.. ولم ينل الشيطان منه شيئا.

ثم إن إبراهيم عليه السلام أفضى إلى ابنه برؤياه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (الصافات:١٠٢)، قال إسماعيل عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢).

وفي الخبر أن إسماعيل قال لأبيه عليهما السلام: يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب.. واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيئا من دمي فتراه أمي فتحزن.. وأسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت أهون علي.. واقذفني للوجه لئلا تنظر إلى وجهي فترحمني.. ولئلا أنظر إلى الشفرة فأجزع.. وإذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام.

هنا: قال إبراهيم لابنه البار إسماعيل عليهما السلام: «نعم العون يا بني أنت على أمر الله».

ثم أنه شمر.. وأخذ السكين.. وأضجع ولده.. وقال: اللهم تقبله مني في مرضاتك.. فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم لم يكن المراد ذبح الولد، وإنما المراد أن ترد قلبك إلينا.. فلما رددت قلبك بكليته إلينا رددنا ولدك إليك.. وفداه الله بكبش عظيم.. وجده إبراهيم على مقربة منه فذبحه.

حكى أن ولدا اشتكى إلى رسول الله ﷺ أباه.. وأنه يأخذ ماله.. فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا.. فسأله فقال: يا رسول الله.. إنه كان ضعيفا وأنا قوي، وفقيرا وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئا من مالي.. واليوم أنا ضعيف وهو قوي.. وأنا فقير وهو غني يبخل علي بماله!!

هنا بكى رسول الله ﷺ وقال: «ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى.. ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك.. أنت ومالك لأبيك.

البر بالوالدين.. ولو كانا مشركين:

لا يختص البر بالوالدين والإحسان إليهما أن يكونا مسلمين.. بل عليه أن يبرهما ويحسن إليهما أيضا حتى ولو كانا كافرين.. في حوار رائع.. وفي قمة الدراما القرآنية العظيمة.. وفي هذا الحوار الأخاذ.. يضرب لنا القرآن الكريم مثلا من أروع الأمثال لبر الوالدين.. ومصاحبتهما بالمعروف رغم كفرهما.. ذلك حين يقص علينا دعوة إبراهيم عليه السلام أباه إلى الإيمان بالله.. ومنعه ونهيه إياه عن عبادة الأصنام.

لنقرأ معا هذا الحوار الدرامي الرائع من خلال قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ (مريم،٤٢).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم،٤٣).

﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (مريم،٤٤).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (مريم،٤٥).

تأمل معى عزيزي القارئ هذا الأسلوب .. قمة العطف .. قمة الأدب .. قمة الخشوع .. قمة بر الابن لوالده.

وتأمل معنى تكرار لفظة ﴿يَا أَبَتِ﴾ في مطلع كل آية إنها قمة الحنان.. وقمة الخلق الطيب من ابن مؤمن بالله إلى أب غير مؤمن.

رغم هذا .. فالأب أصم أذنيه عن سماع داعي الإيمان .. وأغلقها دون الهدى والرشاد. ولم يكتف الأب بالإعراض عن ابنه .. انتهره وهدده بالرجم .. وهدده بالإبعاد.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم،٤٦).

ترى فإذا قال الابن البار لأبيه؟ هل قابل الإساءة بالإساءة والصد بالصد والهجران بالهجران والرفض بالرفض، وهل يليق ذلك لمكانة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.. حاشا وكلا.

﴿قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ (مريم،٤٧-٤٨).

حجر أمي:

يقول كذلك: لم أطمئن قط إلا وأنا في حجر أمي.

يقول حكيم: يصرخ الطفل حين تسلمه الأم أيمن ثديها ويرضى بعد لحظة حين تمنحه ثديها الآخر.

الحامل:

رأى النبي محمد ﷺ امرأة حاملا تسرع في مشيها فخاطبها بقوله: **«إياك أن تؤذي جنينك فإنك مأمونة عليه»**.

أجمل معبد:

يقول حكيم عربي: الأم «أجمل معبد».

الأم:

ويقول حكيم: في العالم شخص واحد خير من الزوجة: الأم.

يقول الإمام علي ألا تسترضعوا الحمقاء.. فإن اللبن يغلب الطباع.

ويقول كذلك: إن للمرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها من الأجر كالمرابط في سبيل الله.. فإن هلكت بين ذلك فلها أجر الشهيد.

وكان حجري فناء:

تنازع أبو الأسود الدؤلي وامرأته في ابن لهما وكل واحد منهما يقول: أنا آخذه.. فقال الدؤلي: حملته قبل أن حملته ووضعته قبل أن وضعته.. فقالت امرأته: حملته خفا وحملته ثقلا.. ووضعته شهوة.. ووضعته كرها.. وكان حجري فناءه وبطني وعاءه وثديي سقاءه.. فدفعه إليها معتذرا.

يا رب احرس ابني:

جاء في أسطورة أن شابا شغف بحب امرأة داعر.. وذات يوم طلبت منه هذه المرأة الداعر أن يأتيها بقلب أمه دليلا على صدق هواه.. فما كان من هذا العاق إلا أن فعل.. وعاد إليها.. فعثرت رجله فوقع على الأرض.. ووقع القلب.. حيث سمع له صوت يقول داعيا: «يا رب احرس ابني».

إياك والزانية:

يقول سليمان الحكيم محذرا: «لا تميل إلى الزانية.. ولا تشرد في مسالكها، فإن بيتها طريق تصل بك إلى القبر».

المرأة السليطة:

سئل حكيم عن صفوة تجارية في الحياة.. فقال: عاديت الأعداء فلم أر أعدى علي من نفسي.. وصاحبت الشجعان والسباع فلم يغلبني إلا الصاحب السوء.. وصارعت الأقران فلم أر أغلب من المرأة السليطة.

رثاء الأم للابن:

تقول أعرابية عن بني عبد ود ترثي ولدها:

يا فرحة القلب والأحشاء والكبد

يا ليت أمك لم تحبل ولم تلد

لما رأيتك قد أدرجت في كفي

مطيا للمنايا آخر الأبد

أيقنت بعدك أني غير باقية

وكيف يبقى ذراع زال من عضد

الابن العاق:

وقالت أم سلمى الهزانية تصف عقوق ولدها لها:

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه

أم الطعام ترى في ريشه زغبا

حتى إذا أضحى كالفحال شد به

أباره ونفى عن متنه الكربا

أنشا يمزق أثوابي ويضربني

أبعد ستين عندي يبتغي الأدبا؟

قال الحكماء:

يقول حكيم: يكون الرجل في كبره كما هيأته أمه في صغره.

يقول حكيم: ليس في الدنيا فرح يعدل فرح الأم، عندما يحالف ابنها التوفيق.

سألوا أحد الحكماء عن أحسن كتاب قرأه، قال: «أحسن كتاب قرأته.. وأعظم كتاب قرأته: أمي».

مفتاح الجنة:

سأل أحدهم رسول الله ﷺ أن يأذن له في الغزو في سبيل الله فقال له: «**ألك أم؟**» قال: نعم، قال: «**الزمها، فإن مفتاح الجنة تحت رجليها**».

أبو البنات:

كان أحدهم يلقب بأبى حمزة الغبي، وقد ولدت له زوجته بضع بنات ولم تنجب له غلاما يكنى به.. ولما حملت قال لها: إن وضعت أنثى فأنت طالق.. ولما وضعت أنثى هجرها.. وخطر له مرة أن يطل عليها وتطلع من ثقب في الباب وإذا به يراها ترقص إحدى بناتها في حضنها وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يطل في البيت الذي يلينا
غضبان أم لم تلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

الوالدة:

يقول الإمام علي: حق الوالد أعظم.. وبر الوالدة ألزم.

ويقول حكيم: بر الوالدين كفارة الكبائر.

هم إخوانكم وخدمكم:

يقول حكيم عربي لأولاده في مراعاة الخدم: هم إخوانكم وخدمكم.. جعلهم الله تحت أيديكم.. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم.

يقول حكيم: من القواعد المقررة، إن عظماء الرجال يرثون عناصر عظمتهم من أمهاتهم.

التي تجادلك في زوجها:

قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (المجادلة:1) نزلت في خولة بنت ثعلبة، وقيل اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، وكان شكله دميم، وكانت هي حسنة الجسم، فأرادها، فأبت عليه، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق الجاهلية، فقال:

ما أظنك إلا قد حرمت علي، فقالت: والله ما ذاك بطلاق، فأتت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي وأنى شبابي وتفرق أهلي، وكبر سني، ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء تجمعني وإياه وتنعشني به؟ فقال رسول الله ﷺ: «**حرمت عليه**»، فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب بالذكر الطلاق، وأنه أبو ولدي، وأحب الناس إلي، فقال رسول الله ﷺ: «**حرمت عليه**» فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، قد طالت له صحبتي، ونثرت له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه، ولم أومر في شأنك بشيء**»، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وكلما قال لها رسول الله ﷺ «**حرمت عليه**»، هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغارا إن ضممتهم إلي جاعوا وإن ضممتهم إليه ضاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم أشكو إليك، اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي، وهذا كان أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر، فقالت:

انظر في أمري جعلني الله فداءك يا نبي الله، فقالت عائشة: أقصري

حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي قال: «ادعي لي زوجك»، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ الآية (١).

وفي البخاري ومسلم عن عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت، وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآية.

دعاء الأم:

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم. وصاحب جريج. وكان جريج رجلا عابدا. فاتخذ صومعة. فكان فيها. فأتته أمه وهو يصلي. فقالت: يا جريج فقال: يا رب أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته. فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي. فقالت: يا جريج فقال: يا رب أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته. فانصرفت. فلما كان من الغد أتته وهو يصلي. فقالت: يا جريج فقال: أي رب أمي وصلاتي. فأقبل على صلاته فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته. وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها. فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم. قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها. فأتت راعيا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها. فوقع عليها. فحملت. فلما ولدت. قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه. فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي. فولدت منك. فقال: أين الصبي؟ فجاؤوا به فقال: دعوني حتى أصلي. فصلى. فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه. وقال: يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي. قال: فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به. وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهب. قال: لا. أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا.

في قصة جريج رَحِمَهُ اللهُ وأنه آثر الصلاة على إجابتها فدعت عليه فاستجاب الله لها. قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها

حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته فلعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه. قولها: (فلا تمته حتى تريه المومسات) هي بضم الميم الأولى وكسر الثانية أي الزواني البغايا المتجاهرات بذلك والواحدة مومسة وتجمع على مياميس أيضا. قوله ﷺ: «وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره» الدير كنيسة منقطعة عن العمارة تنقطع فيها رهبان النصارى لتعبدهم، وهو بمعنى الصومعة المذكورة في الرواية الأخرى وهي نحو المنارة ينقطعون فيها عن الوصول إليهم والدخول عليهم.

الجنة تحت أقدام الأمهات:

قالوا أن سيدنا سعد بن أبي وقاص صاحب رسول الله ﷺ وهو أحد المبشرين بالجنة، قالوا أنه لما أسلم تقضيت عليه أمه وتوعدته إذا جاءها، فلما دخل عليها بعد إسلامه قالت له: يا سعد، بلغني أنك صبأت وأنك قد فارقت دينك ودين أبيك.

فقال لها سعد: يا أماه والله ما صبأت ولكنني أسلمت وآمنت بما جاء به رسول الله من كتاب، فقالت له أمه واللات والعزى لا استظل بسقف ولا آكل ولا أشرب ماءا حتى أموت أو تكفر بمحمد، ثم أصرت على قولها ومكثت ثلاثة أيام في العراء لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى أوشكت على الهلاك، وكانت تظن أن سعد سيرق لها ويرفق بها وتأخذه الشفقة عليها إذا رآها وقد بلغت من الضعف أقصاه، ولكن سيدنا سعد رضي الله عنه توجه إليها وهي تقاسي من الحر أشده ومن الجوع أمضه، وقال لها يا أماه والله لو كانت لك ألف نفس فخرجت كل واحدة منها وراء الأخرى ما تركت هذا الدين ولا فارقت رسول الله ﷺ، ثم توجه إلى رسول الله فأخبره بما كان من شأنه مع أمه وأنها قد أضر بها حدة الجوع والظمأ، وشدة الحر، فلم يفرع من قوله ولا أنتهى من شكواه حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان:١٤-١٥). فقرأها النبي ﷺ عليه وأمره بالإحسان إلى أمه دون أن يطيعها في الكفر أو يعود إلى ما تركه من دين.

وأعجب من موقف سيدنا سعد مع أمه ما وقع لأسماء بنت أبي بكر بعد أن هاجرت مع زوجها إلى المدينة، وقد خلفت وراءها أمًا كافرة ما زالت على دين قومها وفي يوم من الأيام طاب لها أن تزور ابنتها أسماء في المدينة فلما دخلت عليها لم تنهض لها ولا رحبت بها وبادرت مسرعة بيت رسول الله، فلما دخلت عليه ابتسم لها النبي ﷺ وأفسح لها في مجلسه وقال لها: «ما شأنك يا أسماء»، فقالت له يا نبي الله إن أمي قدمت على من مكة وأنت تعلم أنها لا زالت مشركة وتلا عليها الآية التي نزلت في شأن أم سعد.

أعجب ما جاء في بر الوالدين:

من أعجب ما جاء في بر الوالدين وإكرامهما والتلطف معهما حتى في أحرج أوقات الشدة ما رواه ابن عبد البر في تاريخه، قال رحمه الله: لما حبس الرشيد البرامكة وكان على رأسهم كبيرهم وأميرهم يحيى بن خالد البرمكي وكان شيخا كبيرا، وكان لا يتوضأ لضعفه وكبر سنه إلا بماء ساخن، وكان معه في السجن ولده الفضل ففكر في حيلة ليصنع بها ماءا ساخنا يناسب شيخوخة أبيه، فكان إذا أقبل الليل غافل السجان وأخذ قدحا مليئا بالماء وقام به عند السراج حتى يطلع الفجر وما زال الفضل هكذا حتى فطن له السجان، فمنعه من ذلك وحال بينه وبين السراج، ولكن الفضل لم ييأس من بر أبيه ولم تعيه الحيلة، فكان يملأ القدح كعادته ويضمه إلى جسمه حتى يطلع الصباح، فكان يحصل على شيء من الماء الدافئ فيقدمه لأبيه، وقد أدرك أبوه ذلك فكان إذا صلى بسط أكفه إلى الله وقال: «اللهم لا تذقه حر جهنم ولا عذاب السموم».

عظمة بر الوالدين على ولده:

جاء في كتب التاريخ أن رجلا كان يعيش مع ابنه أيام سيدنا سليمان عليه السلام وداخل مملكته، وكان الرجل صالحًا ورعًا وزاهدًا تقيًا يتجنب المعاصي، ويخشى الذنوب والآثام ويكره أن يرى في بيته شيئا يغضب الله، وكان له ابن جريء على محارم الله لا يخاف ربه ولا يخشى ذنبه ولا يترفع عن عار ولا قبيح.

فكان يشرب الخمر في بيت أبيه وعلى مرأى ومسمع منه فكان والده ينهاه ويزجره، ويعظه ويرشده ويحذره غضب الله ومخافته، فكان لا يرعوى ولا ينزجر وكثيرًا ما كان يسخر من أبيه ويتهكم بنصحه ووعظه، حتى شرب الخمر ذات يوم فدخل عليه أبوه ليعظه بالحسنى ويستنصحه باللين، وكانت الخمر قد عملت برأسه عملها واغتال عقله ضوارها، فهجم على أبيه فلطمه على وجهه لطمة عنيفة فقأت عينه وأسالت دماءه، ولم تمض مدة يسيرة حتى أفاق من سكره واستيقظ من غفلته، فأبصر عين أبيه على خده فأخذه الهلع وتملكه الفزع وأيقن أنه أساء وأساء.

وأنه ارتكب ذنبًا لا يغفر، وفعل إثمًا لا يمحى وأتى عارًا لا يزول فجعل يقرع نفسه ويوبخ شخصه، ولم يجد ما يخلصه من عاره وشناره إلا أن يقتص لأبيه من نفسه، ويقطع يده التي لطمه بها ولا يمكن أن يسكن له ضمير أو يستريح له بال دون هذا الانتقام، فلما فعل ذلك بنفسه ورآه أبوه مقطوع اليد أخذته الشفقة عليه، وتوجع لمنظره فبكى بكاء ساخنًا وذرف دموعًا حارة، وقال: «يا بني ليت لي ألف عين تقلع كل واحدة وراء الأخرى ولا أراك قطعًا لا يمين لك». ثم أخذه وتوجه به إلى نبي الله سليمان، فوجداه داخل الهيكل يعظ بني إسرائيل ويذكرهم بالله، فلما وقف الرجل بابنه أمامه حدثه عن قصته مع ابنه، فبكى سيدنا سليمان من حنان الوالد على ولده حتى وأنه قسا عليه، ثم أخذ عين الشيخ فجعلها مكانها ويد الابن فوصلها بساعدها وقال للصالحين من بني إسرائيل: إني أدعو فأمنوا ورفع وجهه إلى الله وقال يدعوه: «اللهم بشفقة الوالد على ولده، والولد على أبيه أسألك أن تشفيهما وتقضي حاجتهما». فقال الصالحون آمين، فاستجاب الله لنبيه وشفعه في الرجلين وجعلها معجزة لسيدنا سليمان وعبرة لبني إسرائيل.

شهيد أمه:

ما رواه سيدنا مالك بن دينار رضوان الله تعالى عليه، قال رحمه الله ونفعنا الله به: «خرجت يومًا إلى حج بيت الله في سنة من السنين فرأيت الجميع على عرفات وقد رفعوا أيديهم إلى السماء، وبسطوا أكف الضراعة والرجاء وأكثروا من الأنين والبكاء يبتغون فضلا من الله ورضوانًا، ويطلبون من الرحمة والغفران،

فقلت في نفسي: ليت شعري من المقبول من هؤلاء فأهنئه وأباركه؟! ومن المطرود منهم ومن الشقي المحروم فأتوجع له وأعزيه؟! فلما نمت تلك الليلة وكنت بالمشعر الحرام رأيت في نومي من يقول لي: «يا مالك بن دينار إن الله قد غفر لأهل الحجيج أجمعين وتقبل منهم ما عدا محمد بن هارون البلخي فإن الله قد رد عليه حجه» فاستيقظت من نومي فزعا فصليت صلاة الغداة وجعلت معهم وسألتهم يا هؤلاء هل فيكم أهل بلخ؟

فقالوا: نعم. وأحضروا البلخيين لي، فقلت لهم: «هل فيكم من يعرف محمد ابن هارون؟ فقالوا كلهم: نحن نعرفه إنه متنسك لا يسكن إلا خرائب الجبال، ولا يقيم إلا في أغوار الكهوف يعيش على بقل الصحراء، ويشرب من ماء العيون والآبار، لا همة له في الدنيا ولا رغبة له فيها، فقلت لهم إني في شوق إلى لقائه فأخذوني معهم، فلما كنا بصحراء بلخ استأذنتهم في لقائه فأذنوا لي، فجعلت أطلبه بين الجبال حتى وجدته، فلما دخلت عليه مغارته وجدته قائما يصلي وقد وضع غلا في عنقه وقيدا ثقيلا في قدميه، فلما فرغ من صلاته التفت إلي وقال: من الرجل؟ فقلت له: مالك بن دينار، فاغبر وجه وارتعدت مفاصله وقال مرحبا بك يا سيدي لعلك رأيت مناما لي، فتعجبت من قوله ومكاشفته وقلت: نعم يا سيدي رأيت لك رؤيا أحببت أن أطلعك عليها، فقال هكذا يا سيدي في كل عام. يرى لي رجل صالح مثل رؤياك فقصصتها عليه فلما فرغت منها نظرت إليه فإذا هو يبكي فقلت له يا سيدي هل لي أن أطلع من سرك على سبب هذه الجفوة من الله لك؟ فاشتد بكاءه وقال: «أنا أحدثك يا أخي فإن في ذلك راحة نفسي من همومها وأحزانها، إني كنت مسرفا على نفسي وكنت أشرب الخمر وحدث أن بكرت أول ليلة في رمضان فزجرتني أمي ونهرتني على معصية الله واشتد غضبها علي وتقريعها لي، فقمت إليها فصفعتها صفعة قوية فاضت روحها بعدها.

فلما رأيتها صريعة بين يدي عضني الندم وتملكني الأسف وأبغضت نفسي ولم أجد ميلا إلى الراحة والسكينة إلا أن أفزع إلى وحشة الجبال وظلمة الكهوف أضرع إلى الله فيها وأبتهل إليه أن يقيل عثرتي ويغفر زلتي، وفي كل عام أحج بيت الله وأقول والدموع تغرقني والعبرات تختقني: «اللهم يا مفرج الهم ويا كاشف

الغم فرج همي واكشف غمي وارض عني»، ثم أعود إلى منزلي فأعتق العبيد وأنفق الأموال، فعسى أن يكون ذلك كفارة لما وقع مني، ثم هاج به الدمع وأخذه البكاء فسكت عن الكلام، فلما سمعت منه قصته عبست في وجهه وقلت له لقد كدت تخرق الأرض ومن عليها بجريمتك هذه.

ثم قمت عنه وسألت عن المسجد الجامع فصليت فيه وقت إلى وردي فأديته ثم نمت على طهارة ولساني رطب بذكر الله، فرأيت رسول الله ﷺ في منامي تلك الليلة وهو يقول لي: **«يا مالك بن دينار لا تقنط عباد الله من رحمة الله فقد يطلع الله على المذنبين، فيغفر ذنوبهم ويرحم ضعفهم ويستجيب دعاهم»** فلما أصبحت رجعت إلى ابن هارون في مغارته فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ: فشهق شهقة ظننت أن قلبه تحطم فيها، ثم لازم البكاء حتى هزل جسمه واشتد مرضه وظل عليلا مدنفا حتى لقى الله، فكان أهل بلخ ولا سيما الصالحون منهم يسمونه شهيد أمه.

كان يفعل هذا بأبيه:

وقال الأصمعي خرجت يوما إلى البادية فرأيت رجلا كبيرا قد أضعفه الهرم وأثقل كاهله المشيب ولكن رأيت في عنقه حبلا ودلوا وهو ينزح من بئر عميقة والفصل صيف والجو قائظ حار، ورأيت خلفه شابا قويا يضربه إن توانى وينهره إن أبطأ، فأخذتني الشفقة عليه والرأفة بحاله، فأقبلت على الشاب وقلت له أو ما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف، أو ما يكفيه ما يعاني من ضعف وهزال في هذا الحر الشديد، فزجرني الشاب وقال لا شأن لك به فهو أبي وأصنع به ما أشاء فتعجب من أمره وقلت له إن هذا عذر أقبح من الذنب فلا جزاك الله عن والدك خيرا، فقال الشاب وقد أخذه الغضب لا تدع علي يا سيدي فإنه كان يفعل هذا بأبيه، فانصرفت عنه وأنا أقول في نفسي: إن لله في خلقه شئون، ثم واصلت رحلتي بين الأعراب حتى مررت على بستان نضير يانع الثمار متفتح الأزهار.

فقلت أوى إليه من لفحة الجو وطيب القيظ، فلما دخلته رأيت رجلا وإلى جانبه زنبيل نظيف مليء بقطن مندوف كأنه والله الحرير والديباج، ورأيت فوق هذا القطن شيخا كبيرا والرجل يطعمه بيده شهي الثمار وجنينها، فقلت له يا أخي يرحمك الله من يكون الشيخ؟ فقال إنه أبي وقد

تقدم به السن وطال به العمر وأنا أقوم على راحته بنفسي ولا أتركه لغيري، فقلت جزاك الله عن برك بوالدك أحسن الجزاء، ثم عدت من رحلتي هذه وقد رأيت أعق الناس وأبر الناس.

هذه زوجة على صواب:

قال محمد بن إسحاق: مرض رجل من جيراننا وكان يعيش مع زوجته وأولاده في منزله ولم يكن معه غيرهم من أهله، لأن أمه كانت تسكن بعيدا عنه، لما علمت أمه بمرضه جاءت إليه لتعوده وكان عنده طعام شهي وفاكهة وشراب فأرادت زوجته أن تكرم أمه بشيء مما عندها فأبى عليه الزوج ذلك وقال دعيها تخرج لشأنها.

فانصرفت أم الزوج وبعد قليل وصلت أم زوجته فهش لها وفرح بها وأمر زوجته أن تقدم لها أشهى وأغلى ما عندها من طعام وشراب ففعلت.

فلما مضت إلى سبيلها غضبت عليه زوجته وأنكرت عليه فعله وصممت على فراقه فاجتمع الناس عليهم وقالوا لها: إنك لا تفهمين ولا تعقلين إنه فعل ما فعل إرضاء لك وتقربا إلى قلبك وحبك، فقالت لهم الزوجة: إني أعلم ذلك ولكنني لا أنظر إلى اليوم وإنما أنظر إلى المستقبل فعما قليل يكبر سني ويتزوج ابني وسوف يفعل بي ما يفعل أبوه بأمه، فشكر الناس لها عقلها واعترفوا بفضلها وأنها كانت على صواب.

الابن الصالح:

ومن طريف ما يحفظه السلف الصالح أن ولدا بارا بأبيه كان صالحا وكان يبذل جهده لينال رضا الله ويكتسب محبة والده، وفي يوم من الأيام أعجبه بره بوالده واغتر بكثرة إحسانه إليه وجميل فضله عليه، فقال لأبيه يا أبتي إني أريد أن أصنع بك من البر والخير أضعاف ما فعلته في صغري من الجميل والإحسان، ووالله لا تطلب شيئا مهما كان عسيرا إلا يسرته لك أو بعيدا إلا قربته منك، وكان الوالد حكيما مجربا فما يشأ أن يصدمه في مشاعره، أو يجرح إحساسه ووجدانه.

فقال له يا بني لست أشتهي شيئا في هذه الحياة إلا رطلا من التفاح فأسرع الابن فأحضر له أرطالا ووضعها بين يديه وقال له خذ منها حاجتك أو خذها كلها فإذا فرغت من تناوله أحضرت لك أضعاف أضعافه فأنا على كل شيء قدير، فقال الأب العجوز إن في هذا القدر من التفاح كفاية لنفسي وسد لحاجتي، ولكن لا أريد أن آكله هنا ولا تطيب نفسي إلا بتناوله فوق قمة هذا الجبل، فاحملني إليه يا بني إن كنت بارا بي، فهش الابن لمطلبه وقال لك هذا يا أبي، ثم وضع التفاح في حجره وحمله على كتفه وصعد به أعلى الجبل وأجلسه في مكان هادئ مريح ووضع التفاح بين يديه وقال له خذ منه حاجتك فإن نفسي طيبة بذلك فجعل الوالد يأخذ التفاح من طبقه لا ليأكله ولكن ليرمي به في أدنى الجبل فإذا فرغ منه أمر ولده أن ينزل فيجمعه له ويعيده إليه في أعلى الجبل حيث هو جالس مستريح، وتكرر ذلك ثلاث مرات وكلما قذف به الأب يعيده الابن وفي المرة الرابعة نفذ صبر الولد وضاق صدره وكاد يفتك بأبيه لولا أن فطن أبوه إلى منظر الغضب في وجهه فروح عن نفسه وقال له: لا تغضب يا بني ففي نفس هذا المكان ومن فوق هذا الجبل كنت ترمي بكذانك فأنزل مسرعا لأعيدها إليك، ما أخذني الملل ولا أجهدني التعب حرصا على إرضائك وأنت صغير.

قطيعة الرحم تؤذي صاحبها في الدنيا:

ومما يدل على أن قطيعة الرحم تؤذي صاحبها في الدنيا والآخرة وأنها لا يشفه معها عمل صالح مهما كان كثيرا ما جاء في كتاب الزواجر لابن حجر، قال رحمه الله وأثابه: كان لرجل من أهل الكوفة مال كثير وكنوز وجواهر وفي سنة من السنين عزم على حج بيت الله الحرام فخاف على أمواله وجواهره سطو اللصوص وكان له صديق من الصالحين المعروفين بالإخلاص والتقى المشهورين بالعفة والصلاح فوقع عليه اختياره وأودعه كل أمواله ونفقاته ثم توجه قاصدا مكة ليؤدي فريضة الحج، فلما فرغ منها توجه إلى مدينة رسول الله ﷺ فقضى حق الزيارة ثم قفل راجعا إلى بلده وأراد أن يذهب إلى صديقه ليسترد منه وديعته وأمانته فقالوا له أنه قد مات فتوجه إلى أهله ليعزيهم فيه وليسألهم عن وديعته، فقالوا لا نعلم لك أمانة عندنا، فقال لقد دفعتها إلى أبيكم قبل أن أخرج إلى

الحج. فقالوا والله ما أعطانا شيئا ولا أوصانا بشيء ولا أطلعنا على سر من أسراره، فحزن الرجل على نفسه وتحسر على ضياع ماله ووقع في ورطة شديدة وتحير في أمره ماذا يفعل وجعل يطوف على علماء الكوفة ومجالسهم فقالوا له ما عندنا في ذلك علم ولا فقه فازداد همًا على هم وضاق صدره أكثر مما كان، وما زال في حيرة وارتباك حتى نصح له أحد العلماء العاملين أن يتوجه إلى علماء مكة فهم أهل حرم الله ولهم صلة قوية بالله، فلعله يجد عندهم من همه فرجا ومخرجا.

فتوجه إليهم يرجو بركتهم ويطلب معونتهم وعرض عليهم مشكلته، فقالوا له لا نعلم لك مخرجا إلا أن تمكث هنا حتى يأتي رجب الحرام تعبد الله وتطيعه وتكثر من ذكره وتسبيحه، فإذا جاء رجب فصم نهاره وقم ليله وأكثر من الذكر وتلاوة القرآن حتى إذا كانت الليلة السابعة والعشرون ليلة الإسراء والمعراج، فقم إلى وردك حتى يأتي وقت السحر فصلي صلاة الحاجة وعلموه دعاها وقالوا له تقل في السجدة الأخيرة من الركعة الثانية: «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك واسمك الأعظم وكلماتك التامة، إله العالمين يا مجيب دعوة المضطرين أنت أعلم بحاجتي فصل روحي بروح فلان بن فلانة وسم اسمه واسم أمه ثم اختم دعاك بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

فإن كانت وديعتك من مال حلال جمع الله روحك بروحه فسله عن وديعتك أين مكانها فإنه سيخبرك بها ويدل على مكانها، فإذا لم يجمع الله روحك بروحه تلك الليلة فاعلم أن روحه سجينة معذبة فكرر ذلك سبع مرات فإن الله يشفعك فيه، وإن كان من الصالحين جمع الله روحك بروحه في الليلة الأولى، ففعل الرجل كل ما أوصاه به علماء مكة ولم ير الرجل إلا بعد الليلة السابعة، فأيقن أنه من المعذبين، فلما التقى به سأله عن وديعته فأخبره عن مكانها، فلما اطمأن عليها سأله عن حاله فأخبره أنه معذب وأن روحه سجينة في نار جهنم، فقال له يا أخي وما سبب ذلك وقد كنت من عباد الله الصالحين، تكثر الصلاة والصيام والإنفاق، قال نعم يا أخي كل ما تقوله حق ولكن ما أغنى عني ذلك شيئا.

فقال له صاحبه ولماذا قال لأنه كان لي أخت فقيرة وكانت أرملة تعول

أيتاما. وكانت تذهب الأيام والأعوام أو تأتي فلا أرى وجهها ولا أصل رحمها ولا أعطف على أيتامها، فكانت تدعو علي فأحبط دعاؤها كل أعمالي الصالحة فلقيت الله بغير عمل صالح.

ثم غابت روحه عني فلما صحى الرجل من نومه حدث علماء مكة بما رآه من صاحبه وذكر لهم مصيره وأنه من أهل النار لأنه قاطع رحم فتراحموا عليه ورثوا لحاله وهنأوا الكوفي بقضاء حاجته وعودة وديعته فشكرهم وعاد إلى بلدته، وقابل أولاده وذكر لهم مكان الوديعة من الدار فمكنوه من أخذها وقال لأولاده صلوا عمتكم فإن أباكم قد دخل النار من أجل قطيعتها واستسمحوها في حقها عيه وأكثروا من الدعاء له والصدقة عليه، فعسى الله أن يشفعكم فيه ثم أخذ يحدث الناس بما رآه من حاله حتى لا يقطع أحد رحمه، ولا يجفو أقاربه وليعلم الناس أن صلة الرحم حقها عظيم.

عظمة النبي ﷺ في إجابة الضب وتسبيح الطعام.. وتسبيح الحصاء:

عن عمر أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا، فقال: من هذا؟ قالوا نبي الله. فقال الأعرابي: واللات والعزى لا أؤمن بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ.

فقال النبي ﷺ: **«يا ضب»** فأجابه بلسان واضح يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة. قال النبي ﷺ: **«من تعبد؟»** قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه. قال النبي ﷺ: **«فمن أنا؟»**.

قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك. فأسلم الأعرابي.

عن ابن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه ولما عرض النبي ﷺ أتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي ﷺ فسبحن.

وعن عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: **«لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله».**

وعن أنس رضي الله عنه صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال ﷺ: **«اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»**.

عظمة النبي ﷺ في شفاء أصحابه:

قال ابن إسحاق: حدثني هشام بن عروة وعمر بن عبد الله بن عروة عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم فصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ.

قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال، موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت، فقال: كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول:

قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه

قالت: فقلت والله ما يدري ما يقول عامر.. قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال:

اليت شعري أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر جليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال ﷺ: **«اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»** (رواه البخاري).

أمنية أم:

دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، وقد بلغت مائة

سنة ولم تقع لها سن ولا أبيض لها شعر قال لها: يا أماه كيف تجدينك؟؟ فأجابت أسماء: والله إني لباكية يا بني، فقال لها ابن الزبير: إن في الموت راحة.. فقالت له أسماء: لعلك تتمناه لي؟ فقال لها ابن الزبير: إنما أتمناه لراحتك.. فقالت أسماء: والله ما أحب أن أموت حتى أشهد إحدى أمنيتين: إما قتلت فأحتسبك، وإما ظفرت فتقر عيني بك.

ابن بار:

قيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه: أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك.. فأجاب علي: أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها.

عظمة البر:

قيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك بك؟ فأجاب بقوله: ما مشيت نهارا قط إلا مضى خلفي، ولا ليلا إلا مشى أمامي، ولا رقى سلما وأنا تحته.

هي أحسنت وهو أساء:

غضب أعرابي على ولده فقال له: أتعصاني وتشمخ بأنفك، يا ابن الأمة؟ فقال الولد: يا أبت هي والله خير لي.. فقال الأعرابي: وكيف يكون هذا، وهي أمة وأنا حر؟ فأجاب الولد: ذلك لأنها أحسنت إلي فولدتني من حر، وأنت أسأت إلي وأخطأت الاختيار فولدتني من أمة.

هكذا ينبغي أن تكون المرأة:

تزوج رجل سيئ الخلق امرأة فقال: أما أنا فسيئ الخلق، فإن كان بك صبر على المكروه، وإلا فلست أغرك من نفسي! فقالت: أسوأ خلقك منك من أحوجك إلى سوء الخلق، فتزوجها فما جرى بينهما وحشة حتى فرق بينهما الموت!

الطعام والمرأة.. متى يحمدان؟!

قال لقمان شيئان لا يحمدان إلا عند عاقبتهما: الطعام والمرأة، فالطعام لا يحمد حتى يستمرأ، والمرأة لا تحمد حتى تموت!

وهكذا تكون الأمهات!!

قال شريح: تزوجت امرأة صغيرة، فلما بنيت بها قالت: عرفني خلقك لأحسن مداراتك، فعرفتها فبقيت سنة معها يزداد شغفي بها، فلما كان بعد سنة، دخلت يوما فإذا عجوز قاعدة فسألتها عنها، فقالت: هي أمي، فدعت وقالت: كيف رضاك عن صاحبتك؟ فشكرتها، فقالت: أسوأ ما تكون المرأة خلقا إذا حظيت عند الزوج، وإذا ولدت، فإن رابك شيء فعليك بالسوط، فقلت: أشهد أنها ابنتك جزاك الله خيرا، لقد كفيتني الرياضة.

طلاق.. جميل:

طلق رجل امرأة فلما أرادت الارتحال عنه قال: اسمعي وليسمع من حضر: والله اعتمدتك برغبة، وعاشرتك بمحبة، ولم يوجد منك زلة، ولم يدخلني منك ملة، ولكن القضاء كان غالبا.

فقالت المرأة: جزيت من صاحب، ومصحوب خيرا، فما استريت خيرك[1]، ولا شكوت ضيرك[2] ولا تمنيت غيرك، ولم أرد إليك شرها، ولم أجد لك في الرجال شبها، وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حكمه ممتنع ثم افترقا!.



(١) ما شككت فيه.

(٢) ضيرك: ضررك.


المحبة والصداقة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال:٥٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج:٣٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء:١٠٧).

● عن أبي هريرة رضي الله عنه .. عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله[1] يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل.. وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل. ورجل قلبه معلق بالمساجد.. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه.. ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**» (متفق عليه) صدق رسول الله ﷺ.

● قال حكيم: الصديق الصدوق هو من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

● سئل حكيم: ما غاية الإخلاص في الصديق؟ قال: أن لا يحب محمدة الناس له.

● روى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى إذا أحب عبدا قال لجبريل: إني أحب فلانا فأحبه.. فيقول جبريل لأهل السماء: إن ربكم يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء فيوضع له القبول في الأرض.. وإذا أبغض الله عبدا فمثل ذلك**».

● روى شفيق بن إبراهيم الزاهد أن رجلا سأله فقال: إن الناس يسمونني صالحا فكيف أعلم أني صالح؟ أو غير صالح؟ فقال له: أظهر سرك عند أصحابك من الصالحين فإن رضوا به فاعلم أنك صالح وإلا فلا.. والثاني أعرض الدنيا على قلبك فإن ردها فاعلم أنك صالح وإلا فلا.. والثالث: أعرض الموت على نفسك فإن تمنيته فاعلم أنك صالح وإلا فلا.. فإذا اجتمعت فيك هذه الثلاثة فتضرع إلى الله تعالى لكيلا يدخل الرياء في عملك فيفسد عليك أعمالك.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» (رواه مسلم).

---

(١) في ظله: أي في كرامته وحمايته.

● وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا.. ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»** (رواه مسلم).

حب الصديق في الله تعالى.. هو حب الله عز وجل:

● عن أبي هريرة رضي الله عنه.. عن النبي ﷺ: **«أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها عليه؟ قال: لا.. غير أني أحببته في الله تعالى. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»** (رواه مسلم).

لا تصادق إلا المؤمن:

يقول رسول الله ﷺ: **«المؤمن كله منفعة، إن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وإن ماشيته نفعك فأمره كله منفعة»**.

● إذا كان رسول الله ﷺ قد أوصانا بمصاحبة المؤمن فإنه في نفس الوقت يحذرنا من مصاحبة غيره، لأن نتائج مصاحبته ستكون عكسية للنتائج.. يقول الحديث الشريف: **«ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إني مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»** (رواه مسلم).

● قال حكيم: لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك، ويستر عيبك فيكون معك في النوائب، ويؤثرك بالرغائب، وينشر حسنتك ويطوي سيئتك، فإن لم تجده، فلا تصحب إلا نفسك.

● قالوا: إذا أراد الصديق حسن معاشرة صديقه.. قال حكيم لابنه: يا بني إذا أردت حسن المعاشرة، فالق عدوك وصديقك بالطلاقة، ووجه الرضا والبشاشة.. وإذا جلست فلا تتكبر على أحد، وتحفظ من تشبيك أصابعك، ومن العبث بلحيتك، ومن اللعب بخاتمك، وتخليل أصابعك، وإدخال أصبعك في أنفسك، وكثرة بصاقك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة.. ثم يقول الحكيم ناصحا ابنه: وليكن مجلسك مع أصحابك مجلسا هادئا، وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى كلام مجالسك، فالمستمع الطيب هو مثل المتحدث

الطيب.. وإياك يا بني أن تلح في الحاجات.. ولا تشجع أحدا على الظلم.. ولا تهازل أمتك ولا عبدك، فيسقط وقارك عند أصحابك وعندهما.

● وعن قدرة الصديق: قال وهب بن منبه: صحبت الناس خمسين سنة، فما وجدت رجلا غفر لي زلة، ولا أقالني عثرة، ولا ستر لي عورة.

● قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: إذا كان العذر طبعا، فالثقة بكل أحد عجز.

● وقيل لبعضهم: ما الصديق؟ قال: اسم وضع على غير مسمى، وحيوان غير موجود.. قال الشاعر:

سمعنا بالصديق ولا نراه ... على التحقيق يوجد في الأنام

وأحسبه محالا نمقوه ... على وجه المجاز من الكلام

● قيل لبعض الولاة: كم لك من صديق؟ فقال: أما في حالة الولاية فكثير. قال الشاعر:

فما أكثر الأصدقاء حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل

● قال بعضهم:

خليلي جربت الزمان وأهله

فما نالني منهم سوى الهم والعنا

وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد

خليلا يوفي بالعهود ولا أنا

● قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق، فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك الصديق على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه.

. ثم يقول عن الصديق.. والغير صديق: اعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشي الله، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

● وقال علي رضي الله عنه:

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

● قال علقمة العطار في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة: يا بني.. إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن تعدت بك مؤنة مالك.. أصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها. أصحب يا بني من إذا سألته أعطاك، وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك.. اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتما آثرك.

● قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»** (رواه أبو داود).

● وقال ﷺ: **«مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يمسك من سواره أصابك من دخانه»** (رواه أبو داود).

● عن علي رضي الله عنه: أنه قال لولده الحسن رضي الله عنه: «يا بني.. خف ثلاثا: خف الله، وخف من لا يخاف الله وخف لسانك، فإنه عدوك على دينك، يؤمنك الله جميع ما خفته».

(معنى خف من لا يخاف الله.. أي خف من الذي لا يخاف الله سبحانه وتعالى لأنه لن يخشى الله فيك ولا في صداقتك).

● قال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئا في أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك.. والثالث فاهرب منه.

● يقول الشاعر:

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه

يقـاس المـرء بالمـرء إذا مـا المرء مـاشـاه

وللقلب على القلب دليل حين يلقـاه

وأخيرا ينصح رسول الله ﷺ صديقه بقوله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها.. وخالق الناس بخلق حسن» (الترمذي) صدق رسول الله ﷺ.

الصديق الودود:

قال رجل لابن السماك: أي الأصدقاء أحق ببقاء المودة؟ فأجاب: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد، إن دنوت منه أدناك وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.

متى يكون الصديق صديقا؟

قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، متى يكون الصديق صديقا؟ فقال علي: لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.

من هو الصديق؟

قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن فلانا رجل صدق.. فقال له عمر: سافرت معه؟ فأجاب الرجل: لا.. فقال له عمر: فكانت بينك وبينه خصومة؟ فأجاب الرجل: لا.. فقال له عمر: فهل ائتمنته على شيء..؟ فقال الرجل: لا.. فقال عمر: فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد.

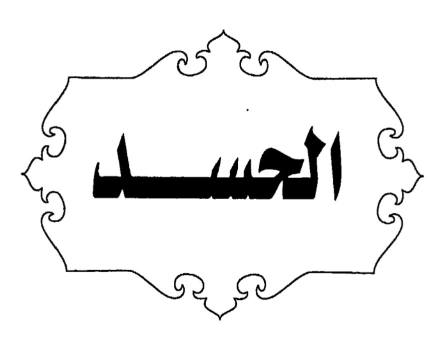
أعين لا تمسها النار:

قال ثابت بن سعيد لصديق له: ثلاث أعين لا تمسها النار.. فأجاب الصديق: زدني إيضاحا، فقال له ثابت: عين حرست في سبيل الله، وعين سهرت في كتاب الله، وعين بكت سواد الليل من خشية الله.

الصاحب المثالي:

استصحب بعض الملوك حكيما فقال له الملك: أصحبك على ثلاث خصال: فقال الحكيم: وما هن؟ فأجاب عليه الملك بقوله: لا تهتك لي سرا، ولا تشتم لي عرضا، ولا تقبل في قول قائل حتى تستشيرني.. فقال له الحكيم: هذا لك، فماذا لي عليك.. فقال له الملك: لا أفشي لك سرا، ولا أدخر عنك نصيحة، ولا أوثر عليك أحد.




الحسد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء:٥٤).

● الحسد من نتائج الحقد.. والحقد من نتائج الغضب.. وللحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى.. وقد ورد في ذم الحسد أخبار كثيرة.

● قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال ﷺ الكثير والكثير في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته:

● كقوله ﷺ: «ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»

(متفق عليه)

● وقوله ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهن أحد، الظن، والطيرة والحسد.. وسآخذكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ».

● وقوله ﷺ: «وكاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحسد أن يغلب القدر».

● وقوله ﷺ: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك».

● وقال زكريا ﷺ: قال الله تعالى: «الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راضي بقسمتي التي قسمت بين عبادي».

● وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون».

● وقال ﷺ: «واستعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»

(رواه الطبراني)

● وعن ابن عمر قال: قال ﷺ: «وستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة، قيل يا رسول الله من هم؟ قال: الأمراء بالجور، والقرب بالعصبية، والدهاقين بالتكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد».

● قيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك؟ قال: لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد، وشريكي في الصناعة. فذكر جميع دواعي الحسد.

● وقال أعرابي: الحسد منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود.

● وقال الفقيه: أبو الليث السمرقندي: يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود، أولاها: غم لا ينقطع، الثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، الثالثة: مذمة لا يحمد عليها، الرابعة: سخط الرب، الخامسة: يغلق عنه باب التوفيق.

● يقولون: قال عمر رضي الله عنه: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

● قال مالك بن دينار: شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض، فإنهم أشد تحاسد من التيوس.

● قال منصور الفقيه:

أيا حاسدا لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب

فأخزاك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

● قال الأصمعي: رأيت أعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة.. فقلت له ما أطول عمرك فقال: تركت الحسد فبقيت.

● قال ابن مسعود رضي الله عنه: ألا تعادوا نعم الله، قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال الذين يحسدون الناس على ما أتاهم من فضله.

● قال إبراهيم بن عروة لعبد الله بن عروة: لم لزمت البدو وتركت قومك؟ فقال: وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة؟

● وقال الشاعر:

يا طالب العيش في أمن وفي دعة

رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق

خلص فؤادك من غل ومن حسد

فالغل في القلوب قبل الغل في العنق

(الرنق: رفق رفقا ورونقا ورنيق: رنق الماء أي كدر الماء، الغل: القيد).

● وفي نوابغ الحكم: الحسد حسك، ومن تعلق به هلك.

● قال الشاعر:

إني حسدت مراد الله في جسدي

لا عاش من عاش يوما غير محسود

● كان عمر رضي الله عنه يقول: نعوذ بالله من قدر وافق إرادة حاسد.

● قال نصر بن سيار:

إني نشأت وحسادي ذوو أعدد

يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

إن يحسدون على ما بي لما بهم

فمثل ما بي مما يجلب الحسدا

● قيل لأرسطاطليس: ما بال الحسود أشد غما. قال: لأنه أخذ بنصيبه من غموم الدنيا.. ويضاف إلى ذلك غمه لسرور الناس.

● وقال الشاعر:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

● روى عن معاوية أنه قال لابنه: يا بني إياك والحسد فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في عدوك.

● روى عن الأحنف بن قيس أنه قال: لا راحة لحسود ولا وفاء لبخيل ولا صديق لمولى ولا مروءة لكذوب ولا رأي لخائن ولا سؤدد لسيء الخلق.

● قال حكيم: ما رأيت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد.

● قال محمد بن سيرين: ما حسدت أحدا على شيء من الدنيا.. فإن كان من أهل الجنة.. فكيف أحسده وهو سائر إلى الجنة، وإن كان من أهل النار.. فكيف أحسده وهو سائر إلى النار.

● قال الفقيه رضي الله عنه: ثلاث لا تستجاب دعواتهم: آكل الحرام.. ومكثار الغيبة.. ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين.

● روى ابن شهاب عن أبيه عن النبي ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين.. رجل آتاه الله تعالى القرآن الكريم وهو يقوم به آناء الليل والنهار.. ورجل آتاه الله تعالى مالا وهو ينفق منه آناء الليل والنهار».**

● قال حكيم: الحاسد يضاد حكم الله تعالى.

● وقال آخر: الواجب على كل مسلم أن يخرج الغل والحسد من قلبه وإن ذلك من أفضل الأعمال.

● قال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى.

● قال أعرابي: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه.

● وقال أحدهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا.. ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال من الخلق إلا جوعا وغما.. ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا.. ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا.

● قال حكيم في علاج مرض الحسد: الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب.. ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل.. والعلم النافع لمرض الحسد هو أن يعرف الحاسد أن الحسد ضرر عليه في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيها.

● عن أنس بن مالك قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: **«يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار ينظف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى.. فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على حال حاله الأولى»**، فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو -تبع الرجل- فقال إني لاقيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا.. فإن رأيت أن تؤويني إليك حين تمضي فعلت: قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث ليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا، غير أنه إذا تقلب في فراشه ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالي الثلاث، وكدت أحتقر عمله.. قلت يا عبد الله: لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله يقول لك -ثلاث مرات- يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الآن الثلاث مرات فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل!!!

فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟

قال: ما هو إلا ما رأيت.

قال عبد الله: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه[1].

● قال معاوية: كل الناس يمكنني أن أرضيه إلا الحاسد فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتي.

● قيل لحكيم: أي عدو لا تحب أن يعود صديقا قال: الحاسد الذي لا يرده إلى مودتي إلا زوال نعمتي.

● قال حكيم: الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل.

● وقال علي: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له.

● قيل لأيوب عليه السلام: أي شيء كان عليك في بلائك أشد. قال شماتة الأعداء.

● قال الشاعر:

كل المصائب قد تمر على الفتى
فتهون غير شماتة الأعداء

لأنه ترك الحسد:

قال الأصمعي لأعرابي جاوز المائة: ما أطول عمرك يا أعرابي؟ فرد عليه الأعرابي بقوله: قد تركت الحسد فبقيت.

---

(١) رواه أحمد، وفي رواية: ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي.. إلا أني لم أبيت ضاغنا على مسلم (رواه البزار).

الحسد:

جيء للمأمون بأعرابي وجب عليه الحد، فأمر بضربه.. فقال الأعرابي: كفى يا أمير المؤمنين لقد قتلتني.. فقال له المأمون: إنما قتلك الحق الذي قاتلته.. فقال له الأعرابي: ارحمني فإن الرحمة فوق العدل.. فنظر إليه المأمون وقال: لست أنا والله بأرحم ممن أوجب عليك الحد.

من أقوالهم عن الحسد:

قال معاوية بن أبي سفيان: «كل إنسان أقدر أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها».

وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ: «ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، غم دائم ونفس متتابع».

وقال ابن عباس: «الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى مصيبة شمت».

وقال ابن مسعود: «من علامات الحسود أن يتملق الرجل إذا حضر، ويغتابه إذا غاب، ويشمت بالمصيبة إذا نزلت».

وقال أبو عياش الكاتب: «ستة لا تخطئهم الكآبة: فقير حديث عهد بغنى، ومكثر يخاف على ماله التلف، والحسود، والحقود، وطالب مرتبة فوق قدره، وخليط أهل أدب غير أديب».

قال حكيم عربي لأولاده: «إياكم والحسد فإنه يبين فيكم مالا يبين على عدوكم».




الإحسان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣).

قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء:٧).

قال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء**». قالوا: يا رسول الله وما الغرباء؟ قال ﷺ: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإن قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**» (رواه مسلم).

... عن عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». قال: فأخبرني عن الساعة. قال ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبرني عن أمارتها. قال ﷺ: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**». قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي ﷺ: «**يا عمر أتدري من السائل؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

ومعنى: تلد الأمة ربتها: أي سيدتها، ومعناه أن تكثر السراري حتى تلد الأمة البشرية بنتها لسيدها وبنت السيد في معنى السيد. والعالة: الفقراء، وقوله مليا: أي زمنا طويلا.

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان، سنن الترمذي – كتاب الإيمان، سنن النسائي – سنن أبي داود، مسند أحمد، (والرواية هنا لمسلم).

قال ﷺ: «الإسلام علانية والإيمان في القلب» (أبو يعلى).

قال الشاعر:

خذ العفو عن جاهل قد بغى
عليك تفز بالمقام الآمن

والعرف فأمر وكن محسنا
وواصل وأعرض عن الجاهلين

ومن مظاهر الإحسان:

لما فعل المشركون بالنبي ﷺ ما فعلوا يوم أحد من قتل عمه والتمثيل به، ومن كسر رباعيته، وشج وجهه طلب إليه أحد الأصحاب أن يدعو على المشركين الظالمين.. إلا أن رسول الله ﷺ قال متسامحا: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

أغاظ أحد السلف غلام له غيظا شديدا، فهم بالانتقام منه، فقال الغلام: والكاظمين الغيظ، فقال الرجل: كظمت غيظي، فقال الغلام: والعافين عن الناس، فقال: عفوت عنك، فقال الغلام: والله يحب المحسنين، فقال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

قال عمر بن عبد العزيز يوما لجاريته: روحيني حتى أنام. فروحته فنام، وغلبها النوم فنامت فلما انتبه أخذ المروحة يروحها.. فلما انتبهت ورأته يروحها صاحت فقال: إنما أنت بشر مثلي أصابك من الحر ما أصابني. فأحببت أن أروحك كما روحتني.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان في غير موضع من كتابه الكريم إذ قال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل:٩٠)، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣)، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

قال رسول الله «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

عن الإحسان في العبادات والمعاملات:

قال حكيم: الإحسان في العبادات أيا كان نوعها من صلاة أو صيام أو حج أو غيرها أراه صحيحا باستكمال شروطها وأركانها واستيفاء سننها وآدابها.

أما الإحسان في باب المعاملات فهو للوالدين ببرهما الذي هو طاعتهما، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما.

والإحسان للأقارب برهم ورحمتهم، والعطف عليهم وفعل ما يجمل فعله معهم وترك ما يسيء إليهم.

والإحسان إلى اليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم وتأديبهم وترك أذاهم، وعدم قهرهم، وبالبش في وجوههم والمسح على رؤوسهم.

والإحسان على المساكين بسد جوعتهم، وستر عورتهم بالحث على إطعامهم وعدم المساس بكرامتهم فلا يحتقرون ولا يزدرون، ولا ينالون بسوء أو يمسون بمكروه.

والإحسان لابن السبيل بقضاء حاجته وسد خلته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته.

والإحسان للحيوان بإطعامه إن جاع ومداواته إن مرض وبعدم تكليفه ما لا يطيق، وحمله على ما يقدر.. وبالرفق به إن عمل وإراحته إن تعب.

المحسن الخائف أعقل الناس:

دخل المنصور بن عمار رحمه الله على عبد الملك بن مروان. فقال له عبد الملك: يا منصور سألت مسألة وقد أمهلتك سنة كاملة. من أعقل الناس؟ ومن أجهل الناس؟

فخرج المنصور بن عامر ليذهب. فإذا الجواب قد حضره فرجع إلى عبد الملك. فقال له عبد الملك يا منصور ما الذي ردك إلينا؟ قال: يا أمير المؤمنين، أعقل الناس محسن خائف وأجهل الناس مسيء آمن فبكى أمير المؤمنين حتى بل ثيابه بدموعه ثم قال: أحسنت والله يا منصور ثم قال له: اقرأ علي شيئا من كتاب

الله فهو الشفاء لما في الصدور. وهو الدواء والنور. فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران:٣٠). فقال عبد الملك قتلني يا منصور.

ثم أغمي عليه، فلما أفاق قال له: يا منصور. ما معنى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ قال: عقوبته يا أمير المؤمنين فبكى عبد الملك ثم قال: يا منصور وما معنى ﴿رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال: رحيم غفار لمن تاب وأناب قال: وما معنى ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾ قال: كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة لم يغفر الله منها شيئا فبكى عبد الملك ثم قال: إن والله من فكر في هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضل ضلالا بعيدا.

ما أجمل الصفح الجميل:

أخرج الواقدي من طريق سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ منصرفا من الجعرانة، فاطلع هبار بن الأسود، من باب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هبار بن الأسود، قال: قد رأيته، فأراد رجلا من القوم أن يقوم إليه، فأشار إليه النبي ﷺ أن أجلس، فوقف هبار فقال السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله .. ولقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك فكنا يا نبي الله أهل شرك، فهدانا الله بك، وأنقذنا من الهلكة، فاصفح عن جهلي، وعما كان يبلغك عني، فإني مقر بسوء فعلي، معترف بذنبي، فقال رسول الله ﷺ: «قد عفوت عنك وقد أحسن الله إليك حيث هداك إلى الإسلام والإسلام يجب ما قبله».

ليتها ما كانت بيدك:

عن محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه قال: توجهت إلى مسجد رسول الله ﷺ فرأيت رجلا من قريش عليه حلة فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين، قال: فدخل المسجد فرفع بالتكبير فقال: الله أكبر صدق الله ورسوله. الله أكبر صدق الله ورسوله. قال: فسمع عمر رضي الله عنه صوته فبعث إليه أن ائتني به فقال:

حتى أصلي ركعتين. فرد عليه رسول عمر يعزم عليه بالذهاب إلى عمر فقال: محمد بن مسلمة وأنا أعزم على نفسي أن لا آتيه حتى أصلي ركعتين فدخل في الصلاة وجاء عمر رضي الله عنه فقعد إلى جنبه فلما قضى صلاته قال: أخبرني عن رفعك صوتك في مصلى رسول الله ﷺ بالتكبير وقولك صدق الله ورسوله. ما هذا؟

قال: يا أمير المؤمنين؛ أقبلت أريد المسجد فاستقبلني فلان بن فلان القرشي عليه حلة قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان القرشي عليه حلة قلت من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان الأنصاري عليه حلة دون الحلتين فقلت من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين وأن رسول الله ﷺ قال: «**اما أنكم سترون بعدي اثرة**»، وإني لم أحب أن تكون على يديك يا أمير المؤمنين قال: فبكى عمر رضي الله عنه قال: أستغفر الله ولا أعود. قال: فما رؤي بعد ذلك اليوم فضل رجلا من قريش على رجل من الأنصار.

ها هم خلفاؤك يا رسول الله:

كان أبو بكر يلبس عباءة ممزقة، قد خلها في صدره بخلال فهبط على رسول الله ﷺ جبريل، فقال: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر وعليه عباءة قد خلها بخلال؟ قال يا جبريل، أنفق ماله قبل الفتح، فقال: يا محمد، إن الله تعالى يقول لك اقرأ على أبي بكر الصديق السلام، وقل له أراضي أنت عني يا أبا بكر في فقرك هذا، أم ساخط؟ قال له النبي ذلك، فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله أأسخط على ربي؟ وأنا عن ربي راض وكررها ثلاثًا.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يتعهد عجوزًا عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها. فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة كيلا يسبق إليه. فرصد عمر من يأتي: فإذا هو أبو بكر -وهو يومئذ خليفة- فقال عمر: أنت هو لعمري؟ وبكى الاثنان، بل المتسابقان.

ودخلت فاطمة امرأة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، وهو في مصلاه،

تسيل دموعه على لحيته فقالت: يا أمير المؤمنين أتبكي لشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إني تقلدت من أمر أمة محمد ﷺ أسودها وأحمرها فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي سائلي عنهم يوم القيامة، فخشيت أن لا تثبت لي حجة.

من أين هذا الأدب؟

الأصمعي: من أدّبك كل هذا الأدب؟

ابن المقفع: نفسي.

الأصمعي: يا ابن المقفع أيؤدب الإنسان نفسه بغير مؤدب؟؟

ابن المقفع: وكيف لا؟ فكنت إذا رأيت في غيري حسنا أتيته وإن رأيت قبحا أبيته، وبهذا وحده أدبت نفسي.

القلب واللسان:

قال سيد للقمان النوبي الحكيم بن عنقاء بن بروق من أهل إيلة: خذ الشاة واذبحها، وأعطني أخبث ما فيها.. فذبحها وقال له لقمان هذان هما أخبث ما فيها.. فقال له السيد: القلب واللسان..؟ فأجاب لقمان: نعم يا سيدي.. فقال: السيد: خذ شاة أخرى واذبحها وأعطني أطيب ما فيها فذبحها لقمان وقال له: هذان أطيب ما فيها.. فقال السيد: القلب واللسان؟ كيف ذلك؟ فأجاب لقمان: يا سيدي لا أخبث منهما إذا خبثا، ولا أطيب منهما إذا طابا.

قناعة الحاكم:

كان علي بن أبي رافع أمينا على بيت المال، وفيه عقد لؤلؤ، فقالت له بنت أمير المؤمنين، أعرني هذا العقد لأتجمل به يوم عيد الأضحى، وأرده بعد ثلاثة أيام. فأعارها. وقال لها أبوها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، من أين لك هذا؟ فقالت ابنته: قد استعرته يا أبت لثلاثة أيام من علي بن أبي رافع لأتجمل به في عيد الأضحى.. فقال علي: يا أبا رافع أتخون المسلمين؟ فقال علي بن أبي رافع:

معاذ الله يا أمير المؤمنين، فقد أعرت ابنتك العقد لتتجمل به يوم الأضحى، وسترده بعد ثلاثة أيام.. فقال له علي ابن أبي طالب: رد العقد من غيرك، وإياك والعودة لمثل هذا ووالله لو أنها أخذت العقد على غير عارية مضمونة لكانت أول هاشمية قطعت يدها في سرقة.

ثم قالت بنت علي: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك فمن أحق بالتجمل بالعقد مني؟ فقال علي بن أبي طالب: يا بنت ابن أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحق، أكل نساء المهاجرين والأنصار يتجملن في مثل هذا العيد بمثل هذا العقد؟

الشيخ والدابة:

كان أبو الأسود الدؤلي قد وصلت به السن إلى الشيخوخة، وكان مع ذلك يركب الدابة إلى السوق وإلى المسجد وإلى أصدقائه يزورهم، فقال له أعرابي: يا أبا الأسود مالك تقاوم الطبيعة وتغالب الأمر الواقع وتخرج إلى السوق وإلى المسجد وتطوف بأصدقائك وأنت شيخ كبير، ولو لزمت البيت لاتقيت الكثير.. فقال أبو الأسود: صدقت، ولكن هل نسيت أن الحركة بالذات تقوي الأعصاب، وأن الركوب يشد أعضائي، وألقى إخواني وأصدقائي، ولو قبعت في بيتي لبرم بي أهلي وعشيرتي، وأنس بي الصبي وحده، واجترأ عليّ الخادم، واقتحم عليّ باب الكلام والجدل من أهلي من كان يهابني ويخشاني، وأكثر من ذلك حتى ولو بالت عليّ العنزة ما تحرك من يهشها ولا أهتم بها من يطاردها.. فقال الأعرابي: كفى كفى يا أبا الأسود فقد أفحمتني.


الرياء.. والنفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى مخبرا عن المنافقين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾
(النساء،١٤٢)

قال رسول الله ﷺ: **«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»**، فقيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: **«الرياء»** قال قتادة: إذا راءى العبد يقول الله: **«انظروا إلى عبدي كيف يهزأ بي»**.

روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطاطئ رقبته فقال: يا صاحب الرقبة.. ارفع رقبتك.. ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.

وقال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلابد من قلوب المؤمنين أن تعرفه.

قيل أن أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت أنت لو كان هذا بيتك؟

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات.. يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس.. ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص إذا ذم.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن ناسا قالوا له: إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم! قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ (رواه البخاري).

قال الله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء،١٤٢).

عن جندب بن عبد الله بن سفيان رضي الله عنه قال النبي ﷺ: **«من سمع، سمع الله به، ومن يرائي الله يرائي به»** (متفق عليه رواه مسلم).

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه، قال ﷺ: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»** (رواه مسلم).

قال ﷺ: **«إن الرياء الشرك الأصغر»** (رواه أحمد والحاكم)، **«الرياء يحبط العمل كما يحبطه الشرك»** (رواه الربيع)، **«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة مثله، ثم تلهب فيه النار»** (رواه أحمد).

عن ابن عباس: قال رجل: يا رسول الله إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله حتى نزلت ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف:١١٠).

قال رسول الله ﷺ حين سأله رجل فقال: يا رسول الله فيم النجاة. قال ﷺ: **«أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس»**.

قال أبو هريرة في حديث الثلاثة: المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله: أن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم: كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد.. كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع، كذبت بل أردت أن يقال: فلان قارئ.. فأخبر رسول الله ﷺ أنهم لم يثابوا وإن رياءهم هو الذي أحبط عملهم.

قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل: **«من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»** (أخرجه مالك)، والرياء هو الشرك الأصغر.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٢،٣).

قال رسول الله ﷺ: **«إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»**.
(أخرجه أبو يعلى)

قال رسول الله ﷺ: **«ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب، ويل له، ويل له»** (رواه الترمذي).

وقال ﷺ: **«يطبع المؤمن على الخلال كلها، إلا الخيانة والكذب»** (رواه أحمد).

عن جابر بن زيد أن رجلا قال لحذيفة: يا أبا عبد الله: ما النفاق؟ فقال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به.

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال ﷺ: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»** (متفق عليه).

وقال ﷺ: **«من أغتيب عنده أخوه المسلم، فلم ينصره، وهو يستطيع نصره، أذله الله في الدنيا والآخرة»** (رواه البغوي وابن بابويه).

«من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة» (البيهقي).

قال حكيم: لكل شيء حلية.. وحلية الكلام الصدق وعدم النفاق.

وقال حكيم: يعرف المؤمن بعدم نفاقه.. وبوقاره.. وعدم رياءه.. وصدق حديثه.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التحريم٩).

ثوب الرياء عاري دائما:

من الذين عرفوا بالرياء في أعمالهم وطلبوا الشهرة وأنشدوا حب الظهور: بلال بن أبي بردة، حفيد سيدنا أبي موسى الأشعري. قالوا أنه دخل العراق يوما وجاء إلى مسجد الكوفة فصلى فيه، فلما فرغ من صلاته سأله رجل من أهل الكوفة، من أنت يا هذا؟ فأجاب: بلال بن أبي بردة حفيد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، فقال له الرجل مرحبا بك فنعم النسب فمنذ كم جئت العراق.

فقال بلال منذ شهرين وأنا مع ذلك صائم منذ عشرين سنة، فقال له الكوفي يا أخي سألتك عن شيء واحد فأجبتني عن شيئين فأي علاقة بين مجيئك وصيامك؟ فخجل بلال من قوله وقال له قاتل الله الشيطان يا أخي إنه لا يترك الإنسان منا حتى في كلامه، ولم يعظ بلال بن أبي بردة بعثرته تلك حتى عثر قبل أن يخرج من العراق عثرة أخرى دفع فيها الثمن غاليا، وكان ذلك بسبب مراءاته في عبادته وعدم إخلاصه لله، قالوا أنه لما جاء إلى العراق كان يبتغي إمارة يقوم على إدارتها ويعمل أميرا عليها، معتمدا في ذلك على حسبه ونسبه

وأنه من شريعة العباسيين، ولكي ينال ثقة الخليفة ويستحوذ على حبه وقلبه ويظفر بتقديره واحترامه تظاهر بالصلاح والتقى وأكثر من الطاعة والعبادة حتى شارع ذلك عنه وأحبه الخليفة فعلا وعزم على أن يوليه إمارة من الإمارات.

وقبل أن يصدر الخليفة أمر بذلك استشار جلساءه وخاصته في شأن توليته ليعرف رأيهم فيه، فقال أحدهم يا أمير المؤمنين لا تغتر به فإنه مراء وإنه يفعل ما يفعله من العبادة خداعا لك وإن شئت أقمت لك الدليل على ما أقول فقال له الخليفة وما ذاك؟ فقال سوف آتيك بالنبأ اليقين فأملهني أياما، ثم انصرف عن مجلسه وبحث عن بلال فصاحبه وأظهر له الود والحب حتى أنست نفسه به واطمأن قلبه إليه وأصبح بلال لا يطيق بعده عنه ولا يصبر على فراقه إياه.

ومكث الرجل على ذلك حينا من الزمن إلى أن دخل عليه يوما وهو يصلي وكان من عادة بلال أن يطيل في صلاته، فلما دخل عليه صاحبه قال له أقصر من صلاتك فإن لي إليك حاجة تهمك وتطيب بها نفسك، فخفف بلال صلاته وأقبل على صاحبه يستبينه الأمر، فقال له صاحبه كم تعطيني من المال إن اشتريت بشيء يسر به قلبك وينشرح له صدرك؟ فقال بلال يا أخي إن عطائي لك مرهون بقيمة البشرى، فقال له صاحبه المجنون اسمك الليلة في مجلس شهريار وهو يريد أن يوليك الإشارة، فتهلل وجه بلال من شدة الفرح وقال يا أخي إن كان ذلك حقا فلك عندي ألف دينار عاجلة ونصف خراج هذه الولاية آجلا، فقال إن الشيطان لا يترك أديما صحيحا وإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن لا تثبت على حال فاكتب لي بهذا صكا يكون حجة لي عليك إذا تقلدت إمارتك. فكتب له بلال بخطه كتابا وأثبت فيه قيمة الجائزة التي وعد بها ووقع على هذا الكتاب بخطه ثم دفعه إليه، فأخذه الرجل ودخل به على الخليفة فتعجب من ذكائه.

النفـــاق:

كان الحرث بن عبد الله معروفا بالإسراف حتى لقبوه بالنفاق، فقال له أحد إخوانه ألم تعلم أن الحياة لا تدوم على حال واحدة من الغنى والفقر أو الصحة والمرض وأن الغنى والصحة أفضل من الفقر والمرض؟.. فقال له الحرث: بلى

ولكني أومن ببعض وأكفر ببعض.. فأجاب الصديق: ولا تذكر ولدك ومستقبله بعدك وأنت مغمور في إسرافك مغرور بمالك فقال الحرث: أما في هذه الناحية وهي التي لا أومن بها فإني والله لأستحيي منه أن أدع لولدي ثقة غيره والاعتماد على غير قدرته ومشيئته.

لا يوجد بخيل بدون مال:

قال الجاحظ للحزامي:

الجاحظ: قد رضيت بقول الناس عبد الله بخيل.

الحزامي: لا أعدمني الله هذا الأسم.

الجاحظ: كيف؟؟

الحزامي: لأنه لا يقال فلان بخيل ألا وهو ذا مال.. فسلم لي المال وادعني بأي اسم شئت.

الجاحظ: ولا يقال سخي إلا وهو ذو مال. فقد جمع هذا الاسم المال والحمد، وجمع هذا الاسم المال والذم.

الحزامي: بينهما فرق.

الجاحظ: هاته.

الحزامي: في قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكه، وفي قولهم: سخي إخبار عن خروج المال عن ملكه، واسم البخل اسم فيه حزم وذم، واسم السخاء اسم فيه تضييع وحمد، والمال (راهن) نافع ومكرم لأهله معز، والحمد ريح وسخرية واستماعة ضعف (وعسولة) وما أقل الثناء والحمد عنه إذا جاع بطنه وضاع عياله وشمت عدوه.

عادة الإسراف:

كان عبد الله بن جعفر كريما إلى حد الإسراف فقال له معاوية: يا عبد الله.. إلى متى هذا الإسراف والإفراط والأيام مقبلة مدبرة..؟ فأجاب عبد الله بقوله: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى عودني عادة وعودت عباده عادة فأخشى أن قطعت عادتي عن عباده أن يقطع عادته عني.

نفـــــاق:

جلس اثنان من أهل القلوب فتذاكرا وتجاذبا الحديث فترة من الزمن فقال أحدهما للآخر:

الأول: إني لأرجو ألا نكون جلسنا مجلسا أكثر بركة من هذا المجلس.

الآخر: ولكني أخاف ألا نكون جلسنا مجلسا أضر علينا منه.

الأول: ولم نأكل لحم أحد ولم نغتب أحدا؟

الآخر: ذلك لأنك قصدت إلى أحسن حديثك فحدثتني به وقصدت أنا إلى أحسن حديثي فحدثتك به فتزينت لي وتزينت لك، وهذا هو الرياء بعينه والنفاق بذاته.

لكان ذلك كافيا:

لقى هارون الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف وسأله: كيف حالك؟ فأجاب الكسائي: أنا بخير يا أمير المؤمنين، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافيا محتسبا.

إياك وأهل النفاق:

كتب عبد الله العمري إلى هارون الرشيد مرة يقول له: (الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين الذي لا يخذل من أطاعه ولا يكرم عليه أحد عصاه. يا أمير المؤمنين هذا داعي القرآن يسمعك يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)، فلا استقامة إلا على طريق نجاة فاحفظ وصية الله وارج ثوابه وخف عقابه وتواضع له بحسن الاستماع من رعيتك واعلم أنك عبد قد بليت برعاية أمم لا تحصى قد خفرت أمانتها وتفرقت أهواؤها واختلفت في دينها. فأمرهم مريج وبأسهم بينهم شديد، وليتهم لإحدى اثنتين: إما أديت أمانتهم وعطفتهم على ربهم فعلم الله بك جاهلهم وذكر بك ناسيهم وجدد بك العدل وأحيا بك الحق فكنت بذلك من المصلحين ونلت به من الله عز وجل ثواب القائمين بالقسط وإما خفرت أمانة الله عز وجل ونقضت عهده وزدت المفسدين فسادا وظلمت اليتيم حقه ومنعت المسكين نصيبه وحكمت في عباد الله بغير ما أنزل الله استكبارا وعلوا

على المستضعفين والله لا يحب المستكبرين. والإمام العادل كالوالد في بره يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا ويجمع لهم حياته ويدخل لهم مماته ويؤثرهم على نفسه، والإمام العادل خليفة المرسلين والقائم بين الله وبين عباده لا تكن كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله فعطل الضيعة وبذر المال وشرد العيال وأفقر أهله وأهلك ماله، ولا يغرنك المداحون الزور ولا تولين قريبا لقرابته ولا صديقا لصداقته ولا تحابين في دين الله عز وجل فيحاجك الدين غدا عند الله عز وجل. إني لم آلك نصيحة وعليك شفقة فأنزل كلامي بمنزلة المداوي جرحه ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٨١).




الفقر والغنى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف:٤٦).

في الفقر ومدحه:

● قد دل قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ (العلق:٦،٧) على ذم الغني إن كان سببا في الطغيان.

● سئل أبو حنيفة رحمه الله تعالى عن الغنى والفقر فقال: وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل إلا بالغنى.. وتلا هذه الآية المتقدمة: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾.

● قال جليس للحسن: أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء؟ فقال: هل تغديت اليوم؟ قال: نعم. قال: فهل عندك ما تتعشى به؟ قال: نعم. قال: فإذا أنت من الأغنياء.

● قال ابن عباس: كان النبي ﷺ يبيت جائعا ليالي ما له وما لأهله عشاء، وكان عامة طعامه الشعير، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، وكان ﷺ يأكل خبز الشعير غير منخول، هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن يقبلها، صلوات الله وسلامه عليه.. وكان ﷺ يقول: «اللهم توفني فقيرا ولا تتوفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين».

● وفي الخبر: إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لملائكته: «**أدنوا إلي أحبائي.. فتقول الملائكة: ومن أحباؤك يا إله العالمين؟ فيقول: فقراء المؤمنين أحبائي، فيدنوهم منه فيقول: يا عبادي الصالحين إني ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم علي، ولكن لكرامتكم، تمتعوا بالنظر إلي وتمنوا ما شئتم. فيقولون: وعزتك وجلالك لقد أحسنت إلينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا. فيأمر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون إلى أعلى مراتب الجنان**».

● وقال بعضهم: وكان من دعاء السلف رضي الله عنهم «**اللهم إنا نعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى**».

● قال ﷺ: «هل تنصرون إلا بفقرائكم وضعفائكم، والذي نفسي بيده ليدخلن الفقراء الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والأغنياء يحاسبون على زكاتهم».

● روى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال: كان حبوة بن شريح من البكائين.. وكان ضيق الحال جدا، فجلست إليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو، فقلت له: يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك في معيشتك. قال: فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحد، فأخذ حصاة من الأرض، وقال: اللهم اجعلها ذهبا.. فإذا هي تبرة في كفه ما رأيت أحسن منها.. قال: فرمى بها إلي، وقال: هو أعلم بما يصلح عباده، فقلت: ما أصنع بهذه؟ قال: أنفقها على عيالك، فهبت والله أن أردها عليه.

● وقيل: مكتوب على باب مدينة الرقة[1] «ويل لمن جمع المال من غير حقه، وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده، وقدم على من لا يعذره».

● قال الشاعر:

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد

لكل غد رزق من الله وارد

● يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان يقول لن ينجو الغني من إحدى ثلاث، إما أن أزينه في عينه فيمنعه من حقه وإما أن أسهل عليه سبيله فينفقه في غير حقه، وإما أن أحببه في قلبه فيكسبه بغير حقه».

● روى عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم من أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فأكثر ماله وولده».

● وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الآخرة، والغنى مسرة في الدنيا مشقة في الآخرة».

● وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لكل أحد حرفة وحرفتي اثنتان الفقر والجهاد فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني».

● وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «لكل أمة فتنة.. وفتنة أمتي المال».

---

(١) بلد غربي بغداد.

● قال الفقيه رضي الله تعالى عنه: ينبغي للمسلم أن يحب الفقر ويحب الفقراء وإن كان غنيا لأن في حب الفقراء حب الرسول ﷺ.. وقد أمر الله تعالى رسوله بحب الفقراء والدنو منهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف:٢٨).

● وروى الحسن رحمه الله تعالى عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل: انظروا من أطعمكم كسرة وسقاكم شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا إلى الجنة».

● قال الفقيه رضي الله عنه: «اعلم أن للفقير خمس كرامات، إحداها أن ثواب عمله أكثر من ثواب عمل الغني في الصلاة والصدقة وغير ذلك، والثانية أنه إذا اشتهى شيئا لم يجده، يكتب له الأجر، والثالث، أنهم سابقون إلى الجنة، والرابعة، أن حسابهم في الآخرة أقل، والخامسة، أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يتمنون في الآخرة أن كانوا فقراء ولا يتمنى الفقير أن كان غنيا في كل هذا قد جاءت الآثار.

● روى زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «درهم من الصدقة أفضل من مائة ألف».. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أخرج رجل من ماله مائة ألف درهم وتصدق بها.. وأخرج آخر من ماله درهمين لا يملك غيرهما طيبة نفسه، فصار صاحب الدرهمين أفضل من صاحب المائة ألف».

● قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملعون من أكرم بالغنى، وأهان بالفقر، وقال أبو الدرداء: نحن وإخواننا الأغنياء يشربون ونحن نشرب ويلبسون ونحن نلبس ولهم فضول أموالهم ينظرون إليها ونحن ننظر إليها معهم وهم يحاسبون ونحن براء منها.

عن الغنى وحب المال:

● قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف:٤٦).

● وقال رسول الله ﷺ: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس».

● وقال علي كرم الله وجهه: «الفقر هو الموت الأكبر».

● قال لقمان لابنه: «يا بني أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئا أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه؟ أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به».

● قال الشاعر:

الفقر يرى بأقوام ذوي حسب

وقد يسود غير السيد المال

● كان العباس رضي الله عنه يقول: «الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أعذب من الماء وأرفع من السماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الورد، خطؤه صواب، وسيئاته حسنات، وقوله مقبول، يرفع مجلسه، ولا يمل حديثه، والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب، وأثقل من الرصاص، لا يسلم عليه إن قدم، ولا يسأل عنه إن غاب، إن حضر ازدروه، وإن غاب شتموه، وإن غضب صفعوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة».

● وقال ابن الأحنف:

يمشي الفقير وكل شيء ضده

والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه مبغوضا وليس بمذنب

ويرى العداوة لا يرى أسبابها

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة

خفقت لديه وحركت أذنابها

وإذا رأت يوما فقيرا عابرا

نبحت عليه وكشرت أنيابها

● قال لقمان لابنه: يا بني شيئان إذا أنت حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما: دينك لمعادك.. ودرهمك لمعاشك.

● عن ابن مسعود «الغنى هو اليأس مما في أيدي الناس.. وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر».

● أوصى أحد الحكماء ابنه فقال: يا بني، عليك طلب العلم وجمع المال فإن الناس طائفتان: خاصة.. وعامة: فالخاصة تكرمك للعلم، والعامة تكرمك للمال.. وما من خلة هي للغني مدح، إلا وهي للفقير عيب، فإن كان شجاعا سمي أهوج، وإن كان مؤثرا سمي مفسدا، وإن كان حليما سمي ضعيفا، وإن كان وقورا سمي بليدا.. وإن كان لينا سمي مهزارا، وإن كان صموتا سمي عييا.

● وحكي أن ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه.. والشاب يعجز عن ذلك.. فعجب منه واستحضره فحادثه في ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه.

● وقال رسول الله ﷺ: **«أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط.. وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى، وفقير فخور».**

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة:٣٤).

من هو الغني؟

اجتمع حذيفة المرعشي وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط وسليمان فتذاكروا الفقر والغنى، وسليمان ساكت فقال حذيفة: الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفيه عن فضول الدنيا..

وقال إبراهيم: الغنى من لم يحتج إلى الناس.. فقيل لسليمان ما تقول أنت في ذلك؟ فقال وهو يبكي، رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط، والغنى حق الغنى من أسكن الله في قلبه من غناه، ومن معرفته توكلا، ومن قسمته رضا، فذلك الغنى حق الغنى.. وإن أمسى طاويا وأصبح معوزا.. فبكى القوم من كلامه.

في الملأ - والخلاء:

أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مناديا ينادي في الناس ألا يشوبوا اللبن بالماء

فيغشوه.. وبينما كان عمر بن الخطاب يعس بالمدينة سمع امرأة من داخل الخباء تقول لابنتها: قومي يا بنية وشوبي اللبن بالماء.. فأجابت البنية تقول: يا أماه أما سمعت مناد أمير المؤمنين ينادي ألا يشاب اللبن بالماء.. فقالت الأم: وأين أنت الساعة من مناد أمير المؤمنين؟؟ فقالت البنية لأمها: إذا لم يرني مناديه يا أماه رآني رب مناديه! فوالله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء..

القناعـــة:

سأل عمر بن سعد بن أبي وقاص والده: كيف أطلب الغنى.. فأجاب الوالد: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال.

عظمة القناعة:

قال سعد بن أبي وقاص: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه في القناعة، فإنها مال لا ينفد وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه.

عظمة القناعة:

أصاب داود الطائي فاقة كبيرة فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركة أبيه وقال: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحدا في زهده وورعه وطيب كسبه.. فقال داود: لو كنت أقبل من أحد شيئا لقبلتها تعظيما للميت وإكراما للحي. ولكني أحب أن أعيش في عز القناعة.

إياك - إياك:

قال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم فإنها تسري في الليل والناس نيام..

الفقر.. والزهد:

دخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك بثياب رثة فقال له: يا أبا كعب ما الذي حملك على الظهور أمامنا بهذه الثياب الرثة؟؟ فأجاب أبو كعب: يا أمير المؤمنين والله ما حملني على هذا إلا أمران:

الأول: إني أكره أن أقول أنه الزهد فأطري نفسي.

والآخر: أو أقول الفقر فأشكو ربي.

ما أعظمك يا عبد الله بن مسعود:

كان لعبد الله بن عتبة بن مسعود رقعة من الأرض تصرف فيها بالبيع وقبض ثمنها، فقال له صديق: إنسي عبد الله إن له ولدا هو أحوج ما يكون إلى أن يدخر له هذا المال؟.. فأجاب عبد الله: والله ما نسيت ولكني أجعل هذا المال ذخرا لله.. فقال له الصديق: وولدك.. فقال عبد الله: أما ولدي فسأجعل الله ذخرا له.

أنا أعرف نفسي يا ولدي:

مر يزيد بن المهلب بأعرابية فعرضت عليه للبيع عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية، كم معك يا معاوية من النفقة؟ فأجاب معاوية: يا أبت كل ما معي ثمانمائة دينار.. فقال يزيد: ادفعها كلها إليها.. فقال له معاوية: يا أبت إنك تغلب الرجال، ولا يكون الرجال إلا بالمال وهي بعد لا تعرفك ويقنعها القليل واليسير.. فقال يزيد: إن كانت هي ترضى باليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي.. ادفعها إليها.

لماذا يسعى إلى الغنى؟!

قال عروة بن الورد:

ذريتي للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير!!




الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

● قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء:١٠٢).

● وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥).

● وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب:٥٦).

● قال رسول الله ﷺ: **«علم الإيمان الصلاة، فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن».**

● قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه.. فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لا يعرفنا ولم نعرفه.

● قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها فقال: لأنهم خلوا بالرحمن.. فألبسهم نورا من نوره.

● وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل وكيف ذلك؟؟ قال لا يتم ركوعها وسجودها. وخشوعها وتواضعه وإقباله على الله فيها.

● وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول: والله ما أريد بها ثوابا.. ولكن ليسر ذلك رسول الله ﷺ.. ويقول للأنبياء عليهم الصلاة والسلام: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة.

● وقال حذيفة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

● وقال هشام بن عروة: كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال.

● وقال أبو الطفيل: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس قوموا إلى نيرانكم فأطفئوها.. سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر».**

● كان مسلم بن يسار، إذا أراد أن يصلي في بيته يقول لأهله: تحدثوا فلست أسمع حديثكم.. وكان إذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام.. فإذا قام إلى الصلاة تحدثوا وضحكوا.. ووقع حريق إلى جنبه وهو في الصلاة فما شعر به أحد حتى أطفئ.

● وكان الحمام يقع على رأس بن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذعا منصوبا لطول انتصابه في الصلاة.

● من أقواله ﷺ: «بين الرجل والكفر ترك الصلاة» (رواه أحمد ومسلم).

● «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» (رواه أحمد وأبو داود).

● يقول الحافظ المنذري: ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمدا حتى يخرج جميع وقتها منهم: عمر بن الخطاب، عبد الله ابن مسعود، عبد الله بن عباس، معاذ بن جبل، جابر بن عبد الله، أبو الدرداء رضي الله عنهم، ومن غير الصحابة: أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وعبد الله ابن المبارك، النخعي، الحكم بن منبه، أيوب السختياني، وغيرهم.

كما ذهب بعضهم إلى فسق تارك الصلاة عمدا من غير جحود لفرضيتها.. وفريق أوجب تعزيره وحبسه إلى أن يصلي حتى لا يكون سيئة.. كما رأى أئمة المذاهب وجوب قتله فمنهم من أوجب قتله كفرا كأحمد وإسحاق وابن المبارك.. ومنهم من أوجبه حدا.. وهو مذهب مالك، والشافعي، وأبو حنيفة وأصحابه.

لذلك فقد قال رسول الله ﷺ ركز عليها وقال لأصحابه: أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة.. فإن صلحت صلح سائر عمله.. وإن فسدت فسد سائر عمله.

● حتى ورسول الله ﷺ يلفظ أنفاسه الأخيرة قال لهم: «الصلاة.. الصلاة.. وما ملكت أيمانكم».

● وقال الأوائل: «الصلاة هي المرتكز الأساسي لصلة الإنسان بربه»، «الصلاة هي التي تحيي معاني الإيمان في قلب الإنسان.. ولهذا كانت أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى». «الصلاة تحيي عقيدة الحق في نفس الإنسان، وهي التي تحمله على ذكر الله من مبدأها إلى منتهاها» «بالصلاة يتذكر الإنسان اليوم الآخر.. ويتذكر الإيمان بالرسول ﷺ.. كما يتذكر القرآن - كتاب الله - والطريق الذي يهدي إليه».

● والصلاة هي لغة الدعاء لقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (التوبة:١٠٣)

● وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب،٥٦).

● والصلاة في اصطلاح الفقهاء عبادة ذات أقوال وأفعال، مفتتحة بالتكبير.. مختتمة بالتسليم.. بشرائط مخصوصة لقوله ﷺ: **«مفتاح الصلاة الطهور.. وتحريمها التكبير.. وتحليلها السلام»**.

● اسم الصلاة: اشتق اسم الصلاة من الصلة.. لأنها تصل العبد بربه، وتقربه من رحمته.. وحكمة مشروعيتها القيام بشكر المنعم على إنعامه وتكفير ذنوب العباد بأدائها.. وثمرتها سقوط الطلب عن مؤديها وبعده عن المخالفات في الدنيا.. ونواله الثواب في الآخرة، ولعظمة شأنها فرضها الله تعالى من فوق سبع سموات في ليلة الإسراء قبل الهجرة بعام ونصف.

عن الصلاة قال رسول الله ﷺ:

● **«صل صلاة مودع كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وايأس مما في أيدي الناس تعش غنيا وإياك وما يعتذر منه»**.

● **«صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب»**.

● عن ابن عمر **«صل قائما إلا أن تخاف الغرق»**.

● **«صل بصلاة أضعف القوم ولا تتخذ مؤذنا يأخذ على أذانه أجرا»**.

● عن بريدة **«صل بالشمس وضحاها ونحوها من السور»**.

● وعن أنس **«صلى الصبح والضحى فإنها صلاة الأوابين»** (الجامع الصغير للسيوطي).

● عن زيد بن ثابت **«صلوا أيها النساء في بيوتكن فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»**.

● عن ابن عمر **«صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا»**.

● عن أنس **«صلوا في بيوتكم ولا تتركوا النوافل فيها»**.

● عن الحسن بن علي رضي الله عنه **«صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولا تتخذوا بيتي عيدا وصلوا علي وسلموا فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم»**.

● عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل»**.

● عن عبد الله بن مغفل «صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل فإنها خلقت من الشياطين».

● عن أبي هريرة «صلوا في مراح الغنم وامسحوا برغامها فإنها من دواب الجنة».

● عن أبي هريرة «صلوا خلف كل بر وفاجر.. وصلوا على كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل بر وفاجر».

● عن عقبة بن عامر «صلوا ركعتي الضحى بسورتيها والشمس وضحاها والضحى.

● عن أبي أيوب «صلوا صلاة المغرب مع سقوط الشمس بادروا بها طلوع النجم».

● عن الحسن «صلوا من الليل ولو أربعا ولو ركعتين ما من أهل بيت تعرف لهم صلاة من الليل إلا نادهم مناديا.. أهل البيت قوموا لصلاتكم».

● عن أبي هريرة «صلوا على أطفالكم فإنهم من أفراطكم».

● عن وائلة «صلوا على كل ميت وجاهدوا مع كل أمير».

● عن جابر «صلوا على موتاكم بالليل والنهار».

● عن ابن عمر «صلوا على من قال لا إله إلا الله.. وصلوا وراء من قال لا إله إلا الله».

● عن أبي هريرة «صلوا علي فإن صلاتكم علي زكاة لكم».

● عن ابن عمر وأبي هريرة «صلوا علي صلى الله عليكم».

● عن زيد بن خارجة «صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد».

● عن أبي هريرة «صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني».

● عن وائل بن حجر «صلوا على النبيين إذا ذكرتموني فإنهم قد بعثوا كما بعثت».

● عن عائشة رضي الله عنها «صل في الحجر إن أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت».

● عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «مثل الخمس صلوات كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء».

عن سليمان الفارسي رضي الله عنه قال: الصلاة مكيال.. فمن وفي مكياله وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين.

تارك الصلاة أشر من الزانية:

روى أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت: يا نبي الله.. إني أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت منه إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي، فقال لها موسى عليه السلام: وما ذنبك؟ فقالت يا نبي الله. إني زنيت وولدت ولدا فقتلته، فقال لها موسى عليه السلام: اخرجي يا فاجرة لا تنزل نارا من السماء فتحرقنا بشؤمك، فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال: شرا منها؟ قال موسى: يا جبريل.. ومن هو شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامدا متعمدا.

إياك أن تؤخر الصلاة عن وقتها:

عن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيا حزينا.

فقال: يا أماه.. أخبريني عن أختي وما كانت تعمل؟ فقالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمي.. رأيت قبرها يشتعل عليها نارا، قال: فبكت وقالت: يا ولدي.. كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها.. فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي؟ فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها إنه جواد كريم.

يا له من دهاء وذكاء:

قال ابن إسحاق: ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمي ثم اليهزي، فقال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة - وكانت عنده، له منها معرض بن الحجاج - ومال متفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له.

قال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول، قال: قل، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثينة البيضاء رجالا من قريش يتسمعون

الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفا ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار، ويألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط، -قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي- عنده والله الخبر، أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال: قلت: قد بلغني ذلك، وعندي من الخبر ما يسركم، قال: فالتبطوا بجنب ناقتي يقولون: إيه يا حجاج، قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم، قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم، قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك، قال ابن هشام: ويقال: من فل محمد.

تكتم خبر موت ابنها حتى يستريح زوجها:

روى مسلم بسنده عن ثابت عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء، فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب.

ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع عليها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت، ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**»، قال: فحملت، قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله إذا أتى المدينة، من سفر لا يطرقها طروقا، فدنوا من المدينة، فضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، قال:

يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل، وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سليم: يا أبا طلحة ما

أجد الذي كنت أجد، انطلق، فانطلقنا قال: وضربها المخاض حين قدما، فولدت غلاما، فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ، فلما أصبح احتملته، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال:

فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: **«لعل أم سليم ولدت»**، قلت: نعم، فوضع الميسم، قال: وجئت به فوضعته في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه، حتى ذابت، ثم قذفها في في الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«انظروا إلى حب الأنصار التمر»**، قال فمسح وجهه، وسماه عبد الله.

ما كل هذه الجرأة على الله!!

حينما أحضر سعيد بن جبير للحجاج بن يوسف الثقفي، فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قالوا: نعم. فقال: أدخلوه علي، فخرج الملتمس. فقال لسعيد بن جبير. قال: أنت الشقي بن كسير، قال: بل أمي أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه الله. قال: لا بد لك بالدنيا نارا تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. فقال: فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة إمام الهدى ﷺ، قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم، قال: أبيت أن تصدقني؟ قال: فإني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار! قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستو القلوب. ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت. فجمعه بين يدي سعيد فقال له سعيد: إن كنت جمعت هذه لتفتد به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعه واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع للدنيا إلا ما طاب وزكى ثم دعا الحجاج بالعود والناي. لما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد ابن جبير فقال له: ما يبكي هو اللهو. قال سعيد: بل هو الحزن. أما النفخ فذكرني يوما عظيما يوم ينفخ في الصور. وأما العود. فشجرة نبتت بحق وقطعت لغير حق، وأما الأوتار فإنها أمعاء الشاء يبعث بها معك يوم القيامة.

فقال الحجاج: ويلك يا سعيد، فقال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار فقال الحجاج: اختر يا سعيد أي قتلة تريد أن أقتلك، قال: اختر لنفسك يا حجاج فو الله ما قتلتني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة.

قال: أفتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله. وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر، قال اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب ضحك. فأخبر الحجاج بذلك. فأمر برده، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك. فأمر بالنطع فبسط فقال: اقتلوه، فقال سعيد: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين»، قال: شدوا به لغير القبلة، قال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة:١١٥)، قال: كبوه لوجهه. قال سعيد: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (طه:٥٥)، قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما أني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله. خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة.

ثم دعا سعيد فقال: «اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي» فذبح على النطع رحمه الله. وقد روى أن الحجاج عانى بعده خمسة عشرة ليلة ومات بعلة قاتلة. روى أنه كان ينادي بقية حياته، مالي ولسعيد بن جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلي.

عاقبة من يعين الظالم:

قال رسول الله ﷺ: «من أعان ظالما سلطه الله عليه».

مصير الظالمين:

قال رسول الله ﷺ: «من ظلم في شبر من أرض طوقه إلى سبع أرضين يوم القيامة».

ثلاث راجعات على أهلها:

قال علي رضي الله عنه: «ثلاث راجعات على أهلها: المكر، والنكث، والبغي».

يا ليت أم الهادي ما ولدت الهادي:

كانت الخيزران، كثيرا ما تكلم ابنها الهادي، في الحوائج، فكان يجيبها إلى

كل ما تسأله، حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، وإنهال الناس عليها، وطمعوا فيها، فكلمته يوما في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سبيلا، واعتل بعلة، فقالت الخيزران: لابد من إجابتي، قال: لا أفعل، قالت: قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك، فغضب الهادي وقال: ويل لابن الفاعلة، قد علمت أنه صاحبها، والله لا قضيتها له، قالت: وإذن والله لا أسألك حاجة أبدا، قال: إذن والله لا أبالي، وحمى وغضب، فقامت مغضبة، فقال: مكانك تستوعبي كلامي، والله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي، أو واحد من خاصتي، أو أحد من خدمي، لأضربن عنقه، ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك إياك ثم إياك ما فتحت بابك لملي أو ذمي، فانصرفت الخيزران ما تعقل ما تطأ، فلم تنطق عنده بحلوة ولا بمرة بعدها.

وجمع الهادي رؤوس دولته، وقال لهم: أنا خير، أم أنتم؟ قالوا: بل أنت يا أمير المؤمنين، قال: فأيما خير أمي أم أمهاتكم؟ قالوا: بل أمك يا أمير المؤمنين، قال: فأيكم يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه؟ فيقولوا: فعلت أم فلان وصنعت أم فلان؟ قالوا: ما أحد منا يحب ذلك، قال: فما بال الرجال يأتون أمي فيتحدثون بحديثها، فما سمعوا ذلك حتى انقطعوا عنها، وزاد هذا في هم الخيزران ووجدها على ابنها، ولما حضرت الهادي العلة، وكان على سفر، وأيقن بالهلاك، استدعى أمه، فلما قدمت قال لها: أنا هالك في هذه الليلة، وقد كنت أمرتك بأشياء ونهيتك عن أخرى، مما أوجبته سياسة الملك، وسياسة الشرع من برك، ولم أكن بك عاقا، بل كنت لك صائنا، وبرا واصلا، ثم قضى قابضا على يدها، واضعا لها على صدره، وهو يقول: يا ليت أم الهادي ما ولدت الهادي، والله لو أن أم الهادي أذنبت ما عفا الهادي عنها.



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

اللسان

الشجاعة والتواضع

العدل

العفو

عظمة رسول الله ﷺ

ترغيب وترهيب

الدنيا...والدين

العلم

بر الوالدين..والأمومة

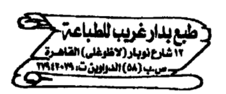
الإحسان

الرياء...والنفاق

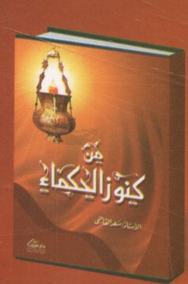
الفقر والغنى

الصلاة




طبع بدار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت: ٢٧٩٤٢٠٧٩




من
كنوز الحكماء
الأستاذ سعد القاضي